بسم الله الرحمن الرحيم



الجامعـة الأردنيـة

كلية الدراسات العليا

البريد وطرقه في بلاد الشـــام والعراق في العصر العباسي (١٣٢-٤٥٠هـ / ٧٥٠-١٠٥٨م)

ناديا أحمد علي الهذّال

عميد كلية الدراسات العليا

إشراف

الأستاذ الدكتور صالح موسى درادكه

قدمت هذه الرسالـة استكمـالاً لمتطلبات درجـة الماجستيـر في التاريـخ بكلية الدراسات العليـا في الجامعـة الأردنيـة

كانون الثاني / ١٩٩٦م

نوقشت هـذه الرسالة بتاريـخ ١٩٩٦/١/٧م ، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الأستاذ الدكتور صالح موسى دراد كه (رئيساً)	[signature]
الأستاذ الدكتور محمد خريســـات (عضــواً)	[signature]
الأستاذ الدكتور صالح حمــــارنه (عضــواً)	[signature]



الإهداء

إلى والديّ...

إلى أخوتي ...

مع محبتي وتقديري



الإهداء

إلى والديّ...

إلى أخوتي ...

مع محبتي وتقديري

شكر وتقدير

الشكر لله تعالى أولاً وآخراً على ما تفضل به وأنعم من عون ورعاية وتوفيق، ثم أقدم جزيل شكري وتقديري إلى أستاذي الفاضل الدكتور صالح موسى درادكه الذي أسهم في بناء هذا البحث بما أبداه من ملاحظات قيمة وتوجيهات سديدة كان لها الأثر الكبير في كشف معالم الطريق أمامي. اذ تعهد هذا البحث بالعناية والاشراف والمتابعة ، فكان خير معين ومرشد، فبارك الله في علمه وجزاه خير الجزاء.

ناديا الهـــذّال

المختصرات والرموز

يشار إلى المصادر والمراجع حسب المختصرات والرموز التالية:

١- يذكر اسم المؤلف أو لقبه حسب الشهرة، والاسم الأول من كتابه، والجزء والصفحة مثل:

- الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٥.
- الطبري، تاريخ ، جـ٨، ص٥٠.

٢- في حالة تشابه أسماء أو ألقاب المؤلفين يذكر اسم المؤلف مع ذكر الكلمة الأولى من اسم كتابه مثل:

- الصابي (هلال) ، الوزراء.
- الصابي (إبراهيم) ، رسائل.

٣- في حالة وجود أكثر من كتاب للمؤلف، وتتشابه فيه الكلمة الأولى يذكر اسم الكتاب كاملاً مثل:

- ياقوت الحموي، معجم البلدان.
- ياقوت الحمو ي، معجم الأدباء.

٤- يشار إلى الكتب المخطوطة بالحرف (خ) بعد اسم الكتاب.

٥- الرموز الواردة في الرسالة وما تعنيه:

م	مجلد
ق	قسم
ص	صفحة
ج	جزء
د.ت	دون تاريخ

فهرس المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة

الملخـــص

البريد وطرقه في بلاد الشام والعراق في العصر العباسي

(١٣٢-٤٥٠هـ / ٧٥٠-١٠٥٨م)

ناديا أحمد علي الهذّال

إشـــراف

الأستاذ الدكتور صالح موسى درادكه

موضوع هذه الدراسة هو نظام البريد وطرقه في بلاد الشام والعراق في العصر العباسي حتى ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) . وتأتي أهمية اختيار هذا الموضوع من قلة الدراسات الجادة الحديثه التي عالجت هذا الموضوع في هذه الفترة ، فقلما أولى الباحثون عنايتهم لنظام البريد كمؤسسة إدارية كبرى لها شأنها خلال هذه الفترة ، وإذا تناولها أحدهم فبإشارات محدودة لا تفي بالغرض . كما أنها لم تعالج نظام البريد في الفترة ما بين (٣٣٤هـ/٤٥٠هـ) ، بل تكتفي بالحديث عن البريد في العصر العباسي الأول مع العلم أن الفترة البويهية تمثل فترة ازدهار وتطور لنظام البريد، حيث وصل إلى درجة كبيرة من الدقة والانتظام وخاصة في عهد الأمير البويهي عضد الدولة .

تشتمل هذه الدراسة على عرض وتحليل للمصادر وخمسة فصول وخلاصة .

وعالجت هذه الفصول الجوانب الأساسية التالية التقسيمات الإدارية في بلاد الشام والعراق، ونظام البريد في العصر العباسي حتى عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م حيث سيطر السلاجقة على الإدارة المركزية ببغداد ،وتطور ديوان البريد وأنواع البريد ووسائله واستعمالات البريد المختلفة وطرق البريد ومحطاته .

وقد تناول الفصل الأول التقسيمات الإدارية في بلاد الشام والعراق إذ تحدثت الباحثة عن حدود بلاد الشام والعراق وجغرافيتها ومن ثم ذكر التقسيمات الإدارية في بلاد الشام والعراق والجزيرة ، وأثر هذه التقسمات على نظام البريد وطرقه .

وخصص الفصل الثاني للحديث عن « نظام البريد في العصر العباسي حتى فترة ٤٥٠هـ» والذي أصبح منذ العصر العباسي الأول أداة فعالة من أدوات الحكم ،حيث أصبح له ديوان مستقل

في بغداد ، يشرف على كافة فروع البريد في أقاليم الدولة المختلفة، من خلال شبكة الطرق التي تخرج من مركز الخلافة بغداد إلى كافة أقاليم الدولة .

ثم ذكرت الباحثة نظام البريد خلال الفترة ما بين (٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٦-٩٤٥م)

أي فترة سيطرة الأتراك على مقاليد الحكم وازدياد نفوذهم ، ومع ذلك فقد بقي البريد أداة هامة لمعرفة الحركات المناوئة للدولة ، ومن ثم تعرضت الباحثة للحديث عن البريد عند كل من البويهين والسلاجقة في الفترة ما بين (٣٣٤هـ-٤٥٠هـ/٩٤٥-١٠٥٨)حيث بلغ البريد في عهد بني بويه مبلغا عظيما من الدقة والإنتظام ، حتى كانت بواكير الفواكه تصل إلى قصور السلاطين سليمة وطازجة .

وعالج الفصل الثالث " ديوان البريد وعلاقته بالانظمه الاداريه والاقتصاديه والعسكريه"، حيث تباينت الاراء واختلفت حول نشأه هذا الديوان ، فبعض الباحثين ينسب نشأة ديوان البريد للخليفه معاويه بن ابي سفيان ، أما البعض الأخر فينسبه إلى الخليفه عبدالملك بن مروان ، الا ان بذور نشأة ديوان البريد ترجع في الاصل إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلافه الراشده ، ثم نمت هذه البذور وتطورت في العهد الاموي على يد كل من الخليفه معاويه بن ابي سفيان والخليفه عبد الملك بن مروان والذي أحكم هذا النظام ، ومن ثم تبلورت هذه البذور بشكل واضح وبارز في العصر العباسي ، فأصبح له ديوان خاص به مركزه بغداد .كما اوضحت الدراسه في الفصل الثالث هيكلية التنظيم الاداري للبريد ، اذ ان ديوان البريد يمارس وظائفه بواسطة عدد من العاملين ، لكل منهم اختصاصه ، يرأس الديوان صاحب البريد ، ويشرف على ادارته ، ويتم تعينه من قبل الخليفه ، وكان الخليفه يعنى عنايه عظيمه باختياره ، فكان لا بد من توافر صفات معينه فيه وعلى رأسها الأخلاق الجيده وتحري الصدق . وكانت العلاقه مباشره بين الخليفه وصاحب الديوان .

وكان ديوان البريد في بغداد يشرف على شبكه كبيره من موظفي وعمال البريد ، فهم بمثابة عقد الاتصال بين الخليفه وعمالهم . كما اشارت الباحثه إلى نفقات ورواتب عمال البريد والتي كانت في الغالب ضخمه جداً ، نظراً للاتساع العظيم الذي بلغته سكك البريد بالاضافه إلى رواتب عمال البريد بكافة مستوياتهم .

وإلى جانب ذلك أشارت الباحثه إلى العلاقه بين البريد والأنظمه الاداريه والسياسيه والاقتصاديه والعسكريه ، حيث كان للبريد دور بارز في هذا المجال وبخاصه الناحيه العسكريه ، وقد

ساهم البريد العسكري الذي بلغ درجه عاليه من السرعه والدقه والتنظيم في تحقيق الانتصارات على جيوش الاعداء ، والقضاء على الحركات المناوئه للدوله.

اظهرت دراسة أنواع البريد ووسائله في الفصل الرابع ، تنوع وسائل البريد وتعددها ، فقد عملت هذه الوسائل سواء البريه والمتمثله بالحمير ، والبغال والخيول والجمازات ، او الجويه والمتمثله بالحمام الزاجل والذي كان له دور كبير وبارز وبخاصه في البريد العسكري على دفع عجلة نظام البريد للامام.

كما كشفت دراسه الفصل الرابع عن استعمالات البريد المختلفه ، اذ تنوعت الخدمات التي يؤديها البريد ، فكثير ما كان خلفاء بني العباس يستخدمون خيل البريد لخدمتهم ولقضاء مصالحم ، فالبريد قام باكثر من مهمة زمن الدولة العباسية ، فبالاضافة إلى نقل الأخبار من مقر الخلافة إلى أقاليم الدولة المختلفة كونه أشبه بجهاز قلم المخابرات اليوم . اصبح يقوم بعدة اعمال في أن واحد ضمن اختصاصات ديوان واحد . حيث استخدم البريد في مجال التسلية والترفيه، وفي النواحي الادبيه والعلميه والطبيه .

تمت دراسة طرق البريد ومحطاته في الفصل الخامس ، اذ تحدثت الباحثة عن شروط وعوامل قيام الطرق ، ومن ثم ذكر الدور المهم الذي قامت به الدوله الإسلاميه في تمهيد الطرق ووضع العلامات عليها ، وتأمينها من هجمات اللصوص وقطاع الطرق. والى جانب ذلك اشارت إلى اثر طرق البريد ومحطاته على النواحي السياسيه والعسكرية والإقتصادية والتجارية ، إذ كان لهذه الطرق دور بارز وفعّال في جميع النواحي ولا سيما الناحيتين السياسيه والعسكرية.

المقدمـــة

عرف العرب البريد كمؤسسة مهمة من المؤسسات الإدارية ،وكان شأنه كشأن المؤسسات الإدارية الأخرى تتقدم بتقدم الدولة وتتطور بتطورها وازدهارها .

ونظرا لأن هذه المؤسسة الحضارية لم تدرس دراسة جادة فقد أخذت على نفسي القيام بهذه الدراسة أملا أن أستطيع التعريف بها أو بدورها في التاريخ الإسلامي .

وقد دفعتني عوامل أخرى لهذه الدراسة مثل :

- إعطاء صورة واضحة ومفصلة لقابلية العرب في بناء دولتهم ، وتطور أنظمتهم الإدارية والعسكرية .

- التأكد على أهمية بلاد الشام والعراق باعتبارهما جزءا متمماً لجزيرة العرب من الناحية الجغرافية ، والبشرية و الحضارية ، وموقعها الجغرافي بالنسبة لاتصال العالم من الشرق إلى الغرب ، وما قدم العرب في العراق والشام للعالم من خدمات في سبيل هذا الاتصال الحضاري.

وقد اخترت هذه الفترة الطويلة لدراسة الموضوع من عام ١٣٢ هـ / ٧٥٠م إلى ٤٥٠هـ/١٠٥٨م لكي أحاول رسم صورة متكاملة وواضحة عن نظام البريد خلال العصر العباسي ، وما هي التطورات التي طرأت عليه في هذا العصر ، ونظرا لندرة النصوص في مثل هذه الدراسات وبخاصة في الجانبين الإداري والمالي ، رأيت أن التوسع هو أفضل طريق للوصول إلى صورة واضحة ومترابطة .

ويواجه الباحث في دراسة الدواوين بشكل عام ، وديوان البريد بشكل خاص مشاكل متعددة في مقدمتها تنوع المصادر بين مؤلفات تاريخية وأدبية وجغرافية وفقهية ، وأخرى تتعلق بالنواحي الإدارية والمالية ، هذا بالإضافة إلى قلة المعلومات وتبعثرها الأمر الذي يتطلب دراسة فاحصة للمصادر بأنواعه المختلفة .

أما الخطة التي اعتمدت عليها في هذا البحث فكانت على النحو التالي :

جرى تقسيم البحث إلى خمسة فصول يسبقها مقدمة ودراسة تحليلية لأهم مصادر البحث .

الفصل الأول : التقسيمات الإدارية في بلاد الشام والعراق :

ويشتمل على مبحثين ، الأول تعرضت فيه الباحث للحديث عن حدود بلاد الشام والعراق وجغرافيتها ، وأثر هذه الجغرافية على طرق المواصلات وبخاصة طرق البريد ومحطاته ، إذ أن هنالك عوامل طبيعية وبشرية أثرت على نظام طرق المواصلات كالموقع الجغرافي للمنطقة ، وطبيعة الأرض من حيث السهولة والصعوبة ، ووجود آبار المياه والينابيع ، إذ أن طرق المواصلات كانت تتبع ضفاف الأنهار وفروعها ....إلخ .

أما المبحث الثاني ، فقد تحدثت فيه الباحثة عن التنظيم الإداري في بلاد الشام والعراق ، فتناولت بالعرض والتحليل الأقسام الإدارية في كل من بلاد الشام والعراق والجزيرة ، وأثر هذه التقسيمات على نظام البريد وطرقة ، إذ أنها سهلت عملية الإتصال بين مركز الخلافة وبين هذه الأقسام ، وذلك عن طريق عمال البريد الموجودين في هذه الأقسام والنواحي الإدارية المختلفة ، وحرصت على عدم التقيد في هذا التقسم بالحدود الجغرافية أو السياسية وإنما كان الاساس فيه الوحدات الإدارية الكبرى التي ظلت موجودة طوال الفترة التي تناولها البحث .

الفصل الثاني : البريد في العصر العباسي حتى فترة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م

وقد تناولت فيه الباحثة ، معنى كلمة البريد في اللغة والإصطلاح ، وأصل هذه الكلمة حيث دارت حولها أراء مختلفة ، ثم إعطاء لمحة عن البريد عند العرب قبل الإسلام ، والتطورات التي حصلت على تنظيمه في عصر صدر الإسلام .

كما عالجت فيه الباحثة البريد في العصر العباسي الأول من عام (١٣٢هـ إلى ٢٣٢هـ ٧٤٩-٨٤٦م)وهذه الفترة تعكس بدون شك ، ما بلغه نظام البريد من تطور وتقدم وخاصة البريد العسكري .

ثم تناولت الفترة ما بين ٢٣٢-٣٣٤هـ / (٨٤٦-٩٤٥م) حيث سيطر الأتراك وازداد نفوذهم وبالرغم من ذلك فقد بقي البريد أداة هامة لمعرفة الحركات المناوئة للدولة ، كما أنه كان يعنى به أحيانا ويهمل أحيانا أخرى ، حسب شخصية الخليفة ، وحرصه على الإحتفاظ بسلطته كاملة غير منقوصة و في الفترة ما بين ٢٢٤-٣٣٤هـ/٩٣٥-٩٤٥م) طرأ تغير كبير على نظام البريد في بغداد فاضطراب الأمور بالدولة والحركات الإنفصالية ، حيث انفصل الحمدانيون بالموصل ، وبنو بويه بفارس والجبال والري ، والبريديون بخوزستان ، جميعها أثرت على البريد فبعد أن كان أداة الإتصال بين الخلفاء وعمالهم في الأقاليم المختلفة ، تم قطع البريد عن حاضرة الخلافة من قبل البريد بين (٣١٠-٣٤٩هـ/ ٩٢٢-٩٦٠م) والبويهين ٣٣٤-٤٤٧هـ

كما تحدثت في هذا الفصل ، عن نظام البريد عند كل من البويهين والسلاجقة في الفتره ما بين (٣٣٤-٤٥٠هـ/ ٩٤٥-١٠٥٨م)، حيث بلغ البريد في عهد بني بويه مبلغاً عظيما من الدقة والسرعة ، حتى كانت بواكير الفواكه تصل إلى قصور السلاطين سليمة وطازجة ، واستمر الإهتمام بنظام البريد في عهد البويهين إلى أن تغلب السلاجقة على بغداد سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م فلم يوجهوا عنايتهم بالبريد ، بل أن السلطان الب أرسلان أمر بعد توليه الحكم بإلغاء ديوان البريد ، بالرغم من معارضة وزيره نظام الملك .

ومن خلال هذا الفصل تطرقت للحديث عن البريد عند الفاطميين في بلاد الشام ومصر واستخدامهم لوسائل البريد ولا سيما الحمام الزاجل في نقل رسائلهم .

الفصل الثالث : ديوان البريد وعلاقته بالأنظمة الإدارية والإقتصادية والعسكرية : وقد خصص هذا الفصل للحديث عن الهيكل التنظيمي لديوان البريد ، ابتداءاً من صاحب ديوان البريد الرسمي ، والذي كان يعين من قبل الخليفة مباشرة ، وكانت تتوافر فيه صفات معينة كالنزاهة والأمانة والإخلاص إلى جانب الكفاءة في العمل ، والى جانب صاحب البريد كان هنالك عمال وموظفي البريد ، فقد كانوا يزودون المركز بكل ما يجري في ولاياتهم ، ويظهر دورهم زمن الخليفة المنصور ، إذ كانوا يزودونه بالأخبار مرتين في اليوم .

ومن موظفي البريد : المرتبون : الذين كانوا يحملون الرسائل ، الموقعون : كانوا يثبتون أوقات انطلاق السعاة وأوقات وصولهم . وهناك السعاة : وهم رجال خفاف تعودوا على الجري والصبر. أما الفروانقيون فكانوا يراقبون سكك البريد والسعاه والخالية ، ويقدموا تقارير عنهم إلى صاحب البريد ، ويتولى الوكلاء والمخبرون مساعدة عامل البريد في جمع الأخبار ، بالإضافة إلى عددأخر من العمال ، جميعهم يعملون ضمن دائرة البريد .

كما اشتمل هذا الديوان على عدد من المجالس ، كالأنشاء والتحرير والاسكدار كما تناولت في هذا الفصل العلامات المميزة لعمال البريد في العصر العباسي ، بالإضافة إلى نفقات ورواتب عمال البريد .

أما المبحث الثاني في هذا لفصل فقد خصصته للحديث عن علاقة البريد بالأنظمة الإدارية والإقتصادية والعسكرية . ومما يدل على هذه العلاقة قول أبي جعفر المنصور في أركان الملك الاربعة ، القاضي وصاحب الشرطة ، وصاحب الخراج ، والرابع صاحب بريد يكتب إليه بخبر هؤلاء على الصحة . فهذا قول كافٍ في تحديد العلاقة بين كل من القاضي ، وصاحب الشرطة ، وصاحب الخراج ، وصاحب البريد ، فالبريد بمثابة مؤسسة كبرى ، ذات وظائف ومسؤوليات متعددة منها ما هو عسكري وإقتصادي وسياسي ، بالإضافة إلى المهمة الأساسية ألا وهي الوظيفة الإدارية .

الفصل الرابع : أنواع البريد ووسائله .

فقد عالجت فيه أنوع البريد ووسائله بكافة أشكالها ، سواء البرية والمتمثلة بالحمير ، والبغال، والخيول وأخيراً الجمازات ، أو الجوية والمتمثلة بالحمام الزاجل والذي لعب دورا كبيرا في نقل الاخبار ، بالإضافة إلى البريد المائي أو البحري . أما المبحث الثاني من هذا الفصل فقد تطرقت فيه للحديث عن استعمالات البريد المختلفة ، فبالرغم من أن المهمة الأساسية للبريد ، كانت أشبه بجهاز مخابرات الدولة ، وكان دورها مراقبة عمال الولايات ، والتجسس والإستخبار عن الشعب وتحركاته ، ضمانا لأمن الدولة واستقرارها . إلا أنها تنوعت الخدمات التي يؤديها البريد ، فكثيرا ما كان خلفاء بني العباس يستخدمون خيل البريد لخدمتهم وقضاء مصالحهم إضافة إلى أنه

استعمل في كافة المجالات سواء الطبية أو العلمية أو الأدبية أو الترفيهية .... إلخ

الفصل الخامس طرق البريد ومحطاته :

وقد تناولت في هذا الفصل شروط وعوامل قيام الطرق ، إذ أنه لا بد من توافر عدد من الشروط والعوامل ، لكي يكون الطريق أو المركز نموذجي وصالح للاستعمال ، بالإضافة إلى إهتمام الدولة الإسلامية بطرق المواصلات والبريد ، وتأمينها من هجمات اللصوص وقطاع الطرق، فقد وجه كل من الأمويين والعباسيين والبويهين، إهتماما بالغا بطرق الموصلات ، وبخاصة طرق البريد ومحطاته .

كما تعرضت للحديث عن طرق البريد ومحطاته ، في كل من بلاد الشام والعراق وأثر هذه الطرق على النواحي السياسية والعسكرية والإقتصادية والتجارية والإدارية .

تحليل المصادر

إن دراسة النواحي الإدارية تتطلب التوسع في مصادر البحث بين مؤلفات تاريخية (كتب التاريخ والطبقات والتراجم والأنساب) ، وادبية ، وجغرافية ، وفقهية وأخرى تبحث في النواحي الإدارية ، ومع أن كل صنف من هذه المؤلفات له إهتماماته ، إلا أنها جميعا تناولت الموضوع من هذا الجانب أو ذاك ، ولذا فقد أفاد البحث في مختلف المصادر وإن اختلف مقدار الإفادة بين مصدر وأخر .

ويأتي في مقدمة المصادر التاريخية التي زودت البحث بمعلومات قيمة كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) ويتميز هذا الكتاب بتقديم معلومات قيمة وتركز على النواحي الإدارية والمالية ، كما وردت فيه إشارات إلى إستعمالات البريد في عهد بعض الخلفاء العباسيين كالمأمون والواثق . ويأتي أهمية البلاذري من أنه يعتمد في ذلك على رواة مبكرين كالشيعي (ت١٠٢) ، الزهري (ت١٢٤) ، إضافة إلي روايات بإسناد جمعي ، كما استفدت منه في التفصيلات التي ذكرها عن الثغور الشامية والجزرية من ناحية نشأتها وتحصينها عسكريا .

وأورد ابن طيفور (ت٢٨٠هـ) في كتابه بغداد معلومات مهمة عن عهد المأمون ، وتأتي أهمية هذه المعلومات في قرب المؤلف من الأحداث ومن أخذه لكثير من معلوماته من مصادر مهمة مثل رجال الدولة من كتّاب ووزراء ، حيث وردت فيه إشارات عن ديوان الخاتم وعن تطور مهام صاحب البريد .

أما كتاب تاريخ اليعقوبي (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٧م) فقد وجدت في ثناياه الكثيرمن النصوص والإشارات التي تخص البريد ، وتميزت معلوماته بالدقة والإتزان ، رغم أنه لا يذكر أسانيده في أغلب الأحيان .

وأورد وكيع (ت ٣٠٦هـ/٩١٨م) في أخبار القضاه معلومات قيمة عن ديوان القاضي وقد استفدت منه في توضيح طبيعة العلاقة بين القاضي وصاحب البريد ، وتأتي أهمية معلوماته عن

إعتماده على مصادر قريبة من الأحداث .

وفي كتـاب الطبري (٣١٠هـ/٩٢٣م) تاريخ الرسل والملوك ، معلومات واسعة افادت منها جميع فصول الرسالة ، فقد اغنى هذا البحث بمعلومات كثيرة وقيمة شملت جميع النواحي سواء الإدارية أو العسكرية أو السياسية أو التاريخية فقد تناول تطور ديوان البريد ومهام عماله في الولايات ، لا سيما في عهد المنصور والأمين والمأمون ، كما أشار إلى عناية خلفاء بني العباس بنظام البريد ، كما أنه ذكر العديد من الروايات ذات أهمية في تنظيمات البرد الحربية .

ومن المصادر التاريخية الهامة كتاب الوزراء والكتاب ، للجهشياري (ت٣٣١هـ/٩٤٢م) الذي اختص في الكتابة عن الإدارة والنظم العباسية ، وذلك لأن الجهشياري كان موظفا في الدولة العباسية . وأفاد البحث منه الكثير من المعلومات التي تتعلق بالبريد وبالمشرفين عليه .

وفي الولاه والقضاة للكندي (ت٣٥٠هـ/٩٦١م) معلومات عن اختصاصات ديوان القاضي وكاتبه وسجلاته ، ولقد استفدت منه في توضيح مدى العلاقة بين القاضي وصاحب البريد ، وتوضيح سلطات صاحب البريد في مجلس القاضي والتي وصلت في بعض الأحيان إلى حد التصادم بين السلطتين .

وأورد المسعودي (ت٣٤٥هـ/٩٥٦م) في مروج الذهب ومعادن الجوهر بعض المعلومات التي تتعلق بديوان البريد في عهد الدولة العباسية والتي أفادت البحث ، فقد كانت رواياته في أغلب الأحيان إتماما لما أورده المؤرخون الذين من قبله . وقد تميز أسلوب المسعودي بالأختصار والإختيار من خلال تاكيده على أحداث معنية .

وفي الأوائل لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤ م) معلومات قيمة عن نشأة ديوان الخاتم وديوان البريد .

وفي تجارب الأمم لمسكويه (ت ٤٢١/ ١٠٣٥م) معلومات عن الأشراف على الدوادين ، وعن ديوان الخراج ، وفيه معلومات عن تطور البريد ولا سيما زمن الخليفة المعتصم .

إعتماده على مصادر قريبة من الأحداث .

وفي كتاب الطبري (٣١٠هـ/٩٢٣م) تاريخ الرسل والملوك ، معلومات واسعة أفادت منها جميع فصول الرسالة ، فقد أغنى هذا البحث بمعلومات كثيرة وقيمة شملت جميع النواحي سواء الإدارية أو العسكرية أو السياسية أو التاريخية فقد تناول تطور ديوان البريد ومهام عماله في الولايات ، لا سيما في عهد المنصور والأمين والمأمون ، كما أشار إلى عناية خلفاء بني العباس بنظام البريد ، كما أنه ذكر العديد من الروايات ذات أهمية في تنظيمات البرد الحربية .

ومن المصادر التاريخية الهامة كتاب الوزراء والكتاب ، للجهشياري (ت٣٣١هـ/٩٤٢م) الذي اختص في الكتابة عن الإدارة والنظم العباسية ، وذلك لأن الجهشياري كان موظفا في الدولة العباسية . وأفاد البحث منه الكثير من المعلومات التي تتعلق بالبريد وبالمشرفين عليه .

وفي الولاه والقضاة للكندي (ت٣٥٠هـ/٩٦١م) معلومات عن اختصاصات ديوان القاضي وكاتبه وسجلاته ، ولقد استفدت منه في توضيح مدى العلاقة بين القاضي وصاحب البريد ، وتوضيح سلطات صاحب البريد في مجلس القاضي والتي وصلت في بعض الأحيان إلى حد التصادم بين السلطتين .

وأورد المسعودي (ت٣٤٥هـ/٩٥٦م) في مروج الذهب ومعادن الجوهر بعض المعلومات التي تتعلق بديوان البريد في عهد الدولة العباسية والتي أفادت البحث ، فقد كانت رواياته في أغلب الأحيان إتماما لما أورده المؤرخون الذين من قبله . وقد تميز أسلوب المسعودي بالأختصار والإختيار من خلال تأكيده على أحداث معنية .

وفي الأوائل لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤ م) معلومات قيمة عن نشأة ديوان الخاتم وديوان البريد .

وفي تجارب الأمم لمسكويه (ت ٤٢١/ ١٠٣٥م) معلومات عن الأشراف على الدوادين ، وعن ديوان الخراج ، وفيه معلومات عن تطور البريد ولا سيما زمن الخليفة المعتصم .

وفي كتاب ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع (ت٤٤٨هـ /١٠٩٥م) معلومات قيمة عن ديوان البريد زمن البويهيين .

وأورد الصابي (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) في كتابه الوزراء معلومات مهمة عن ديوان البريد ولا سيما نفقاته ، كما أوضح في كتابه رسوم دار الخلافة ، منزلة ومكانة أصحاب البريد وأصحاب الخرائط وغيرهم من موظفي البريد في الدولة .

وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م) تراجم الخلفاء والأمراء والوزراء ، ومن تولى منصب صاحب البريد في الدولة الإسلامية ، وقد زخرت هذه التراجم بمعلومات أفادت الدراسة عن مواصفات صاحب البريد ومهماته ، وما يتعلق بذلك من أمور إدارية .

وأورد ابن القلانسي (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) في تاريخ دمشق معلومات قيمة عن البريد عند الفاطميين وعن استعمالهم للحمام الزاجل في نقل بريدهم بالإضافة إلى مواصفات أصحاب البريد .

وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) معلومات عن ديوان البريد وتطوره ومهماته في عهد الخلفاء العباسيين بحيث أغنت جوانب عديدة لهذا الموضوع .

وفي الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ/١٣٠٠م) معلومات عن نشأة الدواوين وبخاصة ديوان الخاتم وديوان البريد وديوان المظالم ،وكانت الإفادة كبيرة في موضوع الإشراف على الدواوين .

وأورد الأربلي (ت٧١٧هـ/١٣١٧م) في خلاصة الذهب المسبوك معلومات عن أوجه النفقات، وعن عمال البريد في الولايات .

وفي مقدمة إبن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) معلومات قيمة عن نشأة ديوان الرسائل ، عن مكانه صاحبه وعماله ، كما أورد معلومات عن دواوين الخاتم والتوقيع وأعمالها ، كما أفادت في الحديث عن المظالم والقضاة .

وتناول المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) في الخطط ، الحديث عن ديوان الإنشاء والمكاتبات والذي يتولى الإشراف على ديوان البريد بين مصر والشام كما أشار إلى صفات موظفي البريد في عهد الخلفاء الفاطميين كما أشار إلي الحمام الزاجل بإعتباره وسيلة من وسائل النقل في عهد الفاطميين .

وقد وردت اشارات عن البريد في كتاب إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين .

وأورد ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩) في النجوم الزاهرة معلومات عن ديوان البريد في عهد الخليفة المأمون والخليفة المعتصم .

وفي كتب التراجم معلومات قيمة عن الدواوين ، ففي معجم الادباء لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ه/١٢٢٨م) معلومات عن أصحاب الدواوين وثقافتهم ، كما أورد معلومات عن إشراف الوزراء على الدواوين وفيه معلومات متفرقة عن أصحاب ديوان البريد .

وفي وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٣م) معلومات عن اشراف الوزراء على بعض الدواوين وإشارات إلى أعمال عمال البريد .

وفي كتب اللغة معلومات عن الأصول اللغوية لبعض المصطلحات مثل : بريد، فرانق سعاة كوهبانيه ، فيوج .

ومن أهم المصادر الادبية التي أفادت البحث :

كتاب المحاسن والمساوىء لإبراهيم بن محمد البيهقي (ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) الذي أفاد البحث من خلال ما قدمه من معلومات قيمة عن البريد ، ولا سيما في مهماته الإستخبارية ، كما أورد معلومات كثيرة عن ديوان الخاتم وديوان التوقيع .

وفي العقد الفريد ، لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) معلومات كثيرة عن استعمالات البريد وبخاصة في نقل الأشخاص من وإلى مقر الخلافة ، بالإضافة إلى ورود بعض الإشارات التي أفادت في الحديث عن تنظيمات البريد ، وفيه معلومات عن نقش خواتم الخلفاء وتواقيعهم ،

افادت في الحديث عن ديوان الخاتم .

كما قدم كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ /٩٦٦م) معلومات كثيرة وقيمة حول البريد واستعمالاته ،بالإضافة إلى الإشارات التي تتحدث عن تنظيمات البريد وسككه .

وكانت للمعلومات التي قدمها التنوخي فائدة واضحة للدراسة ففي نشوار المحاضرة في أخبار المذاكرة ، الفرج بعد الشدة ، دورهما البارز في إغناء الموضوع بجوانبه المتعددة ، وبخاصة الجانب الإستخباري ، كما أورد معلومات هامة عن استعمالات البريد المختلفة ، والتي كان يقوم بها الفيوج مقابل أجور معينة. وفي كتاب البرهان في وجوه اللسان لابن وهب (ت٣٣٧هـ/٩٤٨م) معلومات وفيرة ولها أهمية خاصة لأن المؤلف من اسرة عريقة في العمل في الدواوين ، وقد أفادته هذه الخبرات في إعطاء صورة دقيقة ،بالإضافة إلى أن مصادره التي إعتمد عليها من رجال الإدارة وفي فترة البحث . فقد أورد معلومات عن موظفي البريد والصفات التي يجب أن تتوافر فيهم .

وأفادت الدراسة من بعض مؤلفات الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) ككتاب القول في البغال الذي أورد فيه معلومات ذات أهمية كبرى في موضوع البريد وسككه وتنظيم بغال البريد فيها . وفي كتاب الحيوان الذي أورد فيه معلومات مفصلة حول العناية بالحمام وتربيته ، كما أوضح كتاب التاج في أخلاق الملوك المنسوب إليه أهمية الناحية الإستخبارية في مهام البريد بالإضافة إلى الإشارات التي وردت في رسائله ، والمحاسن والأضداد والتي أفادت في موضوعها البحث .

وفي بعض المؤلفات الأدبية إشارات لا تخلو من فائدة مثل كتاب المعارف للثعالبي (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م) والمعارف لابن قتيبة (٢٧٦هـ/٨٨٩م).

وفي المصادر الفقهية معلومات مهمة عن ديوان البريد ، وكان أكثرها إفادة لهذا البحث كتاب الخراج لأبي يوسف (ت١٨٢هـ /٧٩٨م) والأحكام السلطانية للماوردي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) .

ومن أهم المصادر الفقهيه كتاب الخراج لأبي يوسف ، فهو وثيقة هامة عن الإدارة المالية في العصر العباسي الأول ، وتأتي أهميته من أن ابا يوسف يتكلم عن واقع عايشه ، ومن إطلاعه الواسع ، كما أنه يعرض سوابق تاريخية مفيدة ، فقد أورد معلومات عن ديوان البريد في صفات عماله ومهامهم ، بالإضافة إلى ضرورة توفير كافة المستلزمات الضرورية لأصحاب البريد والأخبار تسهيلا لأداء مهامهم . بالإضافة إلى توسيع أبواب الرزق لهم لكي لا يقعوا في مزالق الرشوة ، كما أشار إلى نفقات البريد في العهد الأموي .

وفي كتاب الأحكام السلطانية للماوردي معلومات عن البريد ، حيث أوضح الفرق بين إختصاصات كل من المشرف وصاحب البريد في الولاية ، بالإضافة إلى إشارات أفادت في الحديث عن نفقات البريد في إقليم العراق في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك .

أما كتب الجغرافيين والبلدانيين التي رجعت إليها فقد أفادت البحث بشكل كبير ومن ابرز هذه الكتب البلدان لليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) وهو كتاب قيم نظراً للأسفار التي قام بها ، والوظائف الإدارية التي تقلدها ، حيث أفادني في الحديث عن تطور التقسيم الإداري في بلاد الشام والعراق ،حيث تكلم عن العراق ومدنه . وقد إعتمدت عليه بالدرجة الأولى في تقسيم الشام إلى الأجناد الخمسة والمدن الملحقة بها ، وكل ما يخص المدن التي ذكرت أثناء البحث ،كما أنه أورد معلومات مفصلة عن الطرق التي تخترق إقليم العراق إلى شتى أنحاء الدولة مع ذكر مسافاتها .

وكتاب الأعلاق النفيسه لابن رستة (ت٢٩٠هـ/٩٠٢م) فقد أفاد البحث بالدرجة الأولى في وصف لجغرافية بلاد الشام وأسماء أجنادها الخمسة ، ومدنها الملحقة بها بالإضافة إلى وصف طبيعة الأرض التي تمر فيها الطرق .

أما كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) يعتبر من المصادر المهمة في وصف طرق البريد ومحطاته في الدولة ، وتحديد مسافاتها بدقة ، كما أورد اشارات تتمثل بنفقات ديوان البريد في الدولة العباسية ، وتأتي أهمية معلومات ابن خرداذبة كونه شغل منصب صاحب

بريد بنواحي الجبال بإيران في عهد الخليفة المعتمد على الله .

وأفاد كتاب المسالك والممالك للاصطخري (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م) في تعريف المدن والثغور في العراق والشام .

ويعد كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي (ت٣٨٠/٩٩٠م) من المصنفات الجغرافية المهمة ،وقد أفاد البحث فيما يخص تطور التقسيم الإداري في العراق إلى مناطق ومدن ملحقة بها ، وأقسام الجزيرة ،وكذلك تقسيم الشام إلى كور ومدن ملحقة بها .

وكتا ب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) الذي أفاد بصورة كبيرة في تعريف المدن ومواقعها ووصفها بالإضافة إلى أنه أورد بعض المعلومات المتعلقة بالبريد ووسائله.

وفي المؤلفات المعنية بالنواحي الإدارية ، معلومات وفيرة وقيمة مثل كتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر (ت٣٢٩هـ/٩٤٦م) ورسوم دار الخلافة للهلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) ، وصبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

وفي كتاب الخراج لقدامة بن جعفر معلومات واسعة ، أفادت البحث في معظم فصوله وتأتي أهمية معلومات قدامة بأنه كان من كتاب الدواوين ، وله خبرات عملية واسعة فقد توسع في الحديث عن ديوان البريد ،إذ أورد معلومات شملت صاحب البريد وعمال البريد ، والمرتبين والسعاة والفروانقيين ، بالإضافة إلى وصف طرق البريد وسككها بين أجزاء الدولة، ويكاد يتفق قدامة مع إبن خرداذبة في الحديث عن طرق البريد والمسافات فيما بينهم .

أما كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي ، فقد أفاد البحث في تعريف بعض المصطلحات المستعملة في ديوان البريد .

كما قدمت كتب الفتوح بشكل عام نصوصا كثيرة أوضحت دور البريد في الناحية العسكرية،وفي نقل أخبار المعارك من ميادين القتال إلى مركز الخلافة ومن ثم نقل توجيهات

وأوامر القادة إلى الجنود في ساحات القتال ، ومن أبرز هذه الكتب كتاب الأزدي فتوح الشام (٢٣١هـ/٨٤٥م) وكتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)وكتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ/٩٢٦م)

ومن المصادر الإدارية التي أفادت البحث : كتاب اثار الأول في ترتيب الدول للحسن بن عبدالله (من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) وكتاب التعريف بالمصطلح الشريف لإبن فضل الله العمري ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) وكتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) ، ومع أن هذه المصادر متأخرة إلا أن فيها معلومات تتصل بالقرون الأولى ، لذا أفادت في الحديث عن نشأة ديوان البريد، كما أنها أفادت في الحديث عن الجانب الإداري والتنظيمي للبريد .

وهناك عدد من المصادر الأخرى أفاد منها البحث أشير إليها في الهوامش .

الفصل الأول
التقسيمات الإدارية في بلاد الشام والعراق

- حدود بـلاد الشـام وجغرافيتهـــا.
- التقسيمات الإدارية فـي بــلاد الشـام .
- حــــدود العـــــراق وجغرافيتــــها.
- التقسيمات الإدارية في العــــراق والجزيــرة.

حدود بلاد الشام وجغرافيتها:

تشمل بلاد الشام المنطقة الواقعة بين جبال طوروس من الشمال ، والبحر الأبيض من الغرب وبادية الشام وشبه جزيرة العرب من الشرق والجنوب الشرقي ، وخليج العقبة وصحراء سيناء من الجنوب والجنوب الغربي .[(١)]

وإذا حاولنا أن نتتبع الحدود الجنوبية لبلاد الشام فإننا نرى أن اليعقوبي يذكر أن رفح هي الحد الفاصل بين مصر والشام [(٢)] في حين يرى إبن خرداذبة أن هناك شجرة بين رفح والعريش كانت هي الحد بين مصر والشام [(٣)] بينما يذكر ياقوت أن غزة مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر .[(٤)]

اما حدود بلاد الشام الشمالية فهي الثغور [(٥)] وتبدأ من ملطية [(٦)] إلى الحدث [(٧)] ومرعش [(٨)] والهارونية [(٩)] والكنيسة [(١٠)] وعين زربة [(١١)] والمصيصة وأذنة [(١٢)] ومنها إلى طرسوس [(١٣)] وتتميزالحدود الشمالية لبلاد الشام بأنها غير ثابتة ومتغيرة نتيجة للأحوال السياسية والحروب المتواصلة والدائمة مع البيزنطيين ، ولدى البلاذري ما يؤيد ذلك ، إذ يقول : «كانت ثغورالمسلمين أيام عمر وعثمان ، و ما بعد ذلك انطاكية وغيرها من المدن التي سماها الرشيد عواصم ، فكان المسلمون يغزون ما وراءها كغزوهم اليوم ماوراء طرسوس – وكان فيما بين الإسكندرونه وطرسوس حصون ومسالح للروم » .[(١٤)]

---

(١) فليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان ، ج١ ، ص٦٢ – ٦٤

(٢) اليعقوبي : البلدان ،ص٣٣٠

(٣) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص٨٣

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢٠٢

(٥) الاصطخري ، المسالك ، ص٥٥ ، ابن حوقل ، صوره الأرض ، ص١٥٣

(٦) ملطية : بلده في بلاد الروم ، مشهوره تتاخم الشام وهي للمسلمين ، ياقوت ، معجم البلدان ج٥ ، ص١٩٢

(٧) الحدث : قلعة حصينة بين ملطية ، وسميساط ومرعش ، ياقوت معجم البلدان ج٢ ص٢٢٧.

(٨) مرعش : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم ، لها سوران وخندق في وسطها ياقوت ، ج٥ ، ص ١٠٧

(٩) الهارونية : حصن صغير يقع غربي جبل اللكام ، وفي سنة ١٨٣ هـ امر الرشيد ببنائها ، البلاذري ، فتوح ، ص٢٣٤

(١٠) الكنيسة السوداء : وهي عبارة عن حصن ، حيث اعاد الرشيد ما تهدم منها ، ثم امر بتحصينها. البلاذري ،فتوح ص٢٣٤

(١١) عين زربه : وهي مدينة مشهورة بوفرة النخيل والزروع ،وخصوبة الارض ، وفي سنة ١٨٠ ، امر الرشيد بنائها وتحصينها ، البلاذري ، المصدر السابق ، ص٢٣٤

(١٢) اذنة ، تقع على نهر سيحان الذي يصب في بحر الروم وبينها وبين طرسوس ١٨ ميلا ، ياقوت ، ج١ ، ص١٣٣

(١٣) طرسوس : مدينة بين انطاكية وحلب وبينها وبين اذنة ٦ فراسخ أي حوالي ٦٢ كيلومتر ، ياقوت ج٤ ، ص٢٨.

(١٤) البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٢٢

ويمكن القول بصورة عامة أن حدود بلاد الشام سايرت لدرجة واضحة الأوضاع الجغرافية [١] فيحدها من الغرب بحر الروم (البحر المتوسط) ومن الشرق البادية من أيلة (العقبة) إلى الفرات ، ثم من الفرات إلى بحر الروم (المتوسط) ، ومن الشمال بلاد الروم، ومن الجنوب مصر وصحراء سيناء ، ومما يلي الروم الثغور [٢] .

وتشكل بلاد الشام حلقة وصل ما بين البحر الأبيض المتوسط وهضبة الاناضول ، وشبه جزيرة العرب ، كما انها تربط بين وادي الرافدين ، ووادي النيل وأوروبا وقد سكنتها الأقوام السامية منذ عصور قديمة، وهم الأموريون ، والكنعانيون ، والفينيقيون ، والعبرانيون كما وسكنتها قبائل عربية ، هاجرت إليها من جزيرة العرب [٣] وتطلعت إليها انظار البابليين، والأشوريين والمصريين ، والحيثيين ، والفرس وغيرها من الأمم الأخرى .

ولبلاد الشام موقع جغرافي مهم ، بسبب توسطها في نقل التجارة من الداخل والخارج وبالعكس وقد اشتهر الفينيقيون الذين سكنوا سواحلها بالملاحة ، والتجارة ، وكذلك اشتهر الانباط الذين سكنوا جنوب سوريا بالوساطة التجارية لنقل البضائع بين الهند وموانيء البحر الأبيض المتوسط [٥] وكان لها دور كبير في قيام علاقات تجارية بين جنوب بلاد العرب وبعض الأقطار الإغريقية منذ زمن قديم .

وفيما يتعلق بجغرافية وتضاريس بلاد الشام ، فإنها تقسم إلى خمسة أقسام طبيعية من الشمال إلى الجنوب وتختلف هذه الأقسام في اتساعها بين بقعة وأخرى .

١- السهل الساحلي [٦] : ويمتد من الإسكندرونة شمالا إلى العريش جنوبا، ويكوّن الشريط المحصور بين ساحل البحر الأبيض المتوسط من الغرب ، وسلسلة الجبال الغربية من الشرق ، لذا نجد تفاوتا في إتساعه وضيقه من مكان لآخر ، بحسب قرب الجبال وبعدها عن البحر ، ومنطقة ساحل البحر الأبيض هي منطقة سهلية تمتد من الشمال إلى الجنوب وتضم جميع مدن الساحل ابتدءا من طرسوس شمالا حتى رفح جنوبا ، ولكونه سهلا ساحليا فمن الطبيعي أنه لم يشكل اي عائق طبيعي

---

(١) فالح حسين ، الزراعة في بلاد الشام ، ص١٦ .
(٢) الاصطخري : المسالك والممالك ، ص٤٣ ، ابن حوقل ، صورة الارض ، ق١ ، ص١٥٢ .
(٣) دوسو : العرب في سوريا قبل الاسلام ، ص١ .
(٤) فليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان ،ج١ ، ص٦٤.
(٥) فليب حتي : المرجع السابق ، ص٦٤ ، ص ٩٢ - ١٠٣ .
(٦) لسترنج : فلسطين ، ص ٣٢-٣٤ .

ويمكن القول بصورة عامة أن حدود بلاد الشام سايرت لدرجة واضحة الأوضاع الجغرافية [١] فيحدها من الغرب بحر الروم (البحر المتوسط) ومن الشرق البادية من أيلة (العقبة) إلى الفرات ، ثم من الفرات إلى بحر الروم (المتوسط) ، ومن الشمال بلاد الروم، ومن الجنوب مصر وصحراء سيناء ، ومما يلي الروم الثغور [٢] .

وتشكل بلاد الشام حلقة وصل ما بين البحر الأبيض المتوسط وهضبة الاناضول ، وشبه جزيرة العرب ، كما انها تربط بين وادي الرافدين ، ووادي النيل وأوروبا وقد سكنتها الأقوام السامية منذ عصور قديمة، وهم الأموريون ، والكنعانيون ، والفينيقيون ، والعبرانيون كما وسكنتها قبائل عربية ، هاجرت إليها من جزيرة العرب [٣] وتطلعت إليها انظار البابليين، والأشوريين والمصريين ، والحيثيين ، والفرس وغيرها من الأمم الأخرى .

ولبلاد الشام موقع جغرافي مهم ، بسبب توسطها في نقل التجارة من الداخل والخارج وبالعكس وقد اشتهر الفينيقيون الذين سكنوا سواحلها بالملاحة ، والتجارة ، وكذلك اشتهر الانباط الذين سكنوا جنوب سوريا بالوساطة التجارية لنقل البضائع بين الهند وموانيء البحر الأبيض المتوسط [٥] وكان لها دور كبير في قيام علاقات تجارية بين جنوب بلاد العرب وبعض الأقطار الإغريقية منذ زمن قديم .

وفيما يتعلق بجغرافية وتضاريس بلاد الشام ، فإنها تقسم إلى خمسة أقسام طبيعية من الشمال إلى الجنوب وتختلف هذه الأقسام في اتساعها بين بقعة وأخرى .

١- السهل الساحلي [٦] : ويمتد من الإسكندرونة شمالا إلى العريش جنوبا، ويكوّن الشريط المحصور بين ساحل البحر الأبيض المتوسط من الغرب ، وسلسلة الجبال الغربية من الشرق ، لذا نجد تفاوتا في إتساعه وضيقه من مكان لآخر ، بحسب قرب الجبال وبعدها عن البحر ، ومنطقة ساحل البحر الأبيض هي منطقة سهلية تمتد من الشمال إلى الجنوب وتضم جميع مدن الساحل ابتدءا من طرسوس شمالا حتى رفح جنوبا ، ولكونه سهلا ساحليا فمن الطبيعي انه لم يشكل اي عائق طبيعي

---

(١) فالح حسين ، الزراعة في بلاد الشام ، ص١٦ .

(٢) الاصطخري : المسالك والممالك ، ص٤٣ ، ابن حوقل ، صورة الارض ، ق١ ، ص١٥٣ .

(٣) دوسو : العرب في سوريا قبل الاسلام ، ص١ .

(٤) فليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان ،ج١ ، ص٦٤.

(٥) فليب حتى : المرجع السابق ، ص٦٤ ، ص ٩٢ - ١٠٣ .

(٦) لسترنج : فلسطين ، ص ٣٣-٣٤ .

على القوافل.

٢- **سلسلة الجبال الغربية** (١) وهي عبارة عن كتلة جبلية تبدأ من جبال طوروس في الشمال ، وتمتد بإتجاه الجنوب حتى جبال الشراة (٢) وتمتاز بكثرة قراها وينابيعها وحقولها الزراعية ، وتشكل هذه الجبال خطراً دائما على القوافل التجارية والرحالة والحجاج ، إذ أن هذه الجبال بما تحويه من كهوف أصبحت ملجأ لقطاع الطرق الذين يهاجمن القوافل ليلا ونهارا (٣) ، كما أنها كانت تشكل عائقا طبيعيا بسبب تضاريسها التي تعرقل حركة سير القوافل .

أما بداية السلسة فهي جبال اللكام التي تمتد من مرعش في الشمال وحتى السويدية التي يفصلها نهر العاصي عن جبل الاقرع ، ثم تظهر جبال لبنان الغربية التي تواصل إمتدادها جنوبا حتى جبال القدس والخليل ، وفي المقابل تواصل جبال لبنان الشرقية إمتدادها جنوبا حتى جبال البلقاء والشراة (٤) .

٣- **حفرة الإنهدام السورية** (٥) وهي جزء من حفرة الانهدام الكبرى الممتدة من جبال طوروس شمالا إلى هضبة البحيرات الافريقية جنوبا ، وتشمل هذه المنطقة السهول الداخلية وتشتهر بقراها ، وأنهارها ، وحقولها الخصبة ، ومن اشهر سهولها : سهل القاع ، وسهل الغاب، وسهل مرج بن عامر وتشكل هذه السهول مركز استقرار بشري ، فضلا عن كونها لا تشكل عائقا لطرق المواصلات لأنها تتميز بسهولتها .

٤- **سلسلة الجبال الشرقية** (٦) : وتمتد على حواف الإنهدام السوري الإفريقي الشمالي ، وتحيط هذه السلسلة بالمنطقة الداخلية من جهة الشرق ، وتتميز هذه السلسلة بأنها كتلة جبلية متفرقة تشكل خطراً على سير القوافل ، كون قطاع الطرق يتخذون المناطق الجبلية ملاجيء لهم .

---

(١) المقدسي ، احسن ، ص١٨٦

(٢) البكري : الممالك ، ج٤ ، ص٩٧ ، ابو الفداء ، تقويم ، ص٢٢٨

(٣) wrigt , earlytravels in palestine . p36، خالد زيدي : التجارة في بلاد الشام في العصر العباسي الاول ، ص٢٧ - ٢٨

(٤) أبو الفداء ، تقويم ، ص٢٢٨ ، فالح حسين ، الحياة الزراعية ، ص١٨-١٩ ، كان لكتابه فائده كبيرة في دراسة الحدود الجغرافية .

(٥) لسترنج : فلسطين ، ص٢٣ - ٢٤ ، فالح حسين ، المرجع السابق ، ص٢٠ .

(٦) عبدالسلام ، جغرافية سوريا ، ج١ ، ص١١٠ .

٥- بادية الشـــام : [(١)] وتمتد من سلسلة الجبال الشرقية إلى نهر الفرات ،ويوجد فيها بعض الجبال ، أشهرها : جبل بشرى في شمال بادية الشام ،وجبل رم في جنوبها ، وهي عبارة عن أرض سهلية تتخللها بعض الهضاب المتناثرة التي شكلت الأجزاء الشرقية منها حدود بلاد الشام وفيها بعض العيون بمنطقة سوى [(٢)].

وقد أثرت حرارة الشمس المحرقة والعطش الشديد [(٣)] على حركة الحجاج ،والرحالة، والتجار، والجيوش ، عبر الأراضي الشامية ،لهذا لعبت هذه العيون وأبار المياه دورا كبيرا في تجاوز هذا العائق، وتسهيل عمليات الانتقال ، إذ أن توافر آبار المياه والعيون من أهم شروط نجاح وقيام الطرق ، كي تستريح عندها القوافل . فقد ذكر ياقوت : « إن النبك قرية بين حمص ودمشق فيها عين ماء عذبة .[(٤)]

التقسيمات الإدارية في بـلاد الشـام :

قبل أن نتحدث عن التقسيمات الإدارية لبلاد الشام في العصر العباسي ، لا بد أن نشير إلى وضع الشام الإداري في العصر البيزنطي وتطورها في العصر الإسلامي ، فقد كانت الشام في العصر البيزنطي ولاية واحدة مقسمة إلى مقاطعات ، وقد وصف جستينان (٥٢٧-٥٦٥م) هذا التقسيم بأنه يرجع إلى القرن الخامس الميلادي وكان على النحو التالي [(٥)]:-

١- سوريا وقد انقسمت إلى قسمين : -

– **سوريا الأولى :** وتشمل شمال سوريا في الساحل إلى الولاية الفراتيه شرقا ومركزها الإداري أنطاكيا ومن مدنها الرئيسة سلوقيا، [(٦)] واللاذقية، [(٧)] وجبلة ، [(٨)] وحلب .

---

(١) المقدسي ، احسن ، ص ١٨٦ .

(٢) الطبري تاريخ ، ج٣ ، ص ٤٠٩-٤١٠.

(٣) wright , early travelsin palestine , p63

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٥٨ .

(٥) لسترنج : فلسطين في العهد الاسلامي ، ص٤٢ – ٤٤ ، نجدت خماش ، الادارة في العصر الأموي ، ص٣٦ – ٣٧، نقولا زيادة : التطور الإداري لبلاد الشام بين بيزنطة والعرب ، مؤتمر بلاد الشام ، ١٩٧٤ ، ص١١٨ – ١٢٠، عربيات : حضارة ولغة ، ص٩١ – ٩٢

(٦) سلوقيا : مدينة تقع قرب الساحل ، من ارض انطاكية ، ياقوت ، ج٣ ، ص٢٤٢.

(٧) اللاذقية : مدينة في ساحل بحر الشام ، تعد في أعمال حمص وفي غربي جبلة ، ياقوت ، معجم البلدان ،ج٥ ، ص٥

(٨) جبلة : مدينة مشهورة بساحل الشام في أعمال حلب قرب اللاذقية ، ياقوت ، ج٢ ، ص١٠٥.

- سوريا الثانية : جنوب سوريا الأولى وكانت تمتد من الساحل عبر أواسط بلاد الشام إلى الصحراء تقريبا ، وكانت (افامية) [١] مركزها الإداري وتضم المدن : حماة ، والرستن،[٢] وشيرز ،[٣] ، وفي السنوات الأخيرة من حكم جستنيان انتزعت الأجزاء الساحلية من سوريا الثانية ، وجعلت مع المناطق الجبلية المواجهة لها كمنطقة إدارية سميت ثيودورياس .

٢. فينيقيا وقسمت إلى قسمين :

- فينيقيا الساحلية : وقد امتدت على الساحل الشامي من بانياس إلى جنوبي جبل الكرمل ، أما في الداخل فقد ضمت سلسلة الجبال الغربية ، وقد كانت صور [٤] مركزها ، ومن مدنها عكا[٥] وطرابلس ، وبيروت [٦] وصيدا، [٧] وجبيل[٨].

- فينيقيا اللبنانية أو الداخلية : مركزها دمشق ومن مدنها حمص ، وتدمر [٩] ، وبعلبك .

٣- فلسطين وتقسم إلى :

١- فلسطين الأولى : ومركزها مدينة قيسارية[١٠] ومن مدنها نابلس ، وغزة ، وعسقلان .

٢- فلسطين الثانية : ومركزها بيسان ومن مدنها طبرية ، وصفورية ،واللجون .

٣- فلسطين الثالثة : ومدينتها الرئيسة البتراء .

وعندما قام المسلمون بالفتوحات الإسلامية لبلاد الشام وجدوا هذه التقسيمات البيزنطية، فاهتدوا بها في ترتيب البلاد وإدارتها.[١١] إذ عمد الخليفة عمر بن الخطاب

---

(١) افامية : مدينة حصينة ، من سواحل الشام من عمل حمص ، ياقوت ،معجم البلدان، ج١ ، ص٢٢٧

(٢) الرستن : بلدة قديمة على نهر العاصي بين حماة وحمص ، بها آثار بحيرة ، ياقوت معجم البلدان ج٣ ، ص٤٣

(٣) شيرز : ارض في عمل حمص ، البكري معجم ما استعجم ، ج٣ ، ص٨١٨

(٤) صور : احسن الحصون على البحر ، عامرة خصبة ، جليلة ، الاصطخري ، المسالك ، ص٤٥ ، المقدسي ، ص١٦٣،١٦٤

(٥) عكا : مدينة حصينة تقع على البحر حصنها منيع ، المقدسي احسن التقاسيم ، ص١٦٣

(٦) بيروت ، تقع على ساحل بحر الشام : تميزت بمناعة حصنها وكان عليها صور ، المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١٦٠

(٧) صيدا : مدينة على ساحل بحر الشام من اعمال دمشق ، ياقوت ، معجم البلدان ج٣ ، ص٤٣٧

(٨) جبيل : بلد في سواحل الشام ، شرق بيروت ، ياقوت ، معجم البلدان ج٢ ، ص١٠٩

(٩) تدمر: مدينة قديمة مشهورة في بادية الشام ، ياقوت ، ج٢ ، ص ١٧ .

(١٠) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام من اعمال فلسطين ، وبينها وبين طبرية ثلاثة ايام ، ياقوت ، ج٤ ، ص ٤٢١

(١١) خماش: الإدارة في العصر الأموي ، ص٣٧.

- سوريا الثانية : جنوب سوريا الأولى وكانت تمتد من الساحل عبر أواسط بلاد الشام إلى الصحراء تقريبا ، وكانت (أفامية) [(١)] مركزها الإداري وتضم المدن : حماة ، والرستن،[(٢)] وشيرز ،[(٣)] ، وفي السنوات الأخيرة من حكم جستنيان انتزعت الأجزاء الساحلية من سوريا الثانية ، وجعلت مع المناطق الجبلية المواجهة لها كمنطقة إدارية سميت ثيودورياس .

٢. فينيقيا وقسمت إلى قسمين :

- فينيقيا الساحلية : وقد امتدت على الساحل الشامي من بانياس إلى جنوبي جبل الكرمل ، أما في الداخل فقد ضمت سلسلة الجبال الغربية ، وقد كانت صور [(٤)] مركزها ، ومن مدنها عكا[(٥)] وطرابلس ، وبيروت [(٦)] وصيدا، [(٧)] وجبيل[(٨)].

- فينيقيا اللبنانية أو الداخلية : مركزها دمشق ومن مدنها حمص ، وتدمر [(٩)] ، وبعلبك .

٣- فلسطين وتقسم إلى :

١- فلسطين الأولى : ومركزها مدينة قيسارية[(١٠)] ومن مدنها نابلس ، وغزة ، وعسقلان .

٢- فلسطين الثانية : ومركزها بيسان ومن مدنها طبرية ، وصفورية ،واللجون .

٣- فلسطين الثالثة : ومدينتها الرئيسة البتراء .

وعندما قام المسلمون بالفتوحات الإسلامية لبلاد الشام وجدوا هذه التقسيمات البيزنطية، فاهتدوا بها في ترتيب البلاد وإدارتها.[(١١)] إذ عمد الخليفة عمر بن الخطاب

---

(١) افامية : مدينة حصينة ، من سواحل الشام من عمل حمص ، ياقوت ،معجم البلدان، ج١ ، ص٢٢٧

(٢) الرستن : بلدة قديمة على نهر العاصي بين حماة وحمص ، بها آثار بحيرة ، ياقوت ،معجم البلدان ج٣ ، ص٤٣

(٣) شيرز : ارض في عمل حمص ، البكري معجم ما استعجم ، ج٣ ، ص٨١٨

(٤) صور : احسن الحصون على البحر ، عامرة خصبة ، جليلة ، الاصطخري ، المسالك ، ص٤٥ ، المقدسي ، ص١٦٣،١٦٤

(٥) عكا : مدينة حصينة تقع على البحر حصنها منيع ، المقدسي احسن التقاسيم ، ص١٦٣

(٦) بيروت ، تقع على ساحل بحر الشام : تميزت بمناعة حصنها وكان عليها صور ، المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١٦٠

(٧) صيدا : مدينة على ساحل بحر الشام من اعمال دمشق ، ياقوت ، معجم البلدان ج٣ ، ص٤٣٧

(٨) جبيل : بلد في سواحل الشام ، شرق بيروت ، ياقوت ، معجم البلدان ج٢ ، ص١٠٩

(٩) تدمر: مدينة قديمة مشهورة في بادية الشام ، ياقوت ، ج٢ ، ص ١٧.

(١٠) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام من اعمال فلسطين ، وبينها وبين طبرية ثلاثة ايام ، ياقوت ، ج٤ ، ص ٤٢١

(١١) خماش: الإدارة في العصر الأموي ، ص٣٧.

(١٣هـ/٦٣٤م-٢٢هـ/٦٤٣م) إلى تقسيم الشام إلى أربعة أجناد [١] وهي : حمص ، ودمشق، والأردن، وفلسطين ، وقد اتخذت الأجناد معنى إداريا وجغرافيا ، [٢] حيث استقرت في هذه الأجناد فرق من الجيش الإسلامي لحمايتها، ويقبضون أعطياتهم منها [٣] .

والضرورات العسكرية هي التي أوجبت تقسيم الشام إلى هذه الأجناد ، فالساحل الشمالي طويل ، والشام كانت لا تزال مهددة برا وبحرا من قبل البيزنطيين ، فكان لا بد من إيجاد مراكز عسكرية متعددة ، كي يتمكن كل جند من الدفاع عن المدن الساحلية التابعة له [٤] .

إضافة إلى الضرورات العسكرية ، كان هناك الضرورات الاقتصادية ، فكان كل جند من الأجناد يضم منطقة ساحلية ، وأخرى داخلية ، بحيث تستطيع كل منطقة أن تعتمد على الأخرى حربيا واقتصاديا . [٥] ومما لا شك فيه أن للحاجات الادارية دوراً في تقسيم بلاد الشام ، إلى أجناد إذ سهلت عملية الإتصال بين العاصمة - دمشق ، وبين هذه الأجناد ،بالاضافة إلى معرفة أحوال هذه الأجناد ، وما يدور فيها من أحداث وذلك عن طريق عامل البريد المسؤول عنه ، والذي يقوم بعملية رفع التقارير المنتظمة إلى حاضرة الخلافة في دمشق. كما ساعد هذا التقسيم على عملية الضبط الأدري والسياسي للدولـة .

وبعد هذا الإستعراض لنشأة نظام الأجناد لا بد أن نشيرالى انه في العصر الأموي ، ونتيجة تزايد إهتمام المسلمين بحدودهم مع البيزنطيين بسبب الحروب المستمرة بينهم ، نجد أن معاوية بن أبي سفيان (٤١ هـ / ٦٦١ م - ٦٠ هـ /٦٧٩م) قد دفع ابنه يزيد (٦٠ هـ/ ٦٧٩م -٦٤هـ٦٨٣م) الى جعل قنسرين ، وانطاكية، والثغور جنداً، وافردها عن حمص ، وصير حمص واعمالها جنداً [٦] .

وهكذا نلاحظ أن عدد أجناد الشام في العصر الأموي أصبح خمسة أجناد، وذلك لتنظيمها إدارياًعلى نطاق أوسع وذلك تأميناً للحدود. وظل هذا التقسيم قائماً إلى العصر العباسي ولشدة إهتمام الدولةالأسلامية وحرصها على أمنها واستقرارها الداخلي ، فإنها جعلت لكل جند من هذه

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص. ١٨ .
(٢) الدوري: العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام ، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، ١٩٨٦ ، ص ٢٦
(٣) البلاذري: الفتوح ، ص.١٨٠ .
(٤) نجدت خماش : الشام في صدر الإسلام ، ص ٢١٥ .
(٥) نجدت خماش: المرجع السابـق ، ص ٢١٥-٢١٦.
(٦) البلاذري ، فتوح ، ص.١٨٠ .

الأجناد الخمسة صاحب بريد ، وصاحب خبر ، يكتب بأخبار الناحية الخاصة به وما يجري فيها إلى صاحب ديوان البريد [١] ، وهذا بدوره يكتب إلى الخليفة أو من ينوب عنه [٢] ، وسوف نتناول الان هذه التقسيمات والتطورات التي طرأت عليها في العصر العباسي :-

١- جنـد دمشـق :

وقصبتها مدينة دمشق ، وهي كبرى المدن في جند دمشق . قال اليعقوبي [٣] : « مدينة جليلة قديمة ، وهي مدينة الشام في الجاهلية والأسلام ، وليس لها نظير في أجناد الشام في كثرة أنهارها وعمارتها ونهرها الأعظم يقال له بردى » . ويشمل هذا الجند الكور التالية : بانياس [٤] ،وصيدا ، وبيروت ، وطرابلس ، وعرقة [٥] ، وناحيته البقاع ، [٦] ومدينتها بعلبك [٧] ، وعرجموس [٨] ، والزبداني [٩] ولدمشق ستة رساتيق [١٠] الغوطة ، وحوران ، والبثينة ، الجولان، [١١] والبقاع، والحولة « التي تقع بين بانياس ، وصور» [١٢] اما المدن الساحلية لجند دمشق فهي صيدا ، وبيروت ، وطرابلس وعرقه، وجبيل [١٣] ، وتمثل مدينة دمشق قلب شبكة المواصلات في بلاد الشام ، ففيها تلتقي الطرق الطولية والعرضية القادمة من داخل بلاد الشام .

٢- جنـد حمـص :

وقصبة هذا الجند مدنية حمص وهي كبرى المدن في جند حمص ، وتقع على نهر العاصي ،

---

(١) ابن عساكر: تهذيب ج٢، ص١٠٦.

(٢) الجهشياري: الوزراء ، ص١٠١

(٣) اليعقوبي: البلدان ، ص ٣٢٥

(٤) بانياس: مدينة قريبة من دمشق ، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص٧٤.

(٥) عرقة: بلدة في شرقي طرابلس ، وهي اخر عمل دمشق ، ياقوت ، ج٤، ص١٠٩.

(٦) البقاع : وهي بقاعان في الشام ، بقاع بعلبك وبقاع لبنان ، البكري ، معجم ماستعجم ، ج١ ، ص٢٦٣

(٧) بعلبك: مدينة قديمة بينها وبين دمشق مسيرة ثلاثة أيام ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص ٤٥٣

(٨) عرجموس: قرية قرية من بقاع بعلبك ، ياقوت ، ج معجم البلدان ،ج٢ ، ص٩٩.

(٩) الزبداني: كوره مشهورة بين دمشق وبعلبك ، ياقوت معجم البلدان ، ج١ ، ص١٣٠

(١٠) الرساتيق : مفردها رستاق ، وهو على موضع فيه مزارع وقرى ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٧-٣٨.

(١١) الجولان: جبل ف نواحي دمشق ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٨٨

(١٢) المقدسي: احسن التقاسيم ، ص١٥٤

(١٣) اليعقوبي: البلدان ، ص٣٢٧.

وهي من أوسع مدن الشام [١] ، كما أنها في أرض مستوية خصبة ، وتعد من أصلح بلدان الشام تربة ولها مياه جارية، وأشجار وزروع كثيرة، وأكثر زروع رساتيقها أعذاء [٢] تسقى من ماء الأمطار .

ويشمل جند حمص المدن الآتية [٢] حمص ،حماه ، سلمية [٣] ،الرستن،وافامية، ومعرة النعمان، [٤] وشيزر [٥] ،واما مدنها الساحليةفهي الاذقية وجبلة وانطرطوس [٦] وبُلُنْياسُ [٧] .

٣. جنـــد الأردن :

وكانت قصبته مدينة طبريا وهي كبرى المدن في جند الأردن وهي في سفح جبل على بحيرة جليلة [٨] وهي بحيرة طبرية العذبة [٩] ،وقال ياقوت الحموي [١٠] : « طبرية بليدة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي في طرف جبل ... وهي من أعمال الأردن في طرف الغور ... » ، ومن كور الأردن قدس [١١] ، اللجون [١٢] ، أذرعات [١٣] ،فحل [١٤] جُرش [١٥] ، وبيت راس ، [١٦] وبيسان [١٧] ،

---

(١) اليعقوبي: البلدان ، ص٣٢٤ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص١٦٢

(٣) سلمية: بليدة في ناحية البرية من اعمال حماة بينهما مسيرة يومين ، ياقوت ،معجم البلدان، ج٣ ، ص٢٤٠.

(٤) معرة النعمان: بليدة بين حلب وحماة ، كثيرة التين والزيتون ، ياقوت ،معجم البلدان ، ج٥، ص١٥٦.

(٥) ابن حوقل: صورة الأرض ، ص١٦٣.

(٦) انطرطوس : وهي حصن على البحر عليه سور من حجارة ، وهي ثغر لأهل حمص ، ابن حوقل صورة ، ص ١٦٣

(٧) اليعقوبي: البلدان ، ص٣٢٤-٣٢٥ ، بُلُنْياسُ : قورة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر ، ياقوت ، معجم البلدان ،ج١ ، ص٤٨٩ .

(٨) اليعقوبي: البلدان ، ص ٣٢٧.

(٩) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٦٠.

(١٠) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٧

(١١) قدس : تقع في منطقة الجليل الاعلى المحاذية للجولان ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥ ،٣١١

(١٢) اللجون: في الجنوب الغربي من طبرية وهي بلد بالاردن بينه وبين طبريةعشرون ميلاً ، ياقوت ،معجم البلدان ، ج٥ ، ص ١٣

(١٣) اذرعات : بلد في طرف الشام ، يجاور أرض البلقاء وعمان ، ياقوت ، معجم البلدان ج١، ص ٢٤، وهي اليوم مدينة درعا السورية يحيى عبد الرؤوف ، ص٩٩.

(١٤) فحل: اسم موضع في غور الأردن ، وهي اليوم من قرى محافظة اربد بالاردن ، محمود العابدي ، اثارنا ، ص٢٥٠.

(١٥) جرش: اسم مدينة عظيمة قديمة ، تقع في شرقي جبل السواد من أرض البلقاء وحوران ، ياقوت ، ج٢ ، ص١٢٧

(١٦) بيت راس: قرية من ناحية الاردن ينسب إليها الخمر الجيد ، ياقوت ، ج١، ص٥٢٠ ، وهي على ثلاثة أميال إلى الشمال من مدينة اربد بالاردن اليوم ، محمود العابدي ، اثارنا في فلسطين والأردن ، ص٢١٩.

(١٧) المقدسي: احسن التقاسيم ، ص١٥٤.

اما الغور فيبدأ من أول بحيرة طبرية ثم يمتد على بيسان حتى ينتهي إلى زغر [(١)] ويرد البحيرة الميتة[(٢)]، وبعض الغور يتبع جند الأردن إلى أن يجاوز بيسان ، فإذا جاوزه كان من جند فلسطين [(٣)].

٤. جنـد فلسـطين :

وكانت قصبتها الرملة ، ويصفها اليعقوبي بقوله: « الرملة مدينة فلسطين ». [(٤)] ومن كور فلسطين بيت المقدس ، وبيت جبريل ، [(٥)]وغزة ، وعمّان وأريحا و[(٦)] نابلس[(٧)] . اما مدنها الساحلية فهي : قيسارية ، ويافا[(٨)] وعسقلان وغزة .

٥. جنــد قنسرين :

وكانت قصبتها حلب ، قال ياقوت الحموي يصفها : « حلب مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات ، طيبة الهواء » ، وهي قصبة جند قنسرين [(٩)] ، ومن مدنها بالس [(١٠)] ، السويدية ، منبج [(١١)] ، قنسرين ، مرعش ، اسكندرونة [(١٢)] ، حماة ، شيزر ، معرة النعمان ، ومعرة قنسرين[(١٣)] اما مدن جند قنسرين الساحلية فهي الإسكندرونة و، السويدية . وقد ولى الخليفة المقتدر بريد هذا الجند للشاعر ابن بسـام[(١٤)] .

مما تقدم يتضح أن التقسيم الإداري في بلاد الشام قد طرأت عليه تطورات تنحصر فيما يلي :

١. فصل فلسطين عن الشام في عهد أبي العباس أول الخلفاء العباسيين [(١٥)].

---

(١) زغر: قرية في الطرف الجنوبي الشرقي من البحيرة الميتة ، وهي اليوم الغور الصافي بالاردن ، ياقوت ، ج٣، ص١٤٢-١٤٣

(٢) البحيرة الميتة: تسمى الميتة لانه لا يعيش فيها اي حيوان ، ابن حوقل صوره ، ص١٦٩.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض ، ص١٦٠.

(٤) اليعقوبي: البلدان ، ص ٣٢٨.

(٥) بيت جبريل : مدينة سهلية جبلية رستاقها الداروم فيه مقاطع رخام ، المقدسي: احسن التقاسيم ، ص١٧٤.

(٦) اريحا: مدينة قرب بيت المقدس ، ياقوت ، ج٣ ، ص ١١١.

(٧) المقدسي : احسن التقاسيم ، ص٢٨ ، ص١٥٤-١٥٥.

(٨) يافا: بلدة صغيرة على ساحل بحر الشام عليها حصن منيع كبير ولها اسواق عامرة ، المقدسي ، ص١٧٤

(٩) ياقوت: معجم البلدان ، ج٢،ص٢٨٢

(١٠) بالس: مدينة صغيرة تقع غرب نهر الفرات ، كثيرة البساتين ، والغلات الزراعية كالقمح والشعير ، ابن حوقل ، ص١٦٥.

(١١) منبج : مدينة خصبة وحصينة كثيرة الأسواق مشهورة بانتاج الكروم ، ابن حوقل ، ص١٦٦.

(١٢) اسكندرونة مدينة في شرق انطاكية على ساحل بحر الشام ، ياقوت ، ج١ ، ص١٨٢

(١٣) المقدسي: احسن التقاسيم ، ص١٥٤

(١٤) التنوخي ، الفرج ج٢ ، ص٣٠١-٣٠٢ المسعودي مروج ، ج٤، ٢١٣

(١٥) الطبري تاريخ ، ج٧ ، ص٤٦٠.

٢. حدثت تطورات في قنسرين حيث كانت مضافة إلى الجزيرة في العهد الأموي ، وفي عهد يزيد بن معاوية ، فصل قنسرين عن حمص وجعلها مع انطاكية ومنبج [(١)] جنداً واحداً ، أما في العصر العباسي فأفرد الرشيد قنسرين بكورها وصيرها جينداً.

٣- فصل الرشيد ثغور الشام كما فصل ثغور شمال الجزيرة وضمها في وحدة إدارية سميت العواصم وعاصمتها منبج [(٢)] .

حدود العراق وجغرافيته :

يشغل العراق الجزء الجنوبي من منطقة ما بين النهرين ، بينما يشمل الجزء الشمالي منطقة تسمى الجزيرة ، ولكن المعلومات عنهما ليست كافية لدرجة تمكننا من تعين حدود كل منها بدقة تامة[(٣)] وعند الحديث عن حدود العراق لا بد من تناول لفظ السواد ، وذلك لأن كلمة السواد تأتي مرادفة لكلمة العراق ، فكلمة سواد تشير في الحقيقة إلى الأراضي الغرينية ، التي تكون جزءا كبيراً من أراضي [(٤)] العراق .

ويتفق كل من ابن خرداذبة ، والاصطخري ، وابن رستة ، والمسعودي ، وابن حوقل ، على أن السواد يمتد من العلث [(٥)] وحربي [(٦)] شمالا ، إلى الخليج العربي جنوباً ومن حلوان شرقا إلى العذيب بجوار القادسية غربا [(٧)] .

وقد اختلف الرحالة والمؤرخون في تعيين حدود العراق الشمالية ، وذلك لاتصاله المباشر بإقليم الجزيرة من هذه الناحية ، إلا أن هذا الاختلاف كان يرجع إلى التغير المستمر الذي كان يحدث في حدود هذا الإقليم ، فكان الحد بين العراق والجزيرة لدى الجغرافيين العرب الأوائل ، عبارة عن خط يمتد شمالا من الأنبار على الفرات إلى تكريت دجلة ، وكانت المدينتان من أعمال العراق، ثم تغير الخط

---

(١) البلاذري: فتوح ، ص١٨٠

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص١٨٠، ابو الفداء المختصر في أخبار البشر ، ج٢، ص١٢.

(٣) عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي ، ص١٨ بالنسبة لحدود العراق والجزيرة كان لكتاب عبد العزيز الدوري تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ص١٨-٢٢ فائدة كبيرة.

(٤) عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ، ص٢٢

(٥) العلث: قرية على شاطئ دجلة من الجانب الشرقي وبها دير من احسن الديارات موقعا ويقصد من كل بلد.الشابشتي، الديارات ، ص ١٩٦-١٩٧.

(٦) حربي : بليدة في اقصى دجيل بين بغداد وتكريت تنسج فيها الثياب القطنية الغليظة وتحمل إلى سائر البلاد ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ٢٣٥.

(٧) ابن رستة ، الأعلاق ، ص١٠٥ ، المسعودي: التنبه والاشراف ، ص٣٥، ابن خردانبة ، المسالك ، ص١٤ ، الاصطخري ، المسالك ، ابن حوقل: صورة ، ص٢٠٨

فأصبح يتجه من تكريت إلى الغرب مباشرة تقريبا ، فدخل في العراق كثير من المدن التي تقع على الفرات شمال مدينة الأنبار ، ويرى لسترنج ، [(١)] أن هذا الوضع الأخير كان أكثر ملائمة لظروف كل من العراق والجزيرة ، لأن هذا الحد كان يقطع الفرات [(٢)] أسفل عانه حيث ينعطف النهر إنعطافه الكبير نحو الجنوب .

ويسهل تحديد بقية أطرف العراق فإلى الغرب يقع الجزء الشمالي من شبه الجزيرة العربية وتعد القادسية أول حدود العراق من هذه الناحية ، ويحده من الجنوب الخليج العربي (الفارسي قديما) حيث تقع مدينة البصرة ، ويحده شرقا كل من إقليم خوزستان (الأهواز) وإقليم الجبال[(٣)] .

ويحدد كل من الإصطخري ، وابن حوقل العراق كما يلي من تكريت شمالا إلى الخليج العربي جنوبا ومن حلوان شرقا إلى القادسية غربا ، كما انهما يجعلان حلوان في القسم الوسطي بين واسط والطيب ، [(٤)] وفي القسم الجنوبي بين البصرة وجبّي ، ويعتبر المقدسي (٣٨٧هـ/٩٩٧م) الخط من الانبار إلى السن هو حد العراق الشمالي [(٦)]

أما الجزيرة فتعني عادة الأراضي التي تحيط بها المياه ، وقد أطلق العرب إسم الجزيرة على شمال منطقة ما بين النهرين ، لأن أعالي دجلة والفرات تكتنف سهولها [(٧)] ، إلا أن ذلك التعريف لا يضع تحديدا دقيقا لإقليم الجزيرة من الناحية الإدارية ، فقد ذكر ابن حوقل ، أنه كانت توجد إلى شرق نهر دجلة وإلى غرب الفرات ، مدن وقرى تعتبر من أعمال الجزيرة [(٨)] ، مع أنها تقع خارجها ، وهذا يعني أن دجلة والفرات لم يشكلا حدا إداريا لمنطقة إقليم الجزيرة ، ويؤيد لسترنج [(٩)] ذلك فيما يتعلق بالحدود الشرقية لهذا الإقليم ، حينما يذكر أن المدن والكور التي كانت تحف بضفاف الفرات الأعلى ، وكذلك بالضفة الشرقية لنهر دجلة ، كانت تعد في الغالب من الفترة التي تناولها بحثنا مضافة إلى إقليم الجزيـرة.

---

(١) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ، ص٤١.

(٢) لسترنج: المرجع السابق ، ص٤٦.

(٣) المقدسي: احسن التقاسنم ، ٤١١.

(٤) الطيب: بلبدة بين واسط وخوزستان ، وبينهما ثمانية عشر فرسخاً . ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤، ص٣٥.

(٥) الاصطخري ، المسالك ، ص٥٦، ابن حوقل صورة ، ق١ ، ص٢٠٨ ، جبي: بلد أو كورة من عمل خوزستان ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٩٧.

(٦) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١٣٤ .

(٧) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ، ص١١٤.

(٨) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٨٩.

(٩) لسترنج:بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٤٧.

ونستطيع بناء على ما ذكره الجغرافيون العرب امثال ابن خرداذبة ، والاصطخري ، وابن حوقل، والمقدسي ،أن نعين حدود إقليم الجزيرة على النحو التالي : من الجنوب خط يمر من الانبار إلى تكريت، ثم يصعد شمالا إلى السن والحديثة والموصل وجزيرة ابن عمر حتى امد (ديار بكر اليوم) ، ثم يسير غربا إلى سميساط فالفرات الذي يكون حدها الغربي [١] ، كما ذكر الإصطخري انه توجد على شرق دجلة وغربي الفرات قرى ومدن ، تنسب إلى الجزيرة وهي خارجة عنها لقربها منها [٢] . وكان ابن حوقل في تحديده للجزيرة اكثر وضوحا من الإصطخري ، فقد اشار إلى قرى ومدن « خارجة عنها ونائية عنها ، وذكر أنها تحسب على الجزيرة ليبين أنها تشمل الأراضي بين النهرين ووراءهما » [٣].

ويدخل ابن حوقل الأراضي على الزابين في الجزيرة [٤] ، ويدخل ابن خرداذبة ارزن وميافارقين في هذا الإقليم من جهة الشمال [٥] ، واضاف ابن رستة ملطية إليها [٦].

وهكذا نلاحظ أن الجزيرة لا تقتصر على الأراضي بين دجلة والفرات ، بل تشمل جهات إلى الشمال من دجلة - ارزن وميافارقين - وأراضي تمتد على الضفة الغربية للفرات ، وبعض المناطق شرق دجلة على شرقي الخابور ، وفيما بين الزابين .

وفي إطار تلك الحدود التي أوضحناها فإن بلاد ما بين النهرين بمنطقتيهما العراق والجزيرة يحدها خط يبدأ من عبادان على الخليج العربي ، ويسير شمالا إلى جبي ، فالطيب فحلوان ، ثم يتجه وجهه شمالية غربية إلى تكريت ، ثم السن ، ثم حديثه ، ثم الموصل ، ثم جزيرة بن عمر ثم ارزن ، وبعد ذلك يسير غربا إلى ميافارقين وأمد وملطية ، ثم جنوبا مع الفرات إلى العذيب ثم شرقا بعد أن يدور حول البطيحة إلى البصرة فالخليج العربي [٧].

وفي يتعلق بأقسام العراق الطبيعية ، فإن غالبية أرض العراق سهل رسوبي تكوّن من الترسبات التي يحملها نهر ، دجلة والفرات ، كما كان لعمليات الترسيب بجانب ضفاف النهر وبعيدا عنه اثر في

---

(١) الاصطخري ، المسالك ، ص٥٢-٥٣

(٢) الاصطخري ، المسالك ، ص٥٢

(٣) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٨٩

(٤) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص٢٠٥

(٥) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص٩٧

(٦) ابن رسته ، الاعلاق ، ص ١٠٦-١٠٧

(٧) عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص٢٠.

تكوين مدرجات سهلية تنحدر كلما إبتعدنا عن النهر ، وتختلف تربة هذه المدرجات وخصوبتها، فالأراضي القريبة من ضفاف الأنها تمتاز بسهولة الصرف لكبر ذراتها ، مما جعلها أكثر خصوبة من السهول الداخلية ،(١) كما أن عملية المد التي تحدث يوميا في الخليج العربي ، ساعدت على تقليل سرعة تيار المياه في نهر دجلة ، كما ساعدت على كثرة ترسباته في المنطقة ، مما جعل سهل البصرة سهلا مرتفعا عن الخليج العربي وعن منطقة البطائح .(٢) وهذا مما جعل شط العرب صالحا للملاحة في أقسامه العليا ، كما هو الحال بين تل فافان والموصل (٣) ، وكان النقل فيه بين الموصل وبغداد إعتياديا(٤) .

أما منطقة البطائح والتي تشكل جزءا من السهل الرسوبي ، فهي قديمة ذكرت في الكتابات المسمارية بإسم (أكامي) ومعناها البطائح و (أبراته) ومعناها إقليم القصب (٥)، وكانت هذه البطائح تغمر مساحات واسعة بين واسط والبصرة ، ويكثف فيها القصب عدا بعض البقع ، وكان الانتقال فيها عسيرا ، ولا يتم إلا عبر قنوات ضيقة من القصب (٦) كما أن طبيعة البطيحة وظروف الحياة فيها ، جعلتها معزولة لدرجة ملحوظة عن الحضارات المجاورة ، وجلعت التغلغل فيها عسيرا ، مما جعل اللصوص والثوار يتخذونها ملجأ لهم ، والإشارات التاريخية على ذلك كثيرة : ففي عام (٢١٩هـ /٨٣٤م) عاث الزط بطريق البصرة وأخافوا السبيل ، فوجه المعتصم عجيف بن عنبسة لحربهم ، ومثال آخر ثورة الزنج في أواسط القرن الثالث الهجري ، وتمرد عمران ابن شاهين في القرن الرابع الهجري (٧) ونتيجة لأعمال هؤلاء اللصوص والثوار فقد وجدت في المحلات اليابسة الموجودة بين الممرات المائية في البطيحة بيوتا من القصب فيها عدد من الحراس لضمان سلامة المواصلات(٨) .

---

(١) جمال جودة : العرب والأرض في العراق ، ص٤٠٦ .

(٢) ابن رسته: الأعلاق النفسية ، ص٩٤ .

(٣) الدوري، تاريخ العراق، ص ١٤١ .

(٤) الدوري، المرجع السابق ، ص١٤١ .

(٥) سترك ، البطيحة ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج٣، ص٦٨٢-٦٩٢

(٦) ابن رسته ، الاعلاق ، ص١٨٥

(٧) البلاذري ،فتوح، ص٥٢٢-٥٢٣ ، الطبري ، تاريخ ، ج٩، ص٨-٩ ، مسكوية ،تجارب ، ج٦ ، ص٤٧١ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١١ ، ص٤٢، ابن الأثير ، الكامل،ج٦، ص١٦ ، النويري ، نهاية الارب ، ج٥٢، ص١٨٥ .

(٨) ابن رسته: الاعلاق النفيسة ، ص١٨٥ ، عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراق ، ص٢٠

وعلى هذا فإنه يمكن تقسيم سطح العراق بصورة عامة إلى ثلاثة أقسام :

١- **السهل الرسوبي** : الذي يقع في وسط وجنوب العراق ، ويحيط بنهري دجلة والفرات ، وفيه إنحصر التوطن ومراكز تجمع السكان حول ضفاف الأنهار ، وكذلك إتبعت طرق المواصلات ضفاف الأنهار وفروعها ، وتمر أطول الطرق بمحاذاتها [(١)].

٢- **المنطقة الجبلية** : وتقع في الشمال الشرقي من العراق وتسمى جبل بارما (حمرين) ، وتبدأ هذه السلسلة من شرقي البندينجين (مدلي) ، وتمر جنوب جلولاء حيث يقطعها نهر ديالي ، ثم تسير إلى الشمال الغربي نحو نهر العظيم ، ثم تمتد إلى مصب الزاب الأسفل على نهر دجلة . وتشح المياه في هذه المنطقة التي توجد فيها السلاسل الجبلية ، [(٢)] مما يؤثر على حركة سير القوافل ، والرحالة ، والتجار ، إضافة إلى أن المناطق الجبلية تعرقل حركة المواصلات ، إذ يجب أن تبتعد طرق المواصلات عن المناطق الجبلية والصخرية الوعرة المسلك ، وذلك لتسهيل التنقل ، ومن ثم المقدرة على الوصول إلى مصادر المياه كالأودية والواحات ، وهذا شرط أساسي لقيام الطرق . ولكن إمتداد السلاسل الجبلية في العراق في اتجاه شمالي غربي - جنوبي شرقي جعل الاتصال أو التنقل في هذا الاتجاه أسهل منه في الاتجاهات الأخرى .

٣- **الهضبة الصحراوية** : وتحتل القسم الغربي من العراق ، وتقل الأمطار في هذه الهضبة لذا نجد أن تحركات القبائل قليلة ، لقلة وندرة مياه الشرب التي يُحصل عليها من بعض العيون والآبار . إذ أن طرق المواصلات تتبع قرى متباعدة وقائمة على الآبار والعيون ، فقد كانت القبائل البدوية تنزل بالقرب من هذه العيون والآبار [(٣)] ، حيث كان من الشروط اللازمة لقيام الطرق ، توافر آبار المياه العذبة كي تستريح عندها القوافل .

وبعد دراسة كل من جغرافية بلاد الشام والعراق نلاحظ أن هناك عوامل طبيعية وبشرية أثرت على نظام طرق المواصلات ومن هذه العوامل :

الموقع الجغرافي للمنطقة ، طبيعة الأرض من حيث السهولة والصعوبة ، وجود آبار المياه والينابيع ، إذ أن طرق المواصلات كانت تتبع ضفاف الأنهار وفروعها ، وتمر أطول الطرق بمحاذاتها .

---

(١) طه الهاشمي : ص٣٧ ، جاسم محمد خلف ، العراق ، ص٢٤٠.

(٢) طه الهاشمي ، ص١٩.

(٣) طه الهاشمي : ص٣٧ ، جاسم محمد خلف ، العراق ، ص٢٤١.

كما أن الطرق كانت تركز على مراكز الثروة الزاعية ، والمعدنية ، إذ أن توفر المنتجات الزراعية ، والخامات المعدنية في المنطقة له أثر عظيم في أن تصبح مركزا لطرق المواصلات ، بالإضافة إلى مراكز تجمع السكان ، حيث أن لقرب أماكن العمران من بعضها البعض اهمية في كون موقع معين يصبح مركزا تجاريا او محطة نزول ، مثل الطريق بين الرقة وحمص.(١)

كما أن توزيع المراكز الإدارية كان ذا أثر واضح في نظام طرق المواصلات فقد كانت كل من مدينة دمشق ومدينة بغداد من أهم مراكز تجمع المواصلات

التقسيمات الإدارية في العراق:-

لقد ذكرت فيما سبق أن العراق كان يشغل الجزء الجنوبي من منطقة ما بين النهرين وقد تبدلت حدوده عدة مرات.

وعند قيام الدولة العباسية تحول مركز الإدارة من الشام إلى العراق ، وحدثت بعض التعديلات في الإقليم العراقي ، فقد ذكر ابن خرداذبة (٢) أن العراق كان يتكون من اثنتي عشرة كورةٌ ، وعندما فتح العرب العراق كانت أكبر مدنه طَيْسَفُون فسموها المدائن (٣)، ثم أنشأوا مدنا بالكوفة والبصرة وسميتا العراقين ، وفي نهاية العصر الأموي كان العراق يتألف من خمسة اقسام:- (٤)

١- البصرة: وتشمل الأبلة وعبادان.

٢- الكوفة: وتشمل الأراضي المحيطة بها بما فيها القادسية وعين التمر .

وكانت كل من البصرة والكوفة عبارة عن مراكز مدنية مسؤولة عن منطقة ريفية كبرى هي الأهواز بالنسبة للبصرة والسواد بالنسبة للكوفة.

٣- النهروان: وتضم المدائن ، وجُلولاء .

٤- حلوان : وتضم خانقين، والبَرْدان.

٥- الأنبار: ويتبعها تكريت ، وهيت.

---

(١) الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص٦٤٩-٦٥٠

(٢) . ابن خردانبة: المسالك والممالك ، ص٥ ، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٠٦ .

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ، ص ٣٦٦ ، الطبري ، ج٢ ، ص ١٨٩ ، الطسوج: الناحية.

(٤) مولوي،حسيني: الإدارة العربية،ص١٩١-١٩٢

ويشير المقدسي [(١)] عند كلامه عن العواصم الإدارية لمناطق الدولة الإسلامية انه كان في العراق خمس عواصم هي البصرة ، والكوفة ، وواسط ، وحُلوان ، وسامرا ء، ولم يشر إلى بغداد باعتبارها العاصمة ، والتي تشرف على كافة نواحي العراق ، وعلى هذا يصبح العراق مقسماً إلى ست مناطق في العصر العباسي الأول:

١- منطقة حلوان: وقصبتها حلوان ، وأهم مدنها قصر شيرين ، خانقين [(٢)] ، جلولاء.

٢- منطقة بغداد : وقصبتها بغداد [(٣)] وأهم مدنها : المدائن ، النهروان ، الأنبار [(٤)] ، وتمثل مدينة بغداد مركزاً تلتقي فيه خمس طرق تؤدي إلى مختلف أنحاء العالم.

٣- منطقة واسط: وقصبتها واسط ، وأهم مدنها الرصافة ، فم الصلح [(٥)].

٤- منطقة البصرة: وقصبتها البصرة ، [(٦)] وأهم مدنها عبادان ، الأبله [(٧)] ، المفتح المذار ، وتمثل ملتقى لطرق مواصلات هامة.

٥- منطقة الكوفة: وقصبتها الكوفة [(٨)] أهم مدنها القادسية [(٩)]، الحيرة [(١٠)] ، كربلاء [(١١)]

٦- منطقة سامراء [(١٢)]: وقصبتها سامراء ، وتشمل الجزء الشمالي من اقليم العراق وأهم مدنها تكريت، ، [(١٣)] وهيت .

---

(١) المقدسي:احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص٤٨.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ، ص ٤٢٣ ، فتح جرير بن عبدالله خانقين على عهد عمر بن الخطاب.

(٣) اليعقوبي: البلدان ، ٢٣٥

(٤) الأصطخري: مسالك الممالك ، ص ٥٩-٦٧ ، سميت بالأنبار لأنه كان فيها انابير الحنطة والشعير وقد اقام فيا أبو العباس السفاح اول خلفاء العباسيين.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ، ص ٤٠٧ ، بنى الحجاج واسط سنة ٨٣هـ ، وسميت واسط لتوسطها بين الكوفة والبصرة.

(٦) المقدسي: احسن التقاسيم ، ص١٧٢.

(٧) البلاذري: فتوح ، ص٤٧٧ ، ان عتبة بن غزوان فتح الابله على عهد عمر بن الخطاب وهي فرصة البحرين وعُمان والهند والصين.

(٨) الاصطخري: مسالك الممالك ، ص ٥٨ ، تأسست الكوفة بعد بناء البصرة سنة ١٧هـ على يد سعد ابن ابي وقاص.

(٩) البكري ، الممالك ، ج٣ ، ص ١٤٦ ، سميت القادسية لأن قوماً من اهل فارس نزلها ومنخم رجل اسمه قدس.

(١٠) البلاذري: فتوح ، ص ١٥٢ ، فتح خالد بن الوليد الحيرة على عهد ابي بكر الصديق.

(١١) الاصطخري: مسالك الممالك ص ٥٧ ، تقع كربلاء غربي نهر الفرات في محاذاة قصر ابن هبيرة.

(١٢) لسترنج: بلدان ، ص ٧٦-٨٠.

(١٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٩٤. تقع تكريت على ضفة دجلة الغربية وتعد اخر مدينة في حد العراق.

وهكذا نرى أن العراق كان يضم ست وحدات إدارية رئيسة هي: حلوان ، بغداد ، واسط ، البصرة ، الكوفة ، سامراء ، وكان على كل منها عامل ، ولها عدد من الكور والطساسيج ، والقرى[١] ، وكانت هذه الكور موجودة منذ عهد الفرس لتنظيم عملية جباية الخراج[٢] . وكان لكل من هذه الوحدات الإدارية عمال بريد ، يكتبون أخبار هذه النواحي إلى صاحب ديوان البريد الرئيسي في بغداد[٣] ، ففي خلافة المقتدر كان عامل البريد بواسط ، يدعى إبن بطحاء سنة ٣١٦هـ[٤] ، وفي خلافة المنصور كان عامل البريد على البصرة ، يدعى سليمان بن مجالد[٥] . وفي خلافة المتوكل على الله كان عامل البريد على مدينة سامراء، يدعى إبراهيم بن عطاء سنة ٢٣٦هـ[٦] .

ومن خلال ما عرضناه من تطورات في التقسيم الإداري لبلاد العراق نلاحظ ما يلي:

١- ظهور واسط كمنطقة إدارية كما ذكر المقدسي[٧].

٢- حدثت تطورات في مدينة البصرة ، فقد انفصلت عن الكوفة بعد أن كانتا وحدة إدارية واحدة في بعض السنين في العصر الأموي[٨] ، إذ أصبحت كل منهما تمثل وحدة إدارية منفصلة.

وفي عهد العباسيين ، ضمت إلى البصرة كور دجلة و، البحرين ، وعُمان، وإقليم الجبل وفي سنة[٩] ١٦٣هـ ضمت البصرة إلى فارس ، والبحرين ، والأهواز ، فظلت على هذه الحال إلى سنة (١٦٥هـ ، ٧٨١م) .

٣ – أضيفت منطقة حلوان إلى أعمال الجبل بعد أن كانت تابعة لإقليم العراق[١٠] .

٤- أنشئت بغداد سنة ١٤٥هـ وضمت إليها المدائن ، وجلولاء ، وكانتا قسماً منفرداً.

٥- أنشئت مدينة سامراء سنة (٢٢١هـ/٨٣٥م) وضمت إليها تكريت وهيت اللتان كانتا ضمن منطقة الأنبار وأصبحت منطقة إدارية.

---

(١) توفيق الخفاجي: النظم المالية والإدارية في العراق وفارس ، ص٢٢.
(٢) عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٤٨.
(٣) الطبري تاريخ ، ج٧ ، ص ٦٧ ، مسكوية ، تجارب ، ج٦ ، ص٥٦٧ ، ابن الأثير، ج٧، ص ١٢٦- ١٢٧.
(٤) الهمذاني ، تكمله ، ص ٢٣٥.
(٥) البلاذري : انساب الأسراف ، ق٢ ص١١١.
(٦) الطبري : الطبري تاريخ ، ج٩ ، ص ١٨٤.
(٧) المقدسي: احسن التقاسيم ، ص ١١٤.
(٨) زامباور: معجم الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ج١ ، ص٦٣-٦٨
(٩) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص ١٤٩.
(١٠) المسعودي: التنبيه والاشراف ، ص ٣٧.

٦- ظهور وحدة إدارية في عهد العباسيين ، وهي إمارة الموصل التي فصلت عن الجزيرة زمن أبي العباس سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م) [(١)] ، وظلت ولاية قائمة بذاتها حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، حيث إندمجت مرة ثانية في ولاية الجزيرة ، وكانت شهرزور واعمالها منضمة إلى الموصل ، لكنها فصلت عنها في أخر أيام عهد الرشيد وضمت إلى أعمال الجبل [(٢)] .

وخلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي طرأ تغير ملموس على الأقسام الإدارية.

فقد ذكر ابن حوقل أن منطقة البصرة قد تدهورت أحوالها ، بسبب غارات البدو المستمرة عليها[(٣)] ، أما منطقة واسط فقد بقيت محتفظة بمكانتها مفردة بأعمالها [(٤)] ، وأما الكوفة فقد ضمت أعمالها إلى أعمال منطقة بغداد ، وأصبحت دواوين العاصمة [(٥)] تتولى شؤون الكوفة ، ويرجع ذلك إلى تدهور أحوال هذه المنطقة بسبب نهب القرامطة لها سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م). بل أنهم استولوا عليها سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م ، ٣١٥هـ/٩٢٧م ، ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م) ، ٣٢٥ هـ /٩٣٦م).

وقد أشار المسعودي [(٦)] إلى هذا التغير في تقسيمات العراق الإدارية في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بسبب سيطرة الأتراك والديلم وتدخلهم في الشؤون الإدارية والمالية للدولة.

ب ـ أقليم الجزيرة: ـ

لقد أطلق على شمال منطقة ما بين النهرين إسم الجزيرة ، وهي من فتوح عياض بن غنم أيام عمر بن الخطاب [(٧)] ، وكانت تقسم إلى ثلاثة اقسام: ديار بكر ، ديار ربيعة ، وديار مضر [(٨)] . واستمر هذا التقسيم في عهد الدولة العباسية ، وإن كانت قد حدثت بعض التعديلات الإدارية بها خلال تلك الفترة:-

١- ديار بكر: وهي أصغر الأقسام الثلاثة ، وتقع شمال الجزيرة في المنطقة التي يسقيها دجلة وروافده ، وكانت قصبة هذا القسم مدينة امد [(٩)] ، ومن أهم كورها ، ميافارقين [(١٠)] ، وحصن

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٧ ، ص٤٥٨.
(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٦٧.
(٣) ابن حوقل: صورة الأرض ، ص ٢١٢.
(٤) ابن حوقل: المصدر السابق ، ص ٢١٤.
(٥) ابن حوقل: المصدر السابق ، ص ٢١٥.
(٦) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٧.
(٧) البلاذري : فتوح ، ص ٢٤١.
(٨) المقدسي: أحسن التقاسيم ، ص ١٣٦-١٣٧
(٩) المقدسي : المصدر السابق ، ١٣٧
(١٠) لسترنج ، بلدان الخلافة ، ص ١٤٣.

كيفا [١] وأرزن [٢].

٢- ديار مضر: تقع إلى الجنوب الغربي من إقليم الجزيرة ، وتشمل الأراضي المحاذية للفرات من سميساط إلى عانة ، قرب حدود إقليم العراق بالاضافة إلى السهول التي يسقيها نهر بلخ الآتي من حرّان ، وقصبة هذا الاقليم الرقّة ، ومن أهم كوره ، حران ، الرها باجروان ، سروج ، قرقيساء [٣].

أما القسم الثالث من أقسام الجزيرة فهو ديار ربيعة حيث تقع إلى الشرق من ديار مضر، وتتألف من الأراضي التي تقع شرق نهر الخابور الكبير ، والأراضي التي تقع شرق نهر الهرماس، بالإضافة إلى الأراضي التي تقع على ضفتي دجلة ، والتي كانت تمتد شرق هذا النهر ليشمل سهول انهار الزاب الأسفل ، والزاب الأعلى ونهر الخابور الصغير [٤] ، وأهم كور هذا الاقليم [٥] نصبين ، طور عبدين ، بلد ، رأس العين ، كما يضيف إبن خرداذبة بعض من كور ديار بكر مثل أرزن وميافارقين ، ماردين ، وآمد ، ويعتبرها من كور ديار ربيعة [٦]. وكان على كل قسم من هذه الأقسام عامل بريد.

أما قدامة بن جعفر [٨] فإنه يضيف عند تقسيمه الجزيرة عدداً من كور منطقة ديار بكر إلى منطقة ديار ربيعةمثل أرزن ، ميافارقين ، كفرتوثا ، سنجار ، الخابور ، كما أفرد الموصل بمدن أخرى.

وفيما يتعلق بالمدن في شمال الجزيرة فقد كانت حصينة ، إذ أن الجزء الشمالي من هذا الإقليم كان معرضاً بإستمرار لهجمات الروم ، وقد وصف آدم متز الأحوال [٩] المضطربة في هذه المنطقة خلال القرن (الرابع الهجري / العاشر الميلادي) من جراء غارات الروم المستمرة. وقد أدى ذلك إلى أن أصبحت أجزاء كثيرة من ديار بكر في قبضة ايديهم ، ولعل هذا يفسر لنا في أن المقدسي ضم بعض كور هذه المنطقة المضطربة إلى منطقة ديار ربيعة مثل أرزن وميافارقين وهذا مما جعل هذه المنطقة

---

(١) هي مدينة Kiphas الرومية. ويذكر لسترنج ص ١٤٥ ان أول مدينة من عمل ارمينية في هذه الناحية كانت سهرت.

(٢) أرزن: تقع على الضفة الغربية لنهر أدواد يُقال له سربط ، ولأرزن حصن منيع ، لسترنج ، ص ١٤٤.

(٣) المقدسي: احسن التقاسيم ، ص٢٧ ، ابن حوقل ، ص٢٠٢.

(٤) أبو الفداء: تقويم البدان ، ص٢٩٨-٢٣٠ ، لسترنج : بلدان ، ص ١١٥.

(٥) لسترنج: بلدان الخلافة ، ص ١١٥

(٦) ابن خرداذبة: المسالك والممالك ، ص ٩٤-٩٥

(٧) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٩٤، ٩٥.

(٨) قدامة بن جعفر،الخراج ص٢٤٦ .

(٩) ادم متز :الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،ج١ص٦-٩.

عامرة بالمدن المحصنة ، والتي اعتبرت بمثابة قلاع تدافع عن الحدود الشمالية للدولة الإسلامية وسميت بالثغور وقد ذكر ابن خرداذبة [(١)] الثغور الجزرية وهي:- الرها ، سلغوس ، كيوم ، سميساط ، ملطية ، زبطرة ، الحدث ، مرعش ، حصن منصور ، قورس ، دلوك ، رعبان ، أما قدامة بن جعفر [(٢)] فإنه قسم الثغور إلى قسمين : أحدهما الثغور الجزرية ، والثانية أطلق عليها الثغور البكرية ، وتقع شمال منطقة ديار بكر وهي سميساط ، جاتي ، ملكين ، حصن منبج ، حوران . وكان على كل قسم من هذه الاقسام عامل بريد يبعث بأخبار ناحيته إلى حاضرة الخلافة بغداد وقد كان صاحب الخبر بديار مضر في عهد الخليفة المعتز يدعى محمد بن الأشعث [(٣)] ، وفي خلافة المعتضد كان فاتك مولى المعتضد صاحب البريد على الموصل وأعمال الجزيرة والثغور الشامية الجزرية [(٤)] .

وبعد هذا الاستعراض للتقسيم الإداري في اقليم الجزيرة نستطيع أن نلحض التغيرات والتطورات التي طرأت على هذا الإقليم:-

١- تم فصل الموصل عن الجزيرة وأصبحت وحدة إدارية قائمة بذاتها منذ عام ١٣٢هـ وقد قام بذلك الخليفة أبو العباس السفاح [(٥)] ، وكانت منطقة الموصل في القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي تحتل جزءاً كبيراً من ديار ربيعة ، ولذلك إعتبرها لسترنج [(٦)] قصبة هذه المنطقة ، وبقيت الأوضاع في منطقة الجزيرة على هذه الحال حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، وعندما حل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي إزداد نفوذ الحمدانيين في الجزيرة ، وأصبحت الموصل مرتبطة بديار ربيعة في أغلب الأحيان ، وكانت احياناً كثيرة تعتبر عاصمة لاقليم الجزيرة ، ولعل ذلك يفسر لنا ما أورده كل من المقدسي وابن حوقل عن اقليم الجزيرة فقد ذكر الأول أنها قصبة ديار ربيعة [(٧)] وقال الثاني أنه كان بها دار أمير الجزيرة ودواوينه [(٨)] .

أما التطور الثاني الذي حدث في منطقة الجزيرة فهو فصل مدينة شهرزور عن الموصل ، وضمت إلى أعمال الجبل ، وقد حدث ذلك في عهد الخليفة هارون الرشيد وذكر البلاذري [(٩)] أنه في عهد هذا

---

(١) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٩٧
(٢) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص٢٥٤-٢٥٥
(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، ج٢، ص٥٠١
(٤) الطبري ، تاريخ،ج١٠،ص٦٨ ابن الأثير الكامل ، ج٦، ص ٣٦٤
(٥) الطبري تاريخ،ج٩،ص ١٤٧
(٦) لسترنج ، بلدان ، ص ١٥
(٧) المقدسي: احسن التقسيم ، ص ١٣٨-١٤١
(٨) ابن حوقل ، صورة ، ص ١٩٤
(٩) البلاذري ، فتوح ، ص ٤٦٧

الخليفة فصلت شهرزور عن الموصل وضمت إلى اعمال الجبل ، وأصبحت بذلك شهرزور تمثل اقصى منطقة تقع على الحد الغربي لاقليم الجبل عند التقائه مع اقليم الجزيرة.

وأما التغير الإداري الثالث فقد تم فيه فصل القسم الشمالي في الجزيرة عنها ، إذ ان هذا الجزء كان معرضاً بإستمرار لغزوات الروم ، فأصبحت في هذه المنطقة مدن محصنة للدفاع عن الحدود ، وسميت الثغور [١] ، أسوة بثغور الشام التي اهتم بها معاوية بن أبي سفيان ، وقد فصلت هذه الثغور في عهد الرشيد سنة (١٧٠هـ/٧٨٦م) عن شمال الجزيرة والشام ، وأصبحت وحدة إدارية سميت العواصم وعاصمتها منبج [٢] ، وأصبحت حدود ديار بكر وربيعة تنتهي عند منطقة أمد وحصن منصور.

وقد تعرض إقليم الجزيرة إلى كثير من الإضطرابات ، والفوضى السياسية ، فقد كان حكم الحمدانيين بالموصل وسائر أنحاء الجزيرة [٣] ، زاخراً بالحروب والمشاحنات مع الخلافة وأصحاب السلطة في بغداد من البريديين والبويهيين ، وقد تعرضت أجزاء هذه المنطقة للحروب المستمرة مما ادى إلى إختلال وإضطراب الأمور بها ، كما أدى إلى قيام الثورات المحلية التي يقوم بها الاكراد والخوارج، وما أن قارب القرن الرابع الهجري على الإنتهاء حتى كانت الجزيرة تخضع للعقيليين بالموصل وبني مروان بأمد [٤].

ومما تجدر اليه الملاحظة هو أن تقسيم الدولة إلى ولايات ، والولاية إلى اقسام كما في العراق، والجزيرة والشام أدى إلى توزيع العمل الإداري وتنظيمه ، وهذا يشبه النظم الإدارية الحديثة ،كما كانت الدواوين تضبط أنواع المسؤوليات الإدارية ، والمالية، والإقتصادية إذ كان لديوان البريد والخاتم والتوقيع أثر في ربط ولايات الدولة ومدنها البعيدة بمركز الخلافة على أساس متين ودقيق . كما أبقى ذلك الخليفة على علم تام بمجريات الأحداث داخل الاقسام الإدارية ، فمن خلال عمال البريد الموجودين على كل جند من أجناد الشام ، وعلى كل وحدة من الوحدات الإدارية ، في العراق والجزيرة تمكنت الدولة من ضبط الدولة إداريا وسياسياً ، إذ كان على كل عامل من عمال البريد أن يقوم بإرسال تقارير وبصفة دورية عن أحوال ولاياتهم إلى ديوان البريد في بغداد ، حيث يقوم صاحب ديوان البريد برفع

---

(١) ابن خرداذبة ، المسالك ص ٩٧

(٢) الطبري تاريخ ، ج٨، ص٢٣٤ النويري نهاية الأرب ، ج٢٢ ، ص ١٣٥

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ٣٢٥النويري ، نهاية الأرب ، ص ١٢٦.

(٤) زامباور معجم الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص ٢٠١ - ٢٠٥ محمد توفيق الخفاجي ، النظم الإدارية والمالية ، ص ٣٢-٣٤

الخليفة فصلت شهرزور عن الموصل وضمت إلى اعمال الجبل ، وأصبحت بذلك شهرزور تمثل اقصى منطقة تقع على الحد الغربي لاقليم الجبل عند التقائه مع اقليم الجزيرة.

وأما التغير الإداري الثالث فقد تم فيه فصل القسم الشمالي في الجزيرة عنها ، إذ ان هذا الجزء كان معرضاً بإستمرار لغزوات الروم ، فأصبحت في هذه المنطقة مدن محصنة للدفاع عن الحدود ، وسميت الثغور [١] ، أسوة بثغور الشام التي اهتم بها معاوية بن أبي سفيان ، وقد فصلت هذه الثغور في عهد الرشيد سنة (١٧٠هـ/٧٨٦م) عن شمال الجزيرة والشام ، وأصبحت وحدة إدارية سميت العواصم وعاصمتها منبج [٢] ، وأصبحت حدود ديار بكر وربيعة تنتهي عند منطقة آمد وحصن منصور.

وقد تعرض إقليم الجزيرة إلى كثير من الإضطرابات ، والفوضى السياسية ، فقد كان حكم الحمدانيين بالموصل وسائر أنحاء الجزيرة [٣] ، زاخراً بالحروب والمشاحنات مع الخلافة وأصحاب السلطة في بغداد من البريديين والبويهيين ، وقد تعرضت أجزاء هذه المنطقة للحروب المستمرة مما أدى إلى إختلال وإضطراب الأمور بها ، كما أدى إلى قيام الثورات المحلية التي يقوم بها الاكراد والخوارج، وما أن قارب القرن الرابع الهجري على الإنتهاء حتى كانت الجزيرة تخضع للعقيليين بالموصل وبني مروان بآمد [٤].

ومما تجدر اليه الملاحظة هو أن تقسيم الدولة إلى ولايات ، والولاية إلى اقسام كما في العراق، والجزيرة والشام أدى إلى توزيع العمل الإداري وتنظيمه ، وهذا يشبه النظم الإدارية الحديثة ،كما كانت الدواوين تضبط أنواع المسؤوليات الإدارية ، والمالية، والإقتصادية إذ كان لديوان البريد والخاتم والتوقيع أثر في ربط ولايات الدولة ومدنها البعيدة بمركز الخلافة على أساس متين ودقيق . كما أبقى ذلك الخليفة على علم تام بمجريات الأحداث داخل الاقسام الإدارية ، فمن خلال عمال البريد الموجودين على كل جند من أجناد الشام ، وعلى كل وحدة من الوحدات الإدارية ، في العراق والجزيرة تمكنت الدولة من ضبط الدولة إداريا وسياسياً ، إذ كان على كل عامل من عمال البريد أن يقوم بإرسال تقارير وبصفة دورية عن أحوال ولاياتهم إلى ديوان البريد في بغداد ، حيث يقوم صاحب ديوان البريد برفع

---

(١) ابن خرداذبة ، المسالك ص ٩٧

(٢) الطبري تاريخ ، ج٨، ص٢٣٤ النويري نهاية الأرب ، ج٢٢ ، ص ١٣٥

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ٣٢٥النويري ، نهاية الأرب ، ص ١٢٦.

(٤) زامباور معجم الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص ٢٠١ - ٢٠٥ محمد توفيق الخفاجي ، النظم الإدارية والمالية ، ص ٣٢-٣٤

هذه التقارير إلى الخليفة ، كي يتخذ الاجراءات اللازمة لتفادي حدوث أي طارئ .

كما أنه كان عوناً للخلفاء على مراقبة أحوال الولايات والقضاء عليها في مهدها . إذ كان عمال البريد يبعثون بأخبار ولاياتهم على جناح السرعة إلى الخلافة ، والتي كانت تبادر إلى إتخاذ الإجراءات الفعّالة ضدها في الوقت المناسب.

كما أن ديوان البريد إستطاع أن يحقق ويلبي رغبات الخلفاء في إستتباب الأمن وضبط الادارة الحكومية في ربوع الدولة الإسلامية ، والإشراف الدقيق على جميع العمال سواء منهم من كان بأقصى الشرق أو الغرب ، ولولا وجود نظام البريد لما إستطاع الخليفة بسبب إتساع رقعة الدولة ، وضعف المواصلات ، وقتذاك أن يهيمن بقوته على العالم الإسلامي.

الفصل الثاني
نظام البريد في العصر العباسي
حتى عام ٤٥٠هـ

- نظام البريد في العصر العباسي من (١٣٢-٢٣٢هـ).

- نظام البريد في العصر العباسي من (٢٣٢ - ٣٣٤هـ).

- البريد عند الفاطميين في بلاد الشام ومصر.

نظام البريد في العصر العباسي حتى عام ٤٥٠هـ .

قبل بدء الحديث عن نظام البريد في العصر العباسي ، لا بد من التعرض لمعنى كلمة البريد في اللغة والاصطلاح ، فقد اختلفت الآراء وتفاوتت حول معنى كلمة البريد لدى علماء اللغة والمؤرخين والكتاب ، قال ابن منظور: البريد هو الرسول على دواب البريد ، والجمع برد ، وبرد بريدا: أرسله.

وقال الراجز : رأيت للموت بريدا مبرداً. (١) وقال بعض العرب : الحُمّى بريد الموت، أراد أنها رسول الموت تُنذر به (٢). وقال كل من الفيروز أبادي والجوهري بأن البريد هو المرتب ، فيقال: حمل فلان على البريد.

قال مُزرِدٍ يمدح عرابة الأوسيّ :

فَدَتْكَ عَرَابَ اليومَ أُمّي وخَالَتي   وَنَاقَتي النَّاجي إليك بَرِيدُها(٣)

كما يقال لدابة البريد بريد ، لسيرها في البريد. قال الشاعر:

إني أنصُ العيسَ حتـى كأنني   عليها بأجواز الفـلاة بريـدا(٤)

ويقـال للفُرانق البريد: بضم الفاء. وسـمي به لأنه ينذر قدام الأسد (٥). والفـرانـق فـارسي معرب ، وهـو سبع يصيـح بين يدي الأسـد كأنه ينُذر الناس. ويقـال له فـرانق الأسـد. ومنه فـرانق البريد ، وهو الذي يتقدم صاحب البريد ، ويدله على الطريق .(٦) كما بين الجوهري ففي صحـاحة الفرانق بأنه البريد ، أو الذي يتقدم صاحب البريد ويرشده إلى الطريق.(٧)

ثم سمي الرسول الذي يقوم بإيصال الأخبار على الدواب بريداً (٨). ثم أطلق على المسافة بين السكتين بريداً (٩). وهي إثنا عشر ميلا ، وقد قدرها الفقهاء وأصحاب المسالك والممالك بأربعة

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص ٣٦٧ مادة برد.

(٢) الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج١٤ ، ص١٠٦ ابن منظور: المصدر السابق ج١ ، ص٣٦٧ مادة برد.

(٣) الجوهري الصحاح ، ج٢، ص٤٧٧ ، مادة برد . الفيروز أبادي: القاموس المحيط ، ج١، ص٢٧٧، مادة برد.

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، ج١ ، ص٣٦٧ ، القلقشندي: صبح الاعشى ، ج١٤، ص ٤١١ .

(٥) ابن منظور : المصدر السابق ج١ ، ص ٣٦٧. مادة فرنق ، الزبيدي: تاج العروس ، ج٧، ص ٤١٧ ، مادة فرنق.

(٦) الجواليقي: المعرب في الكلام الأعجمي ، ص ٢٣٨. الزبيدي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٤١٨ . مادة فرنق

(٧) الجوهري: الصحاح ، ج٢ ص ٤٤٧ مادة فرنق.

(٨) الجوهري ، الصحاح ، ج٢ ، ص ٤٧٤. الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ج١ ، ص ٢٧٧

(٩) الجوهري ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٤٧ . الفيروز أبادي ، المصدر السابق ، ج١، ص ٢٧٧.

نظام البريد في العصر العباسي حتى عام ٤٥٠هـ .

قبل بدء الحديث عن نظام البريد في العصر العباسي ، لا بد من التعرض لمعنى كلمة البريد في اللغة والاصطلاح ، فقد اختلفت الآراء وتفاوتت حول معنى كلمة البريد لدى علماء اللغة والمؤرخين والكتاب ، قال ابن منظور: البريد هو الرسول على دواب البريد ، والجمع برد ، وبرد بريدا: أرسله.

وقال الراجز : رأيت للموت بريدا مبرداً. (١) وقال بعض العرب : الحُمّى بريد الموت، أراد أنها رسول الموت تُنذر به (٢). وقال كل من الفيروز آبادي والجوهري بأن البريد هو المرتب ، فيقال: حمل فلان على البريد.

قال مُزرِّد يمدح عرابة الأوسيّ :

فَدَتْك عَرَابَ اليومَ أُمِّي وخَالَتي وَناقَتي النَّاجي إليك بَريدُها(٣)

كما يقال لدابة البريد بريد ، لسيرها في البريد. قال الشاعر:

إني أنصُ العيسَ حتى كأنني عليها بأجواز الفلاة بريدا(٤)

ويقال للفُرانق البريد: بضم الفاء. وسمي به لأنه ينذر قدام الأسد (٥). والفرانق فارسي معرب ، وهو سبع يصيح بين يدي الأسد كأنه ينُذر الناس. ويقال له فرانق الأسد. ومنه فرانق البريد ، وهو الذي يتقدم صاحب البريد ، ويدله على الطريق .(٦) كما بين الجوهري ففي صحاحة الفرانق بأنه البريد ، أو الذي يتقدم صاحب البريد ويرشده إلى الطريق.(٧)

ثم سمي الرسول الذي يقوم بإيصال الأخبار على الدواب بريداً (٨). ثم أطلق على المسافة بين السكتين بريداً (٩). وهي إثنا عشر ميلا ، وقد قدرها الفقهاء وأصحاب المسالك والممالك بأربعة

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص ٣٦٧ مادة برد.

(٢) الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج١٤ ، ص١٠٦ ابن منظور: المصدر السابق ج١ ، ص٣٦٧ مادة برد.

(٣) الجوهري الصحاح ، ج٢، ص٤٧٧ ، مادة برد . الفيروز أبادي: القاموس المحيط ، ج١، ص٢٧٧، مادة برد.

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، ج١ ، ص٣٦٧ ، القلقشندي: صبح الاعشى ، ج١٤، ص ٤١١.

(٥) ابن منظور : المصدر السابق ج١ ، ص ٣٦٧. مادة فرنق ، الزبيدي: تاج العروس ، ج٧، ص ٤١٧ ، مادة فرنق.

(٦) الجواليقي: المعرب في الكلام الأعجمي ، ص ٢٣٨. الزبيدي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٤١٨ . مادة فرنق

(٧) الجوهري: الصحاح ، ج٢ ص ٤٤٧ مادة فرنق.

(٨) الجوهري ، الصحاح ، ج٢ ، ص ٤٧٤. الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ج١ ، ص ٢٧٧

(٩) الجوهري ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٤٧ . الفيروز أبادي ، المصدر السابق ، ج١، ص ٢٧٧.

نظام البريد في العصر العباسي حتى عام ٤٥٠هـ .

قبل بدء الحديث عن نظام البريد في العصر العباسي ، لا بد من التعرض لمعنى كلمة البريد في اللغة والاصطلاح ، فقد اختلفت الآراء وتفاوتت حول معنى كلمة البريد لدى علماء اللغة والمؤرخين والكتاب ، قال ابن منظور: البريد هو الرسول على دواب البريد ، والجمع برد ، وبرد بريدا: أرسله.

وقال الراجز : رأيت للموت بريدا مبرداً. (١) وقال بعض العرب : الحُمّى بريد الموت، أراد أنها رسول الموت تُنذر به (٢). وقال كل من الفيروز أبادي والجوهري بأن البريد هو المرتب ، فيقال: حمل فلان على البريد.

قال مُزَرِّد يمدح عرابة الأوسيّ :

فَدَتْك عَرَابَ اليومَ أُمّي وخَالَتي   وَنَاقَتي النَّاجي إليك بَريدُها(٣)

كما يقال لدابة البريد بريد ، لسيرها في البريد. قال الشاعر:

إني أنصُ العيسَ حتى كأنني   عليها بأجواز الفلاة بريدا(٤)

ويقال للفُرانق البريد: بضم الفاء. وسمي به لأنه ينذر قدام الأسد (٥). والفرانق فارسي معرب ، وهو سبع يصيح بين يدي الأسد كأنه ينُذر الناس. ويقال له فرانق الأسد. ومنه فرانق البريد ، وهو الذي يتقدم صاحب البريد ، ويدله على الطريق .(٦) كما بين الجوهري ففي صحاحه الفرانق بأنه البريد ، أو الذي يتقدم صاحب البريد ويرشده إلى الطريق.(٧)

ثم سمي الرسول الذي يقوم بإيصال الأخبار على الدواب بريداً (٨). ثم أطلق على المسافة بين السكتين بريداً (٩). وهي إثنا عشر ميلا ، وقد قدرها الفقهاء وأصحاب المسالك والممالك بأربعة

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص ٣٦٧ مادة برد.

(٢) الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج١٤ ، ص١٠٦ ابن منظور: المصدر السابق ج١ ، ص٣٦٧ مادة برد.

(٣) الجوهري الصحاح ، ج٢، ص٤٧٧ ، مادة برد . الفيروز أبادي: القاموس المحيط ، ج١، ص٢٧٧، مادة برد.

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، ج١ ، ص٣٦٧ ، القلقشندي: صبح الاعشى ، ج١٤، ص ٤١١.

(٥) ابن منظور : المصدر السابق ج١ ، ص ٣٦٧. مادة فرنق ، الزبيدي: تاج العروس ، ج٧، ص ٤١٧ ، مادة فرنق.

(٦) الجواليقي: المعرب في الكلام الأعجمي ، ص ٢٣٨. الزبيدي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٤١٨ . مادة فرنق

(٧) الجوهري: الصحاح ، ج٢ ص ٤٤٧ مادة فرنق.

(٨) الجوهري ، الصحاح ، ج٢ ، ص ٤٧٤. الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ح١ ، ص ٢٧٧

(٩) الجوهري ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٤٧ . الفيروز ابادي ، المصدر السابق ، ج١، ص ٢٧٧.

فراسخ (١) وحسبما سبق فالبريد في اللغة: مسافة معلومة مقدرة باثنى عشر ميلاً (٢).

وأما البريد في الاصطلاح :" فهو أن يجعل خيل مضمرات في عدة أماكن ، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها ، وقد تعب فرسه ، ركب غيره فرساً مستريحة، وكذلك كان يفعل في المكان الآخر حتى يصل بسرعة (٣).

أما فيما يتعلق بأصل كلمة بريد ، فقد تعددت الآراء حولها واختلفت . فقد ذهب الخليل بن احمد إلى أن أصل هذه الكلمة عربي ، وأنه مشتق من بردت الحديد إذا أرسلت ما يخرج منه. ومن ابرده أي أرسله. وقيل من بَرَدَ : إذا ثبت ، لانه يأتي بما تستقر عليه الأخبار . ويقال : اليوم يومٌ باردٌ سُمومه: أي ثابت.(٤).

كما وردت كلمة بريد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا ابردتم إلي بريدا فاجعلوه حسن الوجه حسن الأسم» : أي إذا انفذتم رسولاً.(٥)ووردت كذلك في غيره من الأحاديث ، وهذا مما يشير إلى أن هذه الكلمة لها أصلاً بالعربية ، فقد ورد في صحيح البخاري:"لا تقصر الصلاة في أقل من أربعة برد ، وهي ستة عشر فرسخاً (٦).

وذهب أخرون إلى أن لفظة بريد فارسية ، أصلها بريدة دم ، وتعني محذوف الذنب، لأن بغال البريد عند الفرس كانت محذوفة الأذناب ، كعلامة مميزة لها. ثم عربت وخففت. ثم سمي الرسول الذي يركبها بريدا ، والمسافة بين السكتين بريداً (٧).

وقد أنشد الجوهري لامرئ القيس:

على كل مِقصوص الذنابي معاود بريد السري بالليل من خيل بربرا (٨)

---

(١) ابن فضل الله العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص٢٦٥ ، كما ذكر ان الفرسخ هو ثلاثة اميال ، والميل ثلاثة الاف ذراع بالهاشمي ، والذراع ٢٤ اصبع والاصبع ست شعيرات ظهر الواحدة إلى بطن الأخرى ، والشعيرة سبع شعيرات من ذنب بغل ، فهذا هو البريد المحرر والمعمول عليه كل عمل . بينما اشار ابن شاهين ، بأن البريد فرسخان . انظر ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص١١٨.

(٢) ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١٠٦-١٠٧.

(٣) ابن الطقطقي ، المصدر السابق ، ص١٠٦.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى ، ج١٤ ، ص ٤١٢.

(٥) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ، ج١ ، ص ١١٦-١١٧.

(٦) البخاري ، الجامع الصحيح ، ج١ ، ص٣٧٧.

(٧) الزبيدي: تاج العروس في جواهر القاموس، ج٧ ، ص٤١٨. السكة: موضع كان يسكنه الفيوج والمرتبون من بيت أو قبة أو رباط ، وكان يرتب في كل سكة بغال ، وبعد ما بين السكتين فرسخان او اربعة. انظر الخوارزمي: مفاتيح العلوم ، ص٤٢ ، ابن منظور : لسان العرب ج١ ، ص ٣٦٧-٣٦٨. ابن الاثير النهاية ، ص ٧٢.

(٨) ابن منظور ، ج١ ، ص٣٦٧ . القلقشندي: صبح الأعشى ج١٤ ، ص ٤١٢.

وقيل كذلك أن هذه الكلمة مستمدة من اللغة اليونانية . (beredos) وربما جاءت هذه الكلمةمن أصل اشــوري (Posthores)، ، وتدل على خدمات البريد والمخابرات في الدولة الإسلامية، بما في ذلك الركوبة والساعي ومحطة البريد (١) وذكر أيضا أن كلمة البريد ، أستعيرت من الكلمة اللاتينـــة (Veredus) ومعناها دابة البريد ، أو حصان البريد ، ومن ثم ناقل البريد. وأصبحت تدل بعد ذلك على النظام نفسه.

وأطلقت آخر الأمر على المرحلة بين مركزي بريد. وقد قومت هذه المرحلة بفرسخين في بلاد فارس ، وأربعة فراسخ في المغرب (٢) . والفرسخ ثلاثة أميال (٣) ، وكل أربعة فراسخ بريد (٤) .

من خلال ما سبق يتضح لنا أن البريد لم يكن إبتكارا عربيا ، وإنما أُخذ عن الامم السابقة ، وإن العجم لهم الدور الأول ، والفضل الأكبر في معرفة البريد ، وترتيب نظامه ، وإحكامه بمعناه الأعم والأشمل ، وإن إسمه أعجمي في الأصل لا عربي كما ذهب بعض المؤرخين ، من أمثال القلقشندي ، وابن الأثير في كتابه النهاية في غريب الحديث.

إلا أن البريد كان معروفا عند العرب قبل الإسلام ، ولكنه لم يستخدم كنظام أو مؤسسة لها نظامها ، وإنما كانت هناك بعض المصطلحات الدالة عليه ، كراكب بريد ، والفيوج (٥) - أي السعاة على الأقدام . ومما يدل على ذلك أن هذه الاشارات قد وردت في بعض كتب الأدب ، من أمثال كتاب الجاحظ " القول في البغال" ، إذ أفصح الجاحظ في هذا الكتاب عن وجود مراسلات بريدية بين كل من العرب وحكام الدول المجاورة في تلك الفترة (٦) ، وأشار كذلك إلى وسائل نقل البريد عندهم.

---

(١) D.so urdel. Barid "E.1? Vol.1 pp. 1046.

(٢) هارتمان ، بريد ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج٣ ، ص٣٦

(٣) ابن فضل الله العمري ، التعريف ، ص ٢٦٥ ، ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ١١٨ ، الجزيري درر الفرائد ، ص ٤٣٨.

(٤) ابن فضل الله العمري ، المصدر السابق ، ص ٢٦٥ ، الجزيري ،المصدر السابق ، ص ٤٣٨.

(٥) الفيج : . فارسي معرب وهو رسول السلطان على رجليه ، وقيل هو الذي يسعى بالكتب الجمع فيوج ، ابن منظور ، ج١٠ ، ٣٦٢ ، مادة فيج . كما أن الفيج تطلق في الأصل على رسول السلطان الذي يسعى على قدميه ، ثم أطلقت على كل من اتخذ نقل الرسالة صناعة ، وتعني نقل الرسائل من بلد إلى آخر. انظر ، التنوخي ، الفرج، ص ٢٩٧ ، الجواليقي ، ص ٢٤٣.

(٦) الجاحظ ، القول في البغال ، ص ٧١

وبظهور الإسلام ، وإستجابة لحاجات الدولة في تنظيم شؤونها ، كان لا بد من وجود الرسل الذين يتولون إيصال الرسائل والأوامر ، من مركز القيادة - والمتمثل بالنبي صلى الله عليه وسلم - إلى أنحاء مختلفة في الجزيرة العربية.

غير أن المصادر لم تذكر شيئا عن البريد زمن النبي ـ صلى اله عليه وسلم ـ والخلفاء الراشدين . لكن هذا لا يجعلنا نشك بوجود ما يشبه البريد في ذلك الوقت، والدليل على وجود هذا الشبيه، أن النبي صلى الله عليه وسلم ـ ومنذ اللحظات الأولى التي غادر فيها مكة بصحبة ابي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ إتخذ رسولاً يأتيهما بأخبار قريش يوماً بيوم (١) .

كما أنه وبعد وصوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة والاستقرار فيها ، جعل وظيفة البريد - أي إيصال الأخبار - أولى الوظائف الإدارية في نواة الدولة الإسلامية ، ولاقت من جانبه إهتماما عظيماً ، حيث إتسع مجالها فشملت الجاسوسية ، واتخذ من مكة نفسها عيناً يكتب إليه أخبار قريش ، وهذا العين هو العباس بن عبد المطلب. وكان ينقل إليه أخبار المشركين ، فكتب إليه مرة "أن مقامك بمكة خير"(٢) .

ومن مظاهر إهتمام النبي - صلى الله عليه وسلم - بالبريد ، أنه أراد مكاتبة من جاوره من الملوك والأمراء والحكام ليدعوهم إلى الإسلام ، فقيل له أن العجم لا يقبلون كتاباً إلا إذا كان مختوما ، فاتخذ ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتما من فضة ، وختم به الكتب (٣) ، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم إهتم إهتماما كبيرا بهؤلاء الرسل ، فكتب إلى أمرائه أن لا يبردوا إليه بريداً إلا حسن الوجه حسن الإسم(٤) .

مما سبق نلاحظ أن معنى الرسول زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - هو البريد أو الشخص المرسل لايصال كتاب لشخص ما فالرسل الذين بعثهم النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الملوك والأمراء ، هم صفوة من الرجال الذين تتوسم فيهم الثقة أولاً ، ثم القدرة والكفاءة ثانياً ، فهم بذلك قدوة وأسوة يجدر التشبه بهم ، وبخلقهم إذ أنهم أدّوا رسالة البريديين على أتم وجه.

---

(١) الكتاني ، التراتيب الإدارية ، ج١ ، ص ٢٦١.
(٢) الكتاني ، المرجع السابق ، ج١ ، ص ٢٦٣.
(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٦٤٦ ، الكتاني ،ج١ ، المرجع السابق ، ص ١٧٧ .
(٤) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج١ ، ص ١١٦-١١٧.

فلا شك إذن بوجود إختصاصات ديوان البريد في الدولة الإسلامية قبل البريد نفسه.

أما في زمن الخلفاء الراشدين فقد ظهرت الحاجة ماسة إلى وجود الرسل والسعاة ، إذ توسعت الدولة الإسلامية توسعاً كبيراً ، وضمت مناطق بعيدة ونائية عن مركز الخلافة ، وكان لا بد من ربطها مع مركز الخلافة لتسهيل عملية التنظيم الإداري

كما أن عمليات الفتح الإسلامي إقتضت أن يكون الخليفة على علم تام بكل دقائق الأمور في الأمصار وساحات القتال. وتزودنا المصادر العربية بالكثير عن المراسلات بين أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – وقادة الفتح ، ولا سيما في بداية حروب الردة. وكان لهذه المراسلات أثر عظيم ، إذ جعلت الخليفة على علم تام بمجريات الأمور في ساحات القتال . وتمكن الخليفة عن طريق هؤلاء الرسل من إيصال أوامره وتوجيهاته إلى القادة ، ورسم الخطط الحربية لهم(١).

إلا أن أول إشارة إلى إستخدام البريد كانت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وتعود الى عام ١٣هـ/٦٣٤ م. فقد ورد في تاريخ الطبري« أن البريد قدم على المسلمين في المدينة بموت أبي بكر ، وبعزل خالد بن الوليد ، وتأمير أبي عبيدة وهم باليرموك ، وقد التحم القتال بينهم وبين الروم» (٢).

ويرجع الفضل لعمر بن الخطاب في تحسين نظام البريد ، والدليل على ذلك أن عمر بن الخطاب حدد ساعات معينة في أيام معينة ، لخروج البريد من المدينةإلى ميادين القتال (٣) ، كما حرص على التقيد بمواعيد سفر البريد ، وطبقا لهذا كتب إلى عماله في الأقاليم والولايات والأخبار يأمرهم بالإعلان عن مواعيد خروج البريد إلى المدينة (٤).

ثم تزايد الاعتماد على البريد في نقل الأخبار أثناء معارك الفتح الإسلامي في العراق والشام ومصر ، بحيث أصبحت الحاجة ملحة إلى إنشاء دور البريد. فقد أورد الكتاني «أن دار البريد موضع بالكوفة ، كانت الرسل تنزل فيه إذا حضرت من الأمراء والخلفاء ... وكانت الدار في طرف البلدة »(٥). ولا شك أن هناك هدفا من وراء جعل دار البريد في طرف البلدة . وقد يكون ذلك الهدف هو إبقاء الرسول الذي يحمل الرسالة بعيداً عند تأثيرات الموجودين داخل البلدة ، فينقل الأخبار كما

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٣ ، ص ٣١٣-٣١٤.
(٢) الطبري تاريخ ج٣ ، ص ٤٣٥. ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية ص ٧٦.
(٣) الطرطوشي ، سراج الملوك ص ١٣٤.
(٤) الكتاني: التراتيب الإدارية ج١ ص ١٩٢.
(٥) الكتاني : التراتيبت الإدارية ، ج١ ص ١٩٢.

جاء بها من مصدرها دون أي تغير.

وقد أدى البريد في زمن الخليفة عمر بن الخطاب خدمات كثيرة للدولة الإسلامية والمسلمين [١] وكتب عمر بن الخطاب لمعاوية بن أبي سفيان في الشام يطلب منه اقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها [٢]. إذ أن العرب المسلمين استخدموا النار في الإشارات لنقل الرسائل والأخبار السريعة لصد هجمات وغارات الأعداء ، ولتوفير الأمن والطمأنينة داخل البلاد.

أما الخليفة عثمان بن عفان فقد سار على الطريق نفسه الذي سلكه الخليفة عمر بن الخطاب في تحسين نظام البريد. فقد كان يجمع الأخبار من الناس في أوقات الصلاة في المساجد ، ويذكر أنه كان يحدث الناس والمؤذن يؤذن للصلاة ويحدثهم ، ويستخبر عن الأسعار والأخبار ، وكان يفعل هذا يوم الجمعة على وجه الخصوص[٣].

واستمر الإهتمام بالبريد زمن الخليفة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – فقد كان على اتصال دائم بعماله وولاته في مختلف اقاليم الدولة ، كما كان دائم المراقبة لهم [٤] .

وهكذا نلاحظ أنه على الرغم من عدم الأشارة بصورة مباشرة ، إلى وجود ديوان أو مؤسسة خاصة للبريد في عهد الخلفاء الراشدين . إلا أن تحديد مراحل البريد وسككه ووضع التاريخ على الكتب والرسائل ، وختمها بالطين [٥]، يشير إشارة واضحة إلى أن تنظيمات البريد كانت مطبقة في كل امصار الدولة العربية الأسلامية بهدف تأمين وصول الأخبار بصورة سريعة وأمينة .

وبعد تولي الأمويين زمام الحكم عام ٤١هـ وازدياد رقعة الدولة العربية الأسلامية مساحة، اقتضت الضرورة الأمنية وجود نظام البريد ، الذي يتولى الأشراف على نقل الرسائل والكتب والأوامر من عاصمة الخلافة (دمشق) إلى بقية أقاليم الدولة وبالعكس.

وتذكر المصادر أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، هو أول من وضع البريد في الإسلام[٦] .

---

(١) وردت بعض الأمثلة عن الخدمات التي قدمها البريد للمسلمين والدولة في : الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص٢٦٠-٢٦٧، ابن كثير ، البداية ، ج٧ ، ص ٧٦ ، ص ١٠٥-١٠٦ ، ج٨ ، ص ١١٣

(٢) البلاذري: فتوح ، ص ١٧٥.

(٣) الكتاني: التراتيب الإدارية ، ج١ ، ص ٣٦٥.

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٥ ، ص ٨٠.

(٥) الصولي: ادب الكتاب ،ج٢ ، ص ١٤٠. الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص١٤ . الأصبهاني ، محاضرات الادباء ، ج١، ص ١٠٥

(٦) العسكري ، الأوائل ، ص ١٦٢ . الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١٠٦.

وهذا يتعارض مع ما ذكرناه سابقاً عن البريد زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم – وزمن الخلفاء الراشدين ، فالنظم الإدارية في عهد معاوية بن أبي سفيان ترجع أصولها إلى أيام الرسول – صلى الله عليه وسلم – والخلفاء الرشدين.

وأن كل ما عمله معاوية هو المحافظة على تلك الأصول وعدم التخلي عنها والعمل على تطوير نظام البريد إلى الافضل . وأن المراد من الروايات التي تذكر أن معاوية بن أبي سفيان هو أول من وضع نظام البريد في الإسلام ، على إعتبار انه عمل على تنظيمه وترتيبه على صورة أوسع نطاقا ، واكثر وضوحا ، ولكونه أول من رتب له الدواب والمحطات لتسرع إليه أخبار البلاد من جميع أطرافها(١).

وقد كان نظام البريد نظاما معروفا في الامبراطورية البيزنطية والساسانية (٢) ، فعندما إستقرت الخلافة لمعاوية ، قرر وضع البريد في مناطق المسلمين المختلفة من أجل سرعة الاتصال بهم. لهذا أمر بإحضار رجال من دهاقنة الفرس ، وأهل أعمال الروم ، وعرفهم بما يريد فوضعوا له البريد.(٣).

وتمتع البريد في عهد معاوية بن أبي سفيان بعدة صفات ، منها: سرعة وصول الأخبار ، إضافة للسرعة والتكتم على هذه الأخبار . ومن وسائل الأنتقال التي استعملت في البريد الخيل والبغال ، وكانت لها محطات منتشرة على إمتداد الطرق ، وتبعد الواحدة عن الاخرى مسافة إثني عشر ميلاً (٤).

وكثيرا ما كان خلفاء بني امية يستخدمون خيل البريد لحمل بعض الناس إلى الخليفة أو الأمير ، إلتماساً لسرعة قدومهم، وبخاصة هؤلاء الذين تحدثهم نفوسهم بالخروج على طاعة السلطان (٥)

ولما توفي معاوية بن أبي سفيان ، خرج بريدا إلى ابنه يزيد بكتاب يستقدمه ، وذهب البريد مسرعاً ، فأخبره بموت معاوية . فقال يزيد :

جاء البريدُ بقرطاس يخب فأوجس القلب من قرطاسه فزعا (٦)

---

(١) العمري: التعريف ، ص ١٨٤-١٨٥ ، الكتاني : التراتيب الإدارية ، ج١ ، ص ١٩٢.
(٢) هارثمان ، بريد ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج٢ ، ص ٦٠٩
(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ج١٤ ص٤١٣
(٤) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص١٠٦
(٥) المسعودي مروج ، ج٢ ، ص ١٤٠
(٦) ابن كثير ، البداية ، ج ٨ ، ١٣٧ . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤، ص٢٤١-٢٤٢.

جاء بها من مصدرها دون أي تغير.

وقد أدى البريد في زمن الخليفة عمر بن الخطاب خدمات كثيرة للدولة الإسلامية والمسلمين (١) وكتب عمر بن الخطاب لمعاوية بن أبي سفيان في الشام يطلب منه اقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها (٢). إذ أن العرب المسلمين استخدموا النار في الإشارات لنقل الرسائل والأخبار السريعة لصد هجمات وغارات الأعداء ، ولتوفير الأمن والطمأنينة داخل البلاد.

أما الخليفة عثمان بن عفان فقد سار على الطريق نفسه الذي سلكه الخليفة عمر بن الخطاب في تحسين نظام البريد. فقد كان يجمع الأخبار من الناس في أوقات الصلاة في المساجد ، ويذكر أنه كان يحدث الناس والمؤذن يؤذن للصلاة ويحدثهم ، ويستخبر عن الأسعار والأخبار ، وكان يفعل هذا يوم الجمعة على وجه الخصوص(٣).

واستمر الإهتمام بالبريد زمن الخليفة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – فقد كان على اتصال دائم بعماله وولاته في مختلف اقاليم الدولة ، كما كان دائم المراقبة لهم (٤) .

وهكذا نلاحظ أنه على الرغم من عدم الأشارة بصورة مباشرة ، إلى وجود ديوان أو مؤسسة خاصة للبريد في عهد الخلفاء الراشدين . إلا أن تحديد مراحل البريد وسككه ووضع التاريخ على الكتب والرسائل ، وختمها بالطين (٥)، يشير إشارة واضحة إلى أن تنظيمات البريد كانت مطبقة في كل امصار الدولة العربية الأسلامية بهدف تأمين وصول الأخبار بصورة سريعة وأمينة .

وبعد تولي الأمويين زمام الحكم عام ٤١هـ وازدياد رقعة الدولة العربية الأسلامية مساحة، اقتضت الضرورة الأمنية وجود نظام البريد ، الذي يتولى الأشراف على نقل الرسائل والكتب والأوامر من عاصمة الخلافة (دمشق) إلى بقية أقاليم الدولة وبالعكس.

وتذكر المصادر أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، هو أول من وضع البريد في الإسلام(٦) .

---

(١) وردت بعض الأمثلة عن الخدمات التي قدمها البريد للمسلمين والدولة في : الطبري ، تاريخ ، ج٤ ، ص٢٦٠-٢٦٧، ابن كثير ، البداية ، ج٧ ، ص ٧٦ ، ص ١٠٥-١٠٦ ، ج٨ ، ص ١١٣

(٢) البلاذري: فتوح ، ص ١٧٥.

(٣) الكتاني: التراتيب الإدارية ، ج١ ، ص ٣٦٥.

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٥ ، ص ٨٠.

(٥) الصولي: ادب الكتاب ،ج٢ ، ص ١٤٠. الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص١٤ . الأصبهاني ، محاضرات الادباء ، ج١، ص ١٠٥

(٦) العسكري ، الأوائل ، ص ١٦٢ . الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١٠٦.

وهذا يتعارض مع ما ذكرناه سابقاً عن البريد زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وزمن الخلفاء الراشدين ، فالنظم الإدارية في عهد معاوية بن أبي سفيان ترجع أصولها إلى أيام الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الرشدين.

وأن كل ما عمله معاوية هو المحافظة على تلك الأصول وعدم التخلي عنها والعمل على تطوير نظام البريد إلى الأفضل . وأن المراد من الروايات التي تذكر أن معاوية بن أبي سفيان هو أول من وضع نظام البريد في الإسلام ، على إعتبار انه عمل على تنظيمه وترتيبه على صورة أوسع نطاقا ، واكثر وضوحا ، ولكونه أول من رتب له الدواب والمحطات لتسرع إليه أخبار البلاد من جميع أطرافها(١).

وقد كان نظام البريد نظاما معروفا في الامبراطورية البيزنطية والساسانية (٢) ، فعندما إستقرت الخلافة لمعاوية ، قرر وضع البريد في مناطق المسلمين المختلفة من أجل سرعة الاتصال بهم. لهذا أمر بإحضار رجال من دهاقنة الفرس ، وأهل أعمال الروم ، وعرفهم بما يريد فوضعوا له البريد.(٣).

وتمتع البريد في عهد معاوية بن أبي سفيان بعدة صفات ، منها: سرعة وصول الأخبار ، إضافة للسرعة والتكتم على هذه الأخبار . ومن وسائل الأنتقال التي استعملت في البريد الخيل والبغال ، وكانت لها محطات منتشرة على إمتداد الطرق ، وتبعد الواحدة عن الاخرى مسافة إثني عشر ميلاً (٤).

وكثيرا ما كان خلفاء بني امية يستخدمون خيل البريد لحمل بعض الناس إلى الخليفة أو الأمير ، إلتماساً لسرعة قدومهم، وبخاصة هؤلاء الذين تحدثهم نفوسهم بالخروج على طاعة السلطان (٥)

ولما توفي معاوية بن أبي سفيان ، خرج بريدا إلى ابنه يزيد بكتاب يستقدمه ، وذهب البريد مسرعاً ، فأخبره بموت معاوية . فقال يزيد :

جـاء البريدُ بقرطاس يخب فأوجس القلب من قرطاسه فزعا (٦)

---

(١) العمري: التعريف ، ص ١٨٤-١٨٥ ، الكتاني : التراتيب الإدارية ، ج١ ، ص ١٩٢.
(٢) هارتمان ، بريد ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج٢ ، ص ٦٠٩
(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ج١٤ ص٤١٣
(٤) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص١٠٦
(٥) المسعودي مروج ، ج٣ ، ص ١٤٠
(٦) ابن كثير ، البداية ، ج ٨ ، ١٣٧ . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤، ص٢٤١-٢٤٢.

وهذا يتعارض مع ما ذكرناه سابقاً عن البريد زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم – وزمن الخلفاء الراشدين ، فالنظم الإدارية في عهد معاوية بن أبي سفيان ترجع أصولها إلى أيام الرسول – صلى الله عليه وسلم – والخلفاء الرشدين.

وأن كل ما عمله معاوية هو المحافظة على تلك الأصول وعدم التخلي عنها والعمل على تطوير نظام البريد إلى الأفضل . وأن المراد من الروايات التي تذكر أن معاوية بن أبي سفيان هو أول من وضع نظام البريد في الإسلام ، على إعتبار انه عمل على تنظيمه وترتيبه على صورة أوسع نطاقا ، واكثر وضوحا ، ولكونه أول من رتب له الدواب والمحطات لتسرع إليه أخبار البلاد من جميع أطرافها(١).

وقد كان نظام البريد نظاما معروفا في الامبراطورية البيزنطية والساسانية (٢) ، فعندما إستقرت الخلافة لمعاوية ، قرر وضع البريد في مناطق المسلمين المختلفة من أجل سرعة الاتصال بهم. لهذا أمر بإحضار رجال من دهاقنة الفرس ، وأهل أعمال الروم ، وعرفهم بما يريد فوضعوا له البريد.(٣).

وتمتع البريد في عهد معاوية بن أبي سفيان بعدة صفات ، منها: سرعة وصول الأخبار ، إضافة للسرعة والتكتم على هذه الأخبار . ومن وسائل الأنتقال التي استعملت في البريد الخيل والبغال ، وكانت لها محطات منتشرة على إمتداد الطرق ، وتبعد الواحدة عن الاخرى مسافة إثني عشر ميلاً (٤).

وكثيرا ما كان خلفاء بني امية يستخدمون خيل البريد لحمل بعض الناس إلى الخليفة أو الأمير ، إلتماساً لسرعة قدومهم، وبخاصة هؤلاء الذين تحدثهم نفوسهم بالخروج على طاعة السلطان (٥)

ولما توفي معاوية بن أبي سفيان ، خرج بريدا إلى ابنه يزيد بكتاب يستقدمه ، وذهب البريد مسرعاً ، فأخبره بموت معاوية . فقال يزيد :

جـاء البريدُ بقرطاس يخب فأوجس القلب من قرطاسه فزعا (٦)

---

(١) العمري: التعريف ، ص ١٨٤-١٨٥ ، الكتاني : التراتيب الإدارية ، ج١ ، ص ١٩٢.
(٢) هارتمان ، بريد ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج٢ ، ص ٦٠٩
(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ج١٤ ص٤١٣
(٤) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص١٠٦
(٥) المسعودي مروج ، ج٣ ، ص ١٤٠
(٦) ابن كثير ، البداية ، ج ٨ ، ١٣٧ . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤، ص٢٤١-٢٤٢.

وقد قام البريد بأكثر من مهمة زمن الدولة الأموية ، فبالأضافة إلى نقل الأخبار ، فإن البريد أصبح يقوم مقام جهاز الإستخبارات ، وجلب الناس من المركز إلى الولايات وبالعكس ، كما اصبح يقوم بعدة أعمال في آن واحد (١).

وعندما تولى يزيد بن معاوية أمور الخلافة ، إهتم بأن تكون للبريد مواعيد منتظمة للإنطلاق من منطقة إلى أخرى كما أصبح هناك ترتيب معين لأوقات سير البريد ، ومقدار المدة التي يسير بها حتى يصل الخليفة . وقد أشار الطبري إلى ذلك بقوله : أنه لما قتل الحسين بن علي ، جاء البريد إلى القوم الذين في السجن بكتاب وفيه :« خرج البريد بأمركم في يوم كذا وكذا إلى يزيد بن معاوية ، وهو سائر كذا وكذا يوم ، وراجع في يوم كذا وكذا»(٢).

وقد تطور البريد خلال العهد الأموي ، وعلى الأخص بعد استقرار الحكم في خلافة عبد الملك بن مروان ، إذ أنه أحكم نظام البريد وأولاه عنايته وإهتمامه، فمهد طرقه ومحطاته (٣). ويظهر إهتمام عبد الملك الشديد بالبريد من أمره لرجاله بإدخال البريد اليه متى جاء. فقد أثر عنه انه قال لابن الدغيدغة – أحد رجاله –: « وليتك ما حضر ببابي إلا أربعة: المؤذن فإنه داعي الله تعالى فلا حجاب عليه ، وطارق الليل ، فشر ما أتى به ، ولو وجد خيراً لنام ، والبريد فمتى جاء من ليل أو نهار فلا تحجبه ، فربما افسد على القوم سنته حسبهم البريد ساعة ....» (٤).

فهذا القول لا يصدر إلا عن رجل أدرك أهمية البريد ، فأولاه عنايته ومنحه تقديره ، وإلا لما ذكره دون سواه من النظم الإدارية الأخرى في الدولة ولما خص أحد رجاله الأوفياء والثقات – وهو قبيصة بن ذؤيب – ليقرأ الكتب الواردة من الأقاليم ، ويخبر عبد الملك بما جاء فيها (٥).

وتطور الأمر في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، فقد تقدم نظام البريد ، ولم يعد نظاما يعتمد على طريقة تبادل الخيل في المحطات البريدية فقط ، ونقل الرسائل ، بل أصبح نظاماً يستفاد منه في الحالات العسكرية والحربية ، وحالات الطوارئ (٦).

---

(١) المسعودي ، مروج ، ج٣، ص ١٩٧

(٢) الطبري ، تاريخ ،ج٥،ص ٤٦٣

(٣) العسكري ، الأوائل ، ص ١٦٢ ، القلقشندي ، صبح الأعشا ، ج١٤ ، ص ٤١٣ ، العمري ، التعريف ، ص ٢٣٩ .

(٤) العسكري ، المصدر السابق ، ص ١٦٢.

(٥) ابن سعد ، الطبقات ، ج٥ ، ص١٧٦.

(٦) الطبري ، تاريخ ،ج٦ ، ص ٢٩٤.

وعندما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة ، وجه عنايته للبريد ، فوضع المنائر في الطرقات من أجل تحسين الطرق والبريد .[١] وليس هذا فحسب ، بل انه استفاد من البريد في تحقيق رغباته الاقتصادية والعمرانية ، فاستخدم خيله وإبله في حمل الفسيفساء من القسطنطينية إلى دمشق ، ليصفح بها المسجد الجامع في دمشق ، ومساجد مكة والمدينة والقدس الشريف[٢].

وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، أصاب البريد تغيرات جديدة ، فقد أضاف إلى نظام البريد نفحة من نفحاته ، الا وهي الإكثار من بناء الخانات للبريد على جوانب الطرق الرئيسية – وبخاصة في طريق خراسان – ليبيت فيها الناس ، كما اعد أمكنة تقيم فيها الدواب من خيل وجمال، واهتم بتوفير المياه في الأحواض للشرب[٣].

مما سبق نلاحظ أن بذور نشأة ديوان البريد ، ترجع في الأصل إلى عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم – والخلافة الراشدة. ثم نمت هذه البذور وتطورت في العهد الأموي عل يد كل من الخليفة معاوية بن أبي سفيان – والذي ينسب اليه بعض الباحثين نشأة ديوان البريد [٤] – والخليفة عبد الملك بن مروان الذي أحكم هذا النظام . ومن ثم تبلورت هذه البذور بشكل واضح وبارز في العصر العباسي ، فأصبح للبريد ديوان خاص به ، مركزه بغداد [٥]. كما أخذت إدارته مكانتها وأهميتها بين الدواوين في العصر العباسي الأول ، وذلك بعد أن بدأ الخلفاء يباشرون بأنفسهم النظر في جميع مشاكل الدولة [٦] .

وقد بقي هذا الديوان قائماً بشكل مستقل ، حتى ضُمت الدواوين بعضها إلى بعض في ديوان مركزي واحد ، هو ديوان الدار في حدود سنة ٢٨٨هـ [٧].

ومما ينبغي الإشارة اليه ، أن الدواوين ومن بينها ديوان البريد ، لم تستقر بشكل نهائي إلا في

---

(١) مؤلف مجهول ، الحدائق والعيون ،ج٣ ، ص١٢.
(٢) القلقشندي ، صبح الاعشا ، ج١٤ ، ص٤١٣ . العمري ، التعريف ، ص٢٦٥.
(٣) هارتمان ، بريد ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج٣ ، ص ٦٠٩-٦١٠.
(٤) مولى حسيني ، الإدارة العربية ، ص ١٧٠ ، سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ١٦٤.
(٥) قدامة بن جعفر ، الخراج، ص٧٧.
(٦) السامرائي ، المؤسسات الإدارية ، ص ٢٨٨
(٧) قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص ٥٣-٥٤.

وعندما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة ، وجه عنايته للبريد ، فوضع المنائر في الطرقات من أجل تحسين الطرق والبريد .[١] وليس هذا فحسب ، بل انه استفاد من البريد في تحقيق رغباته الاقتصادية والعمرانية ، فاستخدم خيله وإبله في حمل الفسيفساء من القسطنطينية إلى دمشق ، ليصفح بها المسجد الجامع في دمشق ، ومساجد مكة والمدينة والقدس الشريف[٢].

وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، أصاب البريد تغيرات جديدة ، فقد أضاف إلى نظام البريد نفحة من نفحاته ، الا وهي الإكثار من بناء الخانات للبريد على جوانب الطرق الرئيسية - وبخاصة في طريق خراسان - ليبيت فيها الناس ، كما اعد أمكنة تقيم فيها الدواب من خيل وجمال، واهتم بتوفير المياه في الأحواض للشرب[٣].

مما سبق نلاحظ أن بذور نشأة ديوان البريد ، ترجع في الأصل إلى عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم - والخلافة الراشدة. ثم نمت هذه البذور وتطورت في العهد الأموي عل يد كل من الخليفة معاوية بن أبي سفيان - والذي ينسب اليه بعض الباحثين نشأة ديوان البريد [٤] - والخليفة عبد الملك بن مروان الذي أحكم هذا النظام . ومن ثم تبلورت هذه البذور بشكل واضح وبارز في العصر العباسي ، فأصبح للبريد ديوان خاص به ، مركزه بغداد [٥]. كما أخذت إدارته مكانتها وأهميتها بين الدواوين في العصر العباسي الأول ، وذلك بعد أن بدأ الخلفاء يباشرون بأنفسهم النظر في جميع مشاكل الدولة [٦] .

وقد بقي هذا الديوان قائماً بشكل مستقل ، حتى ضُمت الدواوين بعضها إلى بعض في ديوان مركزي واحد ، هو ديوان الدار في حدود سنة ٢٨٨هـ [٧].

ومما ينبغي الإشارة اليه ، أن الدواوين ومن بينها ديوان البريد ، لم تستقر بشكل نهائي إلا في

---

(١) مؤلف مجهول ، الحدائق والعيون ،ج٣ ، ص١٢.

(٢) القلقشندي ، صبح الاعشا ، ج١٤ ، ص٤١٣ . العمري ، التعريف ، ص٢٦٥.

(٣) هارتمان ، بريد ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج٣ ، ص ٦٠٩-٦١٠.

(٤) مولى حسيني ، الإدارة العربية ، ص ١٧٠ ، سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ١٦٤.

(٥) قدامة بن جعفر ، الخراج، ص٧٧.

(٦) السامرائي ، المؤسسات الإدارية ، ص ٢٨٨

(٧) قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص ٥٣-٥٤.

العصور العباسية ، وأنها كانت في تطور دائم بحيث نستطيع القول أن اسسها العامة وضعت في العصر الأموي.[١]

وبعد انتقال الحكم من الأمويين إلى العباسيين ، ازدادت أهمية البريد. إذ أولوه عناية فائقة من حيث التنظيم والتطوير . وبدأ هذا الإهتمام في عهد الخليفة أبي العباس السفاح ١٣٢هـ/٧٥٠م ، الذي إستخدمه لأول مرة في نقل فريق من جنده ، وكان ذلك عندماارسل موسى بن كعب في ثلاثين رجلا على البريد [٢] ، إلى عمه عبدالله بن علي أثناء قتاله مع مروان بن محمد في معركة الزاب سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م ، والتي انتهت بهزيمة مروان وفراره إلى الشام ، وإستمرار مطاردة العباسيين له ، حتى استطاعوا قتله في بوصير [٣] ، وكانت هذه المرة الأولى التي إستخدم فيها البريد لنقل افراد في عهد الدولة العباسية.

وعلى الرغم من الإرتباك الذي عم نظام الحكم على أثر معركة الزاب الكبرى ، إلا أن البريد قام بدور كبير في تثبيت دعائم الدولة العباسية ، وتقويض حكم الأمويين . إذ كان من أسباب زوال حكم بني أمية ، قلة التيقظ ، وإستتار الأخبار ، ففي الوقت الذي كان فيه العباسيون يؤسسون دولتهم ، كانت أخبارهم لا تصل إلى سلطان بني أمية ، إذ روى أن يزيد بن هبيرة – والي العراق – كان لا يرفع إلى مروان بن محمد - الخليفة الأموي ما يرد إليه من أخبار خراسان، كما أن كتب نصر بن سيّار إلى الخليفة مروان بن محمد حول نشاط العباسيين وتعاظم نفوذهم ، كانت تحتبس من قبل يزيد بن عمرو والي العراق [٤]، وذلك لما في نفس يزيد من الحسد لنصر بن سيار [٥]. وقد سئل بعض شيوخ بني أمية ومحصليها عقب زوال الملك عنهم إلى بني العباس : ما كان سبب زوال ملككم ؟ فقال: « لقد كان إستتار الأخبار وتحاسد الأكفاء من أوكد اسباب زوال ملكنا » .[٦]

وما سبق إشارة تؤكد أهمية البريد ودوره في بدايات العصر العباسي وتثبيت حكم العباسيين. وقد اهتم خلفاء بني العباس بالبريد اهتماماً عظيماً ، ويظهر هذا بصورة واضحة عند تتبعنا لاعمال الخلفاء العباسيين في هذا المجال.

---

(١) عبد العزيز الدوري ، النظم الإسلامية ، ص ١٤٥.

(٢) الطبري ، تاريخ ، ج٧ ، ص ٣٤٢ ، ابن كثير البداية ، ج١٠ ، ص ٤٨.

(٣) بوصير ، قرية من قرى صعيد مصر ، من كورة الأشمونيين ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص ٥٠٩.

(٤) الجاحظ ، القول في البغال ، ص٥٥-٥٦ ، الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص١٧٨

(٥) الجاحظ ، المصدر السابق ، ص٥٥-٥٦

(٦) الجاحظ ، المصدر السابق ، ص٥٥ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص٢٨٨ ، الطرطوشي، سراج ، ص١٧٨.

فالخليفة المنصور عندما تولى الخلافة سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م أظهر عناية متميزة في تنظيم البريد ، وكان إهتمامه بالبريد من أجل أن يصبح أداة فعّالة في الحكم والإدارة ، فجعل من صاحب البريد ركنا أساسيا في الدولة (١) ولهذا كان يعين على دواوين البريد مواليه ومن يثق بهم من الناس ، فقد عين مولاه طريفا على بريد مصر والشام والجزيرة ، ثم عين بعده مطر وهذا أحد مواليه(٢) .

كما إعتمد على أصحاب البريد والأخبار في الولايات اعتماداً تاماً لارسال الأخبار إليه ، ولمراقبة أعمال ولاة الاقاليم وعمالها ، وما يجري في لولاياتهم ، ولم يستثنِ أحداً من هذه الرقابة ، إلى حد أن المهدي نفسه كان خاضعا لرقابة عمال البريد ، عندما كان والياً على الري . ومما روى بهذا الصدد: «أن الشاعر المؤمل بن أميل قدم على المهدي وهو بالري ، فامتدحه بأبيات من الشعر ، فأمر له المهدي بعشرين الف درهم . فكتب صاحب البريد إلى المنصور بذلك وهو بمدينة السلام(٣) .

ويؤيد ذلك ما كتبه المنصور عيسى بن موسى – ولي عهده – يطلب منه التنازل عن ولاية العهد لإبنه المهدي ، ويذكر له الأخبار التي وصلت إليه عن حب أهل خراسان للمهدي ، حتى ظن أنه لولا معرفة المهدي حق الأبوة لافضت الأمور إليه (٤) .

كما كتب إليه عامل البريد عن الوالي في حضرموت وأنه يكثر من الخروج في طلب الصيد. فكتب إلى هذا الوالي: «ثكلتك أمك وعدمتك عشيرتك ! ما هذه العدة التي أعددتها للنكاية في الوحش؟ إنا إنما استكفيناك أُمور المسلمين ، ولم نستكفك أمور الوحش. وعزله»(٥) .

وهكذا فقد كان أصحاب البريد في عهد المنصور عيوناً على عمال الولايات ، لأن المنصور كان دائم المراقبة لولاته وعماله ، شديد المحاسبة لهم ، لا يتوانى عن معاقبة وعزل أي والٍ يشتبه بأمره ، ولهذا جعلهم مستقلين عن حكام الولايات التي يعملون بها ، وربطهم مباشرة بالمركز (٦) .

ومما يدل على انتظام البريد في عهد المنصور ، أن عماله كانوا يوافونه بالأخبار في اليوم مرتين

---

(١) الطبري تاريخ ، ج٨ ، ص٦٧، الطرطوشي ، سراج ، ص٢٠٢ ، ابن العمراني ، الأنباء ، ص٦٢ ، ابن الجوزي ، المنتظم ج٧ ، ص ٢٤٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٥،ص٢٢١.

(٢) الجهشياري ، الوزراء ، ص١٠١ ، التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص٤١

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص ٢٤٣-٢٤٤ ، الاربلي خلاصة ، ص ٦٢

(٤) الجهشياري، الوزراء ، ص٢٥، ص٤٦ ، ص١٢٩

(٥) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص٦٨ ، ابن كثير ، البداية ، ج١٠، ص ١٣٥.

(٦) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص ٦٧ ، ص ٩٦.

فالخليفة المنصور عندما تولى الخلافة سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م أظهر عناية متميزة في تنظيم البريد ، وكان إهتمامه بالبريد من أجل أن يصبح أداة فعّالة في الحكم والإدارة ، فجعل من صاحب البريد ركنا أساسيا في الدولة (١) ولهذا كان يعين على دواوين البريد مواليه ومن يثق بهم من الناس ، فقد عين مولاه طريفا على بريد مصر والشام والجزيرة ، ثم عين بعده مطر وهذا أحد مواليه(٢) .

كما إعتمد على أصحاب البريد والأخبار في الولايات اعتماداً تاماً لارسال الأخبار إليه ، ولمراقبة أعمال ولاة الاقاليم وعمالها ، وما يجري في لولاياتهم ، ولم يستثنِ أحداً من هذه الرقابة ، إلى حد أن المهدي نفسه كان خاضعا لرقابة عمال البريد ، عندما كان والياً على الري . ومما روى بهذا الصدد: «أن الشاعر المؤمل بن أميل قدم على المهدي وهو بالري ، فامتدحه بأبيات من الشعر ، فأمر له المهدي بعشرين الف درهم . فكتب صاحب البريد إلى المنصور بذلك وهو بمدينة السلام(٣) .

ويؤيد ذلك ما كتبه المنصور عيسى بن موسى – ولي عهده – يطلب منه التنازل عن ولاية العهد لإبنه المهدي ، ويذكر له الأخبار التي وصلت إليه عن حب أهل خراسان للمهدي ، حتى ظن أنه لولا معرفة المهدي حق الأبوة لافضت الأمور إليه (٤) .

كما كتب إليه عامل البريد عن الوالي في حضرموت وأنه يكثر من الخروج في طلب الصيد. فكتب إلى هذا الوالي: «ثكلتك أمك وعدمتك عشيرتك ! ما هذه العدة التي أعددتها للنكاية في الوحش؟ إنا إنما استكفيناك أُمور المسلمين ، ولم نستكفك أمور الوحش. وعزله»(٥) .

وهكذا فقد كان أصحاب البريد في عهد المنصور عيوناً على عمال الولايات ، لأن المنصور كان دائم المراقبة لولاته وعماله ، شديد المحاسبة لهم ، لا يتوانى عن معاقبة وعزل أي والٍ يشتبه بأمره ، ولهذا جعلهم مستقلين عن حكام الولايات التي يعملون بها ، وربطهم مباشرة بالمركز (٦) .

ومما يدل على انتظام البريد في عهد المنصور ، أن عماله كانوا يوافونه بالأخبار في اليوم مرتين

---

(١) الطبري تاريخ ، ج٨ ، ص٦٧، الطرطوشي ، سراج ، ص٢٠٢ ، ابن العمراني ، الأنباء ، ص٦٢ ، ابن الجوزي ، المنتظم ج٧ ، ص ٢٤٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٥،ص٢٢١.

(٢) الجهشياري ، الوزراء ، ص١٠١ ، التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص٤١

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص ٢٤٣-٢٤٤ ، الاربلي خلاصة ، ص ٦٢

(٤) الجهشياري، الوزراء ، ص٢٥، س٤٦ ، ص١٢٩

(٥) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص٦٨ ، ابن كثير ، البداية ، ج١٠، ص ١٣٥.

(٦) الطبري ، تاريخ ، ح٨ ، ص ٦٧ ، ص ٩٦.

في الليل وفي النهار [١] .ومما تجدر إليه الإشارة ، أن التجسس أو الاستخبار في عهد الخليفة المنصور وغيره من الخلفاء العباسيين ، كان يجري على طريقتين : الأولى علنية (ظاهرة) ، وتتمثل بأصحاب الأخبار والبريد ، وكانوا منتشرين في جميع أنحاء الدولة ، ويقع على عاتقهم معرفة جميع أحوال الدولة ، ويكونوا بمثابة المخبرين الرسمين. وهؤلاءتكون أسماؤهم مدرجة في ديوان أصحاب البريد والأخبار.

أما الطريقة الثانية:- فهي خفية (سرية) ، وتتمثل بالجواسيس أو المخبرين ، وهم لا يظهرون أنفسهم ، ولا يعرفهم أحد. وقد تفنن الخلفاء في إستخدامهم ، فكانوا أنواعاً متنوعة ، فمنهم النساء، والعبيد ، والمحتاجون ، وأبناء السبيل [٢] .

وقد بالغ العباسيون في العناية بالتجسس والإكثار من العيون والرقباء أكثر من الذين سبقوهم، وحسنوا أحوالهم ماديا ومعنويا ، ويظهر هذا واضحا في عهد المنصور ، إذ أنه إستخدم – حسبما يروى– إمرأة ، وأمرها أن تمتهن الحجامة ، لتتمكن من دخول المنازل والتعرف على أخبار أهلها، وكان يجري عليها راتبا شهريا ويمدها بكسوة الشتاء والصيف [٣] . كما أنه استخدم بقالا ، ليكون على اتصال دائم بالناس دون أن يرتابوا فيه [٤] .

كما عوّل المنصور في دائرته الاستخبارية على التجار والدلالين والمسافرين فقد بعث عقبة بن مسلم إلى المدينة ، ليعلم علم محمد بن عبدالله بن الحسن. فقدمها متنكرا ، وجعل يبيع العطر ، ويدس غلمانا يبيعون العطر ويسألون عن الأخبار وكان يبذل ويعطي في طلبه ويكتب بالأخبار[٥] . ولم يكتف الخليفة بالاعتماد على أصحاب الأخبار وأعوانهم من جواسيس وغيرهم ، بل كان يخرج بنفسه متخفيا ، ويطوف المدينة ليلاً لمعرفة أحوال الناس [٦] .

وهذه الاشارات وغيرها ، توكد قول الجاحظ :« وكان أكثر الأمور عنده ، معرفة أحوال الناس ،

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص ٩٦ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٧ ، ص٣٤١-٣٤٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص٥٢١. الأربلي ، خلاصة ، ص٦١-٦٢.

(٢) نظام الملك ، سياسات نامة ، ص٩٤ ، صلاح الدين المنجد ، الخلفاء والخلعاء ، ص ٨٧.

(٣) البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص١٤٨.

(٤) البيهقي ، المصدر السابق ، ص ١٤٨.

(٥) مؤلف مجهول ، الحدائق والعيون ، ج٣ ، ص٢٣٤.

(٦) البلاذري ، انساب ، ج٣ ، ٤٦٢ ، أبو الفداء ، المختصر ، ج٢ ، ص٨٠٧ ، الجزيري ، درر الفرائد ، ص٢١١.

حتى عرف الولي من العدو ، والمداجي من المسالم ، فساس الرعية ولبسها، وهو من معرفتها على مثل وضح النهار »[١] . كما انها تؤكد أن المنصور كان على علم تام بما يجري في دولته من أمور ، من خلال التقارير الدورية التي كانت تصله. لأن ولاة البريد كانوا يكتبون إليه يومياً بكل ما يجري في ولاياتهم ومناطقهم.

إذاً فقد أدرك الخلفاء العباسيون أهمية البريد في تنفيذ السياسة التي وضعوها لحكم الدولة ، فكان البريد عونا لهم على اكتشاف حركات التمرد أو الثورة في مهدها ، إذ أن عمال البريد كانوا يبعثون بأخبارها على جناح السرعة إلى دار الخلافة ، فتبادر هي بدورها إلى إتخاذ الإجراءات الفعّالة ضدها في الوقت المناسب ، وبهذه الوسيلة ، كان الخلفاء يقفون على أحوال الأقاليم الإسلامية ، ويعرفون مدى إستتاب الأمن فيها.

ومما يدل على ذلك أنه لما خرج محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب - والملقب بالنفس الزكية - سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م بالمدينة ، ووجه أخاه إبراهيم إلى البصرة لنشر دعوته ، رأى المنصور أن بقاء محمد يشكل خطرا يهدد أمن الدولة العباسية ، لذلك أرسل الرسل والعيون لمعرفة موضعه ، ثم ندب ولي عهده موسى بن عيسى لمحاربته وجند إستخباراته كافة للقبض عليه [٢] .

واستمرت العناية بالبريد في عهد الخليفة المهدي ١٥٨هـ/٧٧٤م فقد أمر في سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م بإقامة محطات البريد على الطرق من مكة والمدينة واليمن إلى بغداد [٣] كما إهتم بمنازل البريد ، فأقام فيها البغال والابل[٤].

وبلغ إهتمام المهدي بالبريد أقصى حد له ، عندما وجه إبنه هارون الرشيد لقتال الروم ، وأحب أن يكون على اتصال دائم بأخباره ، فرتب بينه وبين معسكر إبنه بُرداً ، كانت تأتيه بأخباره [٥].

وفي سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م جد المهدي في طلب الزنادقة ، والبحث عنهم في الآفاق ، وولّى أمرهم

---

(١) الجاحظ ، التاج ، ص١٦٩. لبسها ، اي غل بها دهراً طويلاً.

(٢) الطبري تاريخ ، ج٧ ، ص ٦٢٠-٦٢١ ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٦٦ ، ابن كثير ، البداية ،ج١٠ ، ص٩٤-٩٥.

(٣) الطبري ، تاريخ ،ج٨ ، ص ١٦٢ ، أبو الفداء ، مختصر ، ج٢ ، ص٨ ، ابن تغري بردي ، النجوم ، ج٢ ، ص ٦٤

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص ١٦٢ ، ابو الفداء، مختصر ، ج٢ ، ص٨

(٥) القلقشندي ، صبح الاعشا ، ج١٤ ، ص٤١٤ ، العمري ، التعريف ، ص١٨٥.

حتى عرف الولي من العدو ، والمداجي من المسالم ، فساس الرعية ولبسها، وهو من معرفتها على مثل وضح النهار»[١] . كما انها تؤكد أن المنصور كان على علم تام بما يجري في دولته من أمور ، من خلال التقارير الدورية التي كانت تصله. لأن ولاة البريد كانوا يكتبون إليه يومياً بكل ما يجري في ولاياتهم ومناطقهم.

إذاً فقد أدرك الخلفاء العباسيون أهمية البريد في تنفيذ السياسة التي وضعوها لحكم الدولة ، فكان البريد عونا لهم على اكتشاف حركات التمرد أو الثورة في مهدها ، إذ أن عمال البريد كانوا يبعثون بأخبارها على جناح السرعة إلى دار الخلافة ، فتبادر هي بدورها إلى إتخاذ الإجراءات الفعّالة ضدها في الوقت المناسب ، وبهذه الوسيلة ، كان الخلفاء يقفون على أحوال الأقاليم الإسلامية ، ويعرفون مدى إستتاب الأمن فيها.

ومما يدل على ذلك أنه لما خرج محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب - والملقب بالنفس الزكية - سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م بالمدينة ، ووجه أخاه إبراهيم إلى البصرة لنشر دعوته ، رأى المنصور أن بقاء محمد يشكل خطرا يهدد أمن الدولة العباسية ، لذلك أرسل الرسل والعيون لمعرفة موضعه ، ثم ندب ولي عهده موسى بن عيسى لمحاربته وجند إستخباراته كافة للقبض عليه [٢] .

واستمرت العناية بالبريد في عهد الخليفة المهدي ١٥٨هـ/٧٧٤م فقد أمر في سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م بإقامة محطات البريد على الطرق من مكة والمدينة واليمن إلى بغداد [٣] كما إهتم بمنازل البريد ، فأقام فيها البغال والابل[٤].

وبلغ إهتمام المهدي بالبريد اقصى حد له ، عندما وجه إبنه هارون الرشيد لقتال الروم ، وأحب أن يكون على اتصال دائم بأخباره ، فرتب بينه وبين معسكر إبنه بُرداً ، كانت تأتيه بأخباره [٥].

وفي سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م جد المهدي في طلب الزنادقة ، والبحث عنهم في الآفاق ، وولّى أمرهم

---

(١) الجاحظ ، التاج ، ص١٦٩ . لبسها ، اي غل بها دهراً طويلاً.

(٢) الطبري تاريخ ، ج٧ ، ص ٦٢٠-٦٢١ ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٦٦ ، ابن كثير ، البداية ،ج١٠ ، ص٩٤-٩٥.

(٣) الطبري ، تاريخ ،ج٨ ، ص ١٦٢ ، أبو الفداء ، مختصر ، ج٢ ، ص٨ ، ابن تغري بردي ، النجوم ، ج٢ ، ص ٦٤

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص ١٦٢ ، ابو الفداء، مختصر ، ج٢ ، ص٨

(٥) القلقشندي ، صبح الاعشا ، ج١٤ ، ص٤١٤ ، العمري ، التعريف ، ص١٨٥.

أحد رجاله ، حيث نشر جواسيسه وعيونه من أجل البحث عنهم [١].، كما عين صاحب خبر على باب دار الخلافة ، يرفع إليه بأخبار حاشيته وجواريه وتصرفاتهم [٢]. وهذا ان دلّ على شيء ، فإنما يدل على إستمرار الإهتمام بالبريد في عهد المهدي وليس كما يقال بأن البريد في عهد السفاح والمنصور، ثم المهدي كان لا يُشد له سرج ، ولا تلجم له دابة [٣]. فالأمر على عكس ذلك تماماً ، وهذا ما لمسناه فعلا،من خلال إستعراضنا لنظام البريد في عهد كل من السفاح والمنصور والمهدي .

وفي سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م بويع موسى الهادي بالخلافة ، وكان على ديوان البريد والخاتم في عهده علي بن يقطين [٤] .

ولما آلت الأمور إلى هارون الرشيد (١٧٠هـ/٧٨٦) إختار يحي بن خالد البرمكي مشيراً ووزيراً، فأشار عليه بإجراء البريد على ما كان عليه أيام أبيه وأيام الأمويين ، وبين له الفوائد والمزايا التي ستجنيها الدولة من خلال عنايتها بنظام البريد ، فأمر الرشيد بإقراره.

وكان يحيى خير من يضع الأمور في نصابها ، فصب البريد في قالب جديد ، وجعل له البغال في المراكز ، وكان لا يجهز عليه الا الرشيد او صاحب الخبر[٥].

وقد وصل البريد الى درجة عظيمة من الدقة والإنتظام في عهد الرشيد ، ومما يؤكد ذلك أن رقابته على الولاة والعمال في الأقاليم كانت شاملة ، لم يستثنِ منها احد ، حتى أصحاب الجاه والسلطان . فالبرامكة انفسهم كانت أخبارهم تصل إلى مسامع الرشيد عن طريق عمال البريد ، ومن ذلك أن صاحب البريد بخراسان أنفذ كتابا إلى الرشيد ، يذكر فيه انشغال الفضل بن يحيى بالصيد واللذات، عن النظر في امور الرعية ، فلما قرأه الرشيد غضب ، ورمى به إلى يحيى بن خالد وكلّفه بأخطار إبنه بالعدول عن تلك الصغائر ، والالتفات إلى أحوال المشرق ، فكتب يحيى إلى إبنه الفضل على ظهر كتاب صاحب البريد يوبخه ويردعه عن ذلك [٦].كما أن الرشيد أوكل بدور البرامكة سرا ، وأمر صاحب شرطته السندي بن شاهك بالقبض عليهم [٧].

---

(١) الاربلي ، خلاصة الذهب ص١٠٠.
(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص٣١٦
(٣) القلقشندي ، صبح الاعشا ، ج١٤ ، ص٤١٤
(٤) ابن العمراني ، انباء ، ص ٧٤
(٥) القلقشندي ، صبح الاعشا ، ج١٤ ، ص ٤١٤ ، العمري ، التعريف ، ص ١٨٦.
(٦) المسعودي ، مروج ، ج٣ ، ص٣٦٨-٣٦٩ ، ابن خلكان، وفيات ، ج٤ ، ص٢٨.
(٧) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص ٢٩٧ ، الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٣٦-٢٣٧ ، النويري ، نهاية الأرب ،ج٢٢ ، ص٤١-٢٤.

أحد رجاله ، حيث نشر جواسيسه وعيونه من أجل البحث عنهم [١].، كما عين صاحب خبر على باب دار الخلافة ، يرفع إليه بأخبار حاشيته وجواريه وتصرفاتهم [٢]. وهذا ان دلّ على شيء ، فإنما يدل على إستمرار الإهتمام بالبريد في عهد المهدي وليس كما يقال بأن البريد في عهد السفاح والمنصور، ثم المهدي كان لا يُشد له سرج ، ولا تلجم له دابة [٣]. فالأمر على عكس ذلك تماماً ، وهذا ما لمسناه فعلا،من خلال إستعراضنا لنظام البريد في عهد كل من السفاح والمنصور والمهدي .

وفي سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م بويع موسى الهادي بالخلافة ، وكان على ديوان البريد والخاتم في عهده علي بن يقطين [٤] .

ولما آلت الأمور إلى هارون الرشيد (١٧٠هـ/٧٨٦) إختار يحي بن خالد البرمكي مشيراً ووزيراً، فأشار عليه بإجراء البريد على ما كان عليه أيام أبيه وأيام الأمويين ، وبين له الفوائد والمزايا التي ستجنيها الدولة من خلال عنايتها بنظام البريد ، فأمر الرشيد بإقراره.

وكان يحيى خير من يضع الأمور في نصابها ، فصب البريد في قالب جديد ، وجعل له البغال في المراكز ، وكان لا يجهز عليه الا الرشيد او صاحب الخبر[٥].

وقد وصل البريد الى درجة عظيمة من الدقة والإنتظام في عهد الرشيد ، ومما يؤكد ذلك أن رقابته على الولاة والعمال في الأقاليم كانت شاملة ، لم يستثنِ منها أحد ، حتى أصحاب الجاه والسلطان . فالبرامكة انفسهم كانت أخبارهم تصل إلى مسامع الرشيد عن طريق عمال البريد ، ومن ذلك أن صاحب البريد بخراسان أنفذ كتابا إلى الرشيد ، يذكر فيه انشغال الفضل بن يحيى بالصيد واللذات، عن النظر في امور الرعية ، فلما قرأه الرشيد غضب ، ورمى به إلى يحيى بن خالد وكلّفه بأخطار إبنه بالعدول عن تلك الصغائر ، والالتفات إلى أحوال المشرق ، فكتب يحيى إلى إبنه الفضل على ظهر كتاب صاحب البريد يوبخه ويردعه عن ذلك [٦].كما أن الرشيد أوكل بدور البرامكة سرا ، وأمر صاحب شرطته السندي بن شاهك بالقبض عليهم [٧].

---

(١) الاربلي ، خلاصة الذهب ص١٠٠.
(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص٣١٦
(٣) القلقشندي ، صبح الاعشا ، ج١٤ ، ص٤١٤
(٤) ابن العمراني ، انباء ، ص ٧٤
(٥) القلقشندي ، صبح الاعشا ، ج١٤ ، ص ٤١٤ ، العمري ، التعريف ، ص ١٨٦ .
(٦) المسعودي ، مروج ، ج٣ ، ص٣٦٨-٣٦٩ ، ابن خلكان، وفيات ، ج٤ ، ص٢٨.
(٧) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص ٢٩٧ ، الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٣٦-٢٣٧ ، النويري ، نهاية الأرب ،ج٢٢ ، ص٤١-٢٤.

ومن شدة عنايته بالبريد ، وإهتمامه بمعرفة الأخبار ، إستخدم أصحاب الأخبار على الأمراء والقواد المعروفين . ومن هؤلاء القائد يزيد بن مزيد (١). كما وضع العيون والجواسيس على إبنه محمد الأمين ليأتوه بأخباره ، وأخبار من سامره من بني هاشم من أهل الأدب وغيره (٢). وكثيرا ما كان يتلثم فيحضر مجالس العلماء بالعراق ولا يعرفه أحد (٣)وهذه مؤشرات واضحة تشير وتدل صراحة على ما اتصف به الرشيد من اليقظة والانتباه لكل ما دق وعظم وجل في شؤون الحكم.

وهكذا كانت جميع أخبار الأمصار والبلدان تصل إليه ، فإذا ما اشتهى معرفة أمر أو خبر من أخبار الأمصار ، خط كتاباً يأمر فيه بما يريد ، ويطلب إيصاله حيث شاء من الأماكن (٤). حتى قيل ان للرشيد عينا لا تنام في أقصى زوايا ملكه(٥). ويرجع الفضل في ذلك إلى جعفر البرمكي الذي عهد إليه الرشيد بالإشراف على جهازالبريد (٦).

وليس هذا فحسب بل أن الخليفة هارون الرشيد ، وجه إهتمامه للبريد للكشف عن الحركات المعارضة للدولة ، وعن أعدائه وأعداء الدولة الذين يعملون على ضعضعة كيانها بكل الأساليب المتاحة. فقد تمكن الخليفة هارون الرشيد من القبض على أحمد بن عيسى بن زيد العلوي بفضل إستخباراته المحكمة ، وبوساطة أعوانه وأرصاده المنتشرين في كافة ارجاء دولته(٧).

كما تبرز أهمية البريد أثناء حملات الرشيد على بلاد الروم ، ولا سيما في حملته الأخيرة عام ١٩٠هـ/٨٠٥م فقد أورد الطبري المراسلات التي جرت بين هارون الرشيد وملك الروم نقفور، والتي تدل على عداء الروم المستمر للمسلمين ونقضهم للعهد المبرم بينهما ، والمتمثل بدفع جزية سنوية لبيت مال المسلمين(٨).

ففي سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م جاء خبر بأن الروم قد خرجوا إلى عين زربة وكنيسة السوداء على حدود البلاد ، وأغاروا على المسلمين وقتلوا واسروا ..... (٩) . فأمر الرشيد بالإسراع في إعداد

---

(١) التنوخي ، المستجاد من فعلات الأجواد ، ص ١٠٠-١٠٤

(٢) ابن اعثم ، الفتوح ، ج٣ ، ص ٤٠٧

(٣) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ، ج٢ ، ص ١٨٦.

(٤) ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ج٢ ، ص ١٩٣.

(٥) عبد الجبار جومرد ، هارون الرشيد ، ج٢ ، ص١٤٨.

(٦) الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٠٤.

(٧) الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص ٣٢٨، ص ٤٠٨-٤٠٩ ، ص ٤١٢.

(٨) الطبري تاريخ ، ج٣ ، ص ٦٩٥-٦٩٦.

(٩) الطبري تاريخ ، ج٣ ، ص٦٩٥-٦٩٦.

لوازم القتال ، وترك ابنه الأمين في بغداد ، وبقي على إتصال مستمر معه عن طريق البريد . كما أبقى المأمون في الرقة ، وفوض إليه الأمور ، وجعل معه وزيره الفضل بن سهل . وخرج بجيش كامل العدد والعدة ، واتجه نحو بلاد الروم ، فتوغل فيها ، واتخذ من مدينة هرقلة مقرا له ، ومنها أخذ يرسل بعض كتائبه لفتح الحصون والمدن المجاورة (١) وبقي على إتصال دائم بقواده لمعرفة كل ما يحدث من صغيرة وكبيرة ن لمداركه الأخطار أولا بأول ، حتى تمكن من إرغام نقفور على دفع الجزية ، إضافة إلى التعويضات الحربية.

ومما يروى عن البريد في عهد الرشيد ، أن أمور البريد والأخبار قد أهملت في أواخر حياته ، بدليل ما ذكره الفضل بن مروان: « أن امور البريد والأخبار في أيام الرشيد كانت مهملة ، وان مسروراً الخادم كان يتقلد البريد والخرائط ، ويخلفه عليه ثابت الخادم ...... وأن الرشيد توفي وعندهم أربع آلاف خريطة (٢).

ويبدو أن إهمال البريد هذا يعود لانشغال الرشيد بحملة المشرق أو لمرضه ، مما جعل أخبار عماله تخليط ومحاباة.

ثم عاد دور البريد وبرز بشكل واضح وجلي أثناء الخلاف بين الأمين والمأمون . فقد كان كل منهما يعتمد على البريد في معرفة أخبار الآخر . فعندما توفي الرشيد سنة ١٩٣هـ /٨٠٨م بطوس ، بويع الأمين بالخلافة في عسكر الرشيد وكان المأمون حينئذٍ بمرو ، فكتب حمويه صاحب البريد إلى نائبه ببغداد يعلمه بوفاة الرشيد ، فدخل على الأمين وعزاه ، وهنأه بالخلافة (٣). ثم أقبل المأمون يهادي أخاه الأمين ، ويبعث إليه من طرف خراسان ، ويواصله بالكتب على البريد (٤).

وقبل أن يكاشف الأمين المأمون بالخلاف ، طلب منه أن ينزل عن بعض كور خراسان ، وأن يكون له عنده صاحب بريد يكاتبه بالأخبار (٥). فغضب المأمون غضبا شديدا ، لأن هذا يعني الرقابة الفعلية من صاحب البريد ، على تصرفات المأمون وأفعاله في المشرق ثم انفذ ثقاته إلى الحد ، فلا

---

(١) الطبري تاريخ ج٣، ص ٧٨٣.

(٢) الجهشياري، الوزراء ، ص ٢٦٥.

(٣) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص٢٦٥، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩ ، ص ٢٣،٢٢ ، ابن الأثير الكامل، ، ج٥، ص ٣٥٩، النويري، نهاية الأرب. ج٢٢، ص ١٦٤، ابن خلدون ، تاريخ ، ج٣، ق٢، ص ٤٩١، السيوطي ، تاريخ ، ص ٢٩٦.

(٤) مؤلف مجهول ، العيون والحدائق، ج٢، ص٣٢١.

(٥) الطبري تاريخ ، ج٨ ، ص ٣٧٧ ، ابن أعثم ، الكوفي ، الفتوح ، ج٣ ص٤٤٦ ، ابن الأثير ، الكامل ،ج٥ ، ص ٣٦٥.

يمكّن أحداً من العبور إلى بلاده ، إلا مع ثقة من ناحيته ، وحصر أهل خراسان أن يستمالوا برغبة أو رهبة ، وضبط الطرق بثقات أصحابه ، فلم يمكنّوا من دخول خراسان إلا من عرفوه ، وأتى بجواز او كان تاجرا معروفا ، وفتشت الكتب [١].

واشتد الخلاف بين الأخوين ، نتيجة اعتماد الأمين على الفضل بن الربيع ، والمأمون على الفضل بن سهل. فلما هم الأمين بخلع المأمون من ولاية العهد ، دس الفضل بن سهل أقواماً إختارهم من ثقاته ببغداد ليكاتبوه بالأخبار [٢]. وكان الفضل بن الربيع قد أخذ بالمراصد ، لئلا تجاوز الكتب الحد ، وعلى الرغم من هذا لم يعجز رُسل المأمون عن تخطي تلك الاحتياطات ، فقد بعثوا الأخبار مع امرأة ، جاعلين الكتاب داخل عود منقور من أعواد الأكاف ، وكتب إلى صاحب البريد يتعجل الخبر . وكانت المرأة تمضي على المسالح كالمجتاز د من قرية إلى أخرى ، دون أن تكون موطن شبهة من قبل حراس الطرق التابعين للأمين ن فلم تفتش ، ولم يعترض سبيلها أحد حتى خرجت من الحدود ، وجاء الخبر موافقا لسائر ما ورد عليه من الكتب ، فقد شهد بعضها ببعض [٣].

وعندما قرر الخليفة الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد ، طار البريد إلى المأمون بخبر خلعه ، فكان رد المأمون إسقاط اسم الأمين من الخطبة والطرز والضرب ، وقطع البريد عنه[٤].

وفي سنة ١٩٥هـ/٨١٠م ، اتسعت دائرة الخلاف ونشب القتال بينهما ، إذ أرسل الأمين قائده علي بن عيسى بن ماهان لقتال طاهر بن الحسين قائد المأمون ، فالتقيا بظاهر الري، واقتتل الطرفان قتالا شديدا [٥]. وأثناء هذه الاشتباكات ، كان كل من الأخوين يترقب عن كثب ورود بريده حاملا خبر انتصاره على أخيه ، وقد أسفرت هذه الإشتباكات عن مقتل علي بن عيسى . وكتب طاهر بن الحسين إلى المأمون على البريد رقعة لطيفة، أورد فيها ما يلي: « كتبت إليك هذه الرقعة ، ورأس علي بن عيسى بين يدي ، وخاتمه في إصبعي ، وجنده منصرفون تحت أمري والسلام » فورد هذا الكتاب

---

(١) الطبري تاريخ ، ج٨ ص ٣٧٩ ، ابن أعثم الفتوح ، ج٢ ، ص ٤٤٦-٤٤٧ ، ابن الاثير ، الكامل ،ج٥ ، ص ٣٦٥

(٢) الطبري تاريخ ، ج٨ ، ٣٨٥ ، ابن الاثير الكامل ،ج٥ ، ص ٣٦٨

(٣) الطبري تاريخ ،ج٨ ، ٣٨٦ ، ابن أعثم الفتوح ، ج٢ ، ص ٤٤٧ ، ابن الاثير الكامل ،ج٥ ص ٣٦٨ ، ابن الطقطقي الفخري ، ص٢١٢.

(٤) الطبري ، تاريخ ،ج٨ ص٣٧٥ ، ابن الاثير ، الكامل،ج٥، ص٣٦٤ الأربلي ، خلاصة الذهب ص١٧٥، مؤلف مجهول ، الحدائق ج٣ ، ص٣٢٥ ابن تغري بردي، النجوم ، ج٢ ، ص١٧٥-١٨٤، السيوطي تاريخ ، ص ٢٤٧

(٥) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ص ٤٠٥ ، ابن العمراني ، الانباء ، ص ٩٠

يمكّن أحداً من العبور إلى بلاده ، إلا مع ثقة من ناحيته ، وحصر أهل خراسان أن يستمالوا برغبة أو رهبة ، وضبط الطرق بثقات أصحابه ، فلم يمكنّوا من دخول خراسان إلا من عرفوه ، وأتى بجواز او كان تاجرا معروفا ، وفتشت الكتب (١).

واشتد الخلاف بين الأخوين ، نتيجة اعتماد الأمين على الفضل بن الربيع ، والمأمون على الفضل بن سهل. فلما هم الأمين بخلع المأمون من ولاية العهد ، دس الفضل بن سهل أقواماً إختارهم من ثقاته ببغداد ليكاتبوه بالأخبار (٢). وكان الفضل بن الربيع قد أخذ بالمراصد ، لئلا تجاوز الكتب الحد ، وعلى الرغم من هذا لم يعجز رُسل المأمون عن تخطي تلك الاحتياطات ، فقد بعثوا الأخبار مع امرأة ، جاعلين الكتاب داخل عود منقور من أعواد الأكاف ، وكتب إلى صاحب البريد يتعجل الخبر . وكانت المرأة تمضي على المسالح كالمجتاز د من قرية إلى أخرى ، دون أن تكون موطن شبهة من قبل حراس الطرق التابعين للأمين ن فلم تفتش ، ولم يعترض سبيلها أحد حتى خرجت من الحدود ، وجاء الخبر موافقا لسائر ما ورد عليه من الكتب ، فقد شهد بعضها ببعض (٣).

وعندما قرر الخليفة الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد ، طار البريد إلى المأمون بخبر خلعه ، فكان رد المأمون إسقاط اسم الأمين من الخطبة والطرز والضرب ، وقطع البريد عنه(٤).

وفي سنة ١٩٥هـ/٨١٠م ، اتسعت دائرة الخلاف ونشب القتال بينهما ، إذ أرسل الأمين قائده علي بن عيسى بن ماهان لقتال طاهر بن الحسين قائد المأمون ، فالتقيا بظاهر الري، واقتتل الطرفان قتالا شديدا (٥). وأثناء هذه الاشتباكات ، كان كل من الأخوين يترقب عن كثب ورود بريده حاملا خبر انتصاره على أخيه ، وقد أسفرت هذه الإشتباكات عن مقتل علي بن عيسى . وكتب طاهر بن الحسين إلى المأمون على البريد رقعة لطيفة، أورد فيها ما يلي: « كتبت إليك هذه الرقعة ، ورأس علي بن عيسى بين يدي ، وخاتمه في إصبعي ، وجنده منصرفون تحت أمري والسلام » فورد هذا الكتاب

---

(١) الطبري تاريخ ، ج٨ ص ٣٧٩ ، ابن اعثم الفتوح ، ج٢ ، ص ٤٤٦-٤٤٧ ، ابن الاثير ، الكامل ،ج٥ ، ص ٣٦٥

(٢) الطبري تاريخ ، ج٨ ، ٣٨٥ ، ابن الاثير الكامل ،ج٥ ، ص ٣٦٨

(٣) الطبري تاريخ ،ج٨ ، ٣٨٦ ، ابن اعثم الفتوح ، ج٢ ، ص ٤٤٧ ، ابن الاثير الكامل ،ج٥ ص ٣٦٨ ، ابن الطقطقي الفخري ، ص٢١٢.

(٤) الطبري ، تاريخ ،ج٨ ص٣٧٥ ، ابن الاثير ، الكامل،ج٥، ص٣٦٤ الأربلي ، خلاصة الذهب ص١٧٥، مؤلف مجهول ، الحدائق ج٣ ، ص٣٢٥ ابن تغري بردي، النجوم ، ج٢ ، ص١٧٥-١٨٤، السيوطي تاريخ ، ص ٢٤٧

(٥) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ص ٤٠٥ ، ابن العمراني ، الانباء ، ص ٩٠

في ثلاثة أيام ، وبينهما نحو خمسين ومائتي فرسخ (١).

وكان يلي البريد عبد الرحمن بن مدرك ، ، فعندما وصل كتاب طاهر بن الحسين بالفتح ، أرسل به إلى الفضل بن سهل ، حيث وثب به إلى دار الخليفة المأمون وبشره بالفتح ، ثم أمر بإحضار أهل بيته ، والقواد ووجوه الناس، فدخلوا وسلموا عليه بالخلافة (٢).

إذاً فقد كان البريد هو همزة الوصل بين الخليفة وكبار قواده في ميادين القتال ، مهما بعدت المسافة بين الطرفين ، كما كان لعمال البريد شأن كبير في معرفة الأخبار وحبكها ما بين بغداد ومرو، وتفنن كل من الأمين والمأمون في معرفة أخبار الآخر وأسراره ، متخيراً أفضل الوسائل والطرق لذلك.كما أن وصول البريد يحمل البشارة بالنصر في ثلاثة أيام ، وبين الري ومرو مائتان وخمسون فرسخا ، أي (الف وخمسمائة كيلو متر) يشير بوضوح إلى مدى عناية المأمون بطرق البريد ، وتعبيدها ، وتزويدها بالخيول والرجال لضمان سرعة وصول الأخبار.

وبعد أن تولى المأمون الخلافة ، وانتقل الى بغداد سنة ٢٠٤هـ / ٨١٤م ، طرأ تطور ملموس على نظام البريد ، فقد وصل إلى درجة عالية من الدقة والانتظام ومما يدل على ذلك أن المأمون بعث إلى ابراهيم بن السندي في خراسان بريداً كي يحضر ، حيث ولاه بريد الجناح الغربي من الدولة العباسية (٣).

وبلغ من إهتمام المأمون بالبريد ، انه كان يتتبع كل ما يجري في دار الخلافة وخارجها فقد بث أصحاب الأخبار والعيون في سائر الاقطار ، ولا سيما في بلاد الروم ، وقد كانوا من الرجال والنساء المتنكرين في زي التجار أو المسافرين أو الأطباء (٤).

وتتمثل مظاهر إهتمام المأمون بالبريد فيما يلي :-

- المراقبة الشاملة لعماله ، مما جعلهم يحرصون على إحاطته علما بكل ما يحدث في أقاليم الدولة ، دون خوف او وجل . ففي سنة ٢٠٧ هـ وردت كتب البريد في خراسان تذكر أن طاهر بن

---

(١) الطبري تاريخ ، ج٨ ، ص ٣٩٤ ، الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٩٣ ابن العمراني الانباء ص٩٠ ، ابن الأثير الكامل، ج٥ ، ص ٣٧١ مؤلف مجهول ، الحدائق ، ج٣ ، ص ٢٢٥ ، ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢١٣-٢١٤.

(٢) الطبري تاريخ ، ج٨ ص ٣٩٥ ، الجهشياري ص٢٩٤ ، مؤلف مجهول ، الحدائق ، ج٣ ، ص ٢٢٥ ابن الطقطقي، الفخري ص ٢١٤ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج٢ ، ص ١٧٥.

(٣) ابن طيفور، بغداد ، ص ٤٠ - ٤١، البيهقي المحاسن والمساوئ ، ١٦٦.

(٤) ابن الفراء، رسل الملوك، ص ٧٤ ، فليب حتي، تاريخ العرب المطول ، ج١، ص ٤٠٢ .

الحسين خلع طاعة المأمون ، فقلق لذلك[١] ، ثم كتب كلثوم بن ثابت متولي بريد خراسان أن طاهر بن الحسين صعد المنبر يوم الجمعة . وخطب ، فلما بلغ ذكر الخليفة أمسك ، فكتب بذلك على خيل البريد ، خوفاً من أن تسبقه كتب التجار ويكون ذلك سبب هلاكه[٢]. إذ أن الخلفاء كانوا يعتمدون على أشخاص ليس لهم صبغة رسمية ، لا ستخدامهم في تلك المهام ، وهؤلاء كانت علاقتهم مع الخليفة مباشرة .

- كذلك سعى المأمون إلى توسيع دائرته الإستخبارية إلى حد كبير ، فالأخبار الواردة عنه في هذا المجال تفيد بأنه أكثر من إستعمال العجائز من النساء [٣]. وهذا مؤشر واضح على حرصه على سماع أخبار الناس والعامة ، والإطلاع على أراء ناقدي سياسته وكانت تلك العجائز تأتيه كل مساء بأخبار اللصوص والفساق ، وكل ما يتعلق بأخبار الناس . فقد ذكر النويري أن عدد النساء اللآتي إنخرطن في سلك الأخبار في عهد المأمون ، الف وسبعمائة عجوز[٤] . وهذا يعني وجود دائرة كبرى من المخبرين السريين والذين لهم علاقة مباشرة مع الخليفة .

لكنه لم يعتمد على هؤلاء فقط في جلب الأخبار ، بل كان يدور ليلاً ونهاراً لمعرفة الأخبار بنفسه[٥] . ومن شدة يقظته واهتمامه بمصالح دولته ، فكان له أصحاب أخبار على كل شيء ، على عماله في الولايات ،[٦] وعلى قواده وحاشيته [٧]، وحتى على وزرائه والمقربين إليه . فقد كان للمأمون صاحب خبر على وزيره عمرو بن مسعدة ، يعرفه بجميع أخباره ، وطريقة تعامله مع الآخرين [٨]. كما أنه بث المخبرين السريين والعيون ، للكشف عن حركات التمرد والمعارضة ، إذ كان عمال البريد يبعثون بأخبارها على جناح السرعة إلى دار الخلافة ، التي كانت تبادر إلى اتخاذ الإجراءات الفعالة ضدها في الوقت المناسب ، ومنها ما قام به العلويون عندما انتهزوا فرصة مقتل الأمين ،

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج٢، ص ٥٢١ .

(٢) اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص ٤٥٧، ابن طيفور، بغداد، ص ٦٧، الطبري ، تاريخ ج٨، ص ٥٩٤، ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص ٤٤١، الشابشتي، الديارات ، ص٤٧، الأصفهاني ، الأغاني ، ج١٤، ص ٣٧، مسكوية، تجارب الأمم، ج٦، ص ٤٥٣، ابن خلكان ، وفيات ، ج٢ ، ص ٥٥٢ .

(٣) ابن الفراء، رسل الملوك ، ج٢، ص ٧٤.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج٢، ص ٢٢٩.

(٥) الجاحظ ، التاج، ص ١٧٠.

(٦) البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص ٢١٦ ، ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج٦، ص ١٧٦.

(٧) الأصفهاني، التنبيه على حدوث التصفيح ، ص ٤٦، الراغب الاصبهاني، محاضرات الادباء ، ج١ ، ص ١٠٨ .

(٨) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج١، ص ٢١١.

فقاموا بثورات قوية واسعة المدى ، وكان أخطرها ثورة أبي السرايا منصور الشيباني ومعه ابن طباطبا في الكوفة سنة ١٩٩هـ / ٨١٤م[(١)] .

وكانت علاقة المأمون بأصحاب الأخبار لاتقف عند حد نقل الأخبار والأحداث إليه فحسب ، بل تعدت ذلك إلى حد إرشادهم إلى التصرفات التي تليق بواجباتهم ، وكان يراعي أمورهم وأحوالهم ، وعندما تشْكل عليهم بعض الأمور يسألونه رايه ، فيقوم بمساعدتهم [(٢)].

وهكذا فقد وصلت الإستخبارات في عهده إلى درجة عالية من التقدم والرقي والشمول ، فمما يروى عنه ، أنه كان يبحث عن الأمور والأحوال غاية البحث ، ومما يؤكد ذلك أنه تحدث عن أهل عسكره ، فكان حديثه حديث العارف بكل صغيرة وكبيرة ، ولو كان قد أقام في رحل كل رجل منهم حولا لما زاد ذلك في معرفته [(٣)].

كما يؤكد أمر المامون هذا رسالته الى اسحق بن إبراهيم في الفقهاء واصحاب الحديث ، وهو بالشام ، خبر فيها عن جميع عيوبهم وأمورهم واحوالهم [(٤)].

ولم يكن هذا الأمر مقتصراً على الخليفة وحده ، بل نجده قد تعداه إلى أمرائه ، فقد كان إسحق بن إبراهيم – أمير بغداد – أكثرهم فحصاً وبحثاً عن أمور الناس وجعل هذا الأمر أكبر شغله وأكثره في ليله ونهاره [(٥)].

وعندما تولى المعتصم الخلافة ، طرأ تطور ملموس على نظام البريد ، إذ طور البريد للأغراض العسكرية، وذلك عن طريق إستخدامه في نقل الجند ، ونقل المؤن إليهم .

وفي سنة ٢١٩هـ/٨٣٤م وجه المعتصم عجيف بن عنبسة لحرب الزط ، الذين كانوا غلبوا على طريق البصرة وعاثوا فيها فساداً ، واحتملوا غلات البيادر بكسكر وما يليها في البصرة ، واخافوا السبيل . فرتب المعتصم في كل سكة من سكك البريد خيلاً مضمرة ملهوبة الأذناب تركض إليه بالأخبـــار ، وكان الخبر يخرج من عند قائد الجيش عجيف بن عنبسة فيصير إلى المعتصم مـــن

---

(١) الطبري، تاريخ ، ح١ ، ص ٥٢٨-٥٣٤.
(٢) ابن طيفور ، بغداد، ص ٤٢.
(٣) البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص ١٤٩-١٥٠.
(٤) البيهقي ، المصدر السابق ، ص ١٤٣.
(٥) الجاحظ ، التاج، ١٧١.

يومــه(١).

وهكذا فقد إستطاع عجيف بن عنبسة بفضل الخدمة المنتظمة التي قدمها له ديوان البريد من خيل ومؤن في بغداد ، أن يهزم الزط هزيمة ساحقة ، ويقضي على خطرهم في جنوب العراق . فقد كانت الأخبار والأوامر والخطط والمؤن تنقل بين الخليفة وقائده في سرعة متناهية (٢).

كما أننا نلمس أثر ودور البريد بشكل بارز وواضح في ثورة بابك الخرمية سنة٢٢٢هـ ففي هذه السنة عقد المعتصم للأفشين حيدر بن كاوس على الجبال ، ووجهه لحرب بابك ، كما وجه أبا سعيد محمد بن يوسف إلى أردبيل ، وأمره أن يبني الحصون التي خربها بابك فيما بين زنجان وأردبيل ، ويجعل فيها الرجال مسالح لحفظ الطريق لمن يجلب الميرة إلى أردبيل .(٣)

وكان المعتصم لشدة إهتمامه بأمر بابك وأخباره ، ولفساد الطريق بسبب تراكم الثلوج ، وغير ذلك من الأسباب أن جعل من سامراء إلى عقبة حلوان خيلاً مضمرة ، وجعل على رأس كل فرسخ فرساً مع مرتب ، فكان يركض بالخبر ركضاً حتى يؤديه من واحد إلى واحد يداً بيد ، ومن حلوان إلى أذربيجان ، وهي منطقة وعرة رتب فيها عددا من الخيول يركض بها يوما أو يومين ، ثم تبدل ويصير على غيرها ، ويحمل عليها جماعة من الغلمان ، كل دابة على رأس فرسخ ومعها راكبها . وجعل لهم حراساً على رؤوس الجبال ليلاً ونهاراً ، وامرهم أن يصيحوا إذا جاءهم الخبر ، فإذا سمع الذي يليه النداء تهيأ ، فلا يبلغ إليه صاحبه الذي صاح حتى يقف له على الطريق ، فيأخذ الخريطة منه ، وكانت الخريطة تصل من عسكر الأفشين إلى سامراء في أربعة أيام أو أقل(٤) .

مما سبق نلاحظ أن اهتمام المعتصم بالبريد وصل أعلى درجاته في ثورة بابك الخرمية من حيث التنسيق والتنظيم والدقة ، بين القادة في المركز والقواد في ميادين القتال من جهة ، ومن حيث استخدام جميع الوسائل الكفيلة بإيصال الأخبار بأسرع وأقصر وقت ممكن . رغم الظروف الجوية والميدانية غير الملائمة من جهة أخرى .

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٩ ، ص ٩٨ ، ابن الجوزي، المنتظم ، ج١١، ص ٤٢، مسكويه ، تجارب، ج٦، ص ٤٧١، ابن الأثير، الكامل ، ج٦، ص١٦.

(٢) الطبري، تاريخ ، ج٩، ص ٨.

(٣) الطبري تاريخ، ج٩، ص ١٢، ابن الجوزي ، المنتظم، ج١١، ص ٥٢-٥٤، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ١٨-١٩.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٩، ص ٥٢، ابن أعثم، الفتوح ، ج٢، ص ٤٦٧، ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص ٧٦، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٤٥، ابن تغري بردي، النجوم، ج٢، ص ٢٩٠.

ولم تقتصر إهتمامات المعتصم على النواحي العسكرية فحسب ، بل وجه عنايته الكبيرة إلى الإهتمام بالجوانب الأخرى ، فنراه يضع أصحاب البريد على عماله في الأقاليم ، لتزويده بأخبار العامة وأحوالها .[(١)]

وقد كتب إليه عبدالله بن عبدالرحمن صاحب بريد أذربيجان ، أن منكجور ، أصاب مالاً عظيماً في بعض قرى بابك ، واحتكره لنفسه ، مما دعا الخليفة إلى عزله [(٢)] .

وعلى هذا فالمعتصم قد سار على نفس نهج الخلفاء العباسيين الذين سبقوه في حبهم لمعرفة احوال الناس ، والتحري عن أخبارهم ، فكان له أصحاب أخبار على كل شيء وفي المعسكرات [(٣)] .

ويظهر دور أصحاب الأخبار في ثورة المازيار سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م وفي تلك السنة كتب المعتصم إلى قائده عبدالله بن طاهر ، يأمره بمحاربة المازيار ، فوجه عبدالله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب في جيش كثيف من خراسان إلى المازيار ، ووجه معه صاحب خبر يعرف بمحمد بن الصباح ، كما وجه الخليفة المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب ، ووجه معه صاحب خبر يقال له يعقوب بن إبراهيم البوشنجي مولى الهادي ويعرف بقوصرة ، يكتب إليه بخبر العسكر . وعندما إحتاج المازيار إلى الرجال لمحاربة عبدالله بن طاهر ، دعا ابن عمه وأخاه ، وطلب منهما أن يتوليا أمر الجبل ، ثم زحفت العساكر نحو المازيار حتى قربوا منه ، فدعا الحقد الذي كان في قلب ابن عم المازيار، أن كاتب الحسن بن الحسين بن مصعب ، واعلمه بجميع ما في عساكره ، كما أعلمه بالمرسلات التي جرت بين الأفشين والمازيار [(٤)] ، وكذلك فعل أخوه قوهيار ، فكانت الأخبار ترد على عبدالله بن طاهر ، وعبدالله يكاتب الخليفة المعتصم بها ، وبهذا تم الإنتصار على المازيار وقتله [(٥)] .

وما سبق يعد دليلا واضحا على إهتمام الخلفاء العباسيين بأصحاب الأخبار ، وخاصة في المعسكرات ، كي يكونوا على إتصال دائم بمجريات الأحداث ، وعلى علم تام بتحركات القادة وتصرفاتهم ، وبنتائج الأحداث أولاً بأول ، لتدارك الأخطار التي قد تحدق بهم .

---

(١) اليعقوبي، تاريخ ، ج٢، ص ٤٧٥

(٢) الطبري، تاريخ ، ج٩، ص ١٠٢ . مسكوية ، تجارب، ج٦، ص ٥١٥، ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص ٥٧، ابن خلدون، تاريخ ، ج٣، ق٣، ص ٥٤٤.

(٣) الطبري، تاريخ ، ج٩، ص ٧٤،٧٣، ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص ٤٧،٤٦. مؤلف مجهول، الحدائق، ج٣، ص ٤٩٨ .

(٤) الطبري، تاريخ، ج٩، ص ٨١،٨٠، ابن الأثير، الكامل ، ج٦، ص ٥١،٥٠.

(٥) الطبري ، تاريخ ، ج٩، ص ٨٩٦-٨٩٩ ، مسكويه ، تجارب، ج٦، ص ٥١١، ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص٥٥-٥٦.

نظام البريد في العصر العباسي الثاني ٢٣٢هـ -٣٣٤هـ/ ٨٤٦م - ٩٤٥م .

تولى الخلافة بعد المعتصم الخليفة الواثق وكان شاباً صغيراً ، واعتبر عصره بداية النهاية للعصر الذهبي في تاريخ الدولة العباسية وبوفاته إنطوت صفحة العصر العباسي الأول ، عصر القوة والنفوذ والعظمة بأجل معانيها وبدأ عصر نفوذ الأتراك (٢٣٢هـ - ٣٣٤هـ) .

وعلى الرغم من سيطرة الأتراك وازدياد نفوذهم ، إلا أن البريد بقي أداه هامة لمعرفة الحركات المناوئة للدولة ، وكان يعنى به أحياناً ويهمل أحياناً أخرى ، وذلك حسب شخصية الخليفة ، وحرصه على الإحتفاظ بسلطته كاملة غير منقوصة .

وقد استمر اهتمام الخلفاء العباسيين في عصر نفوذ الأتراك في تقصي أخبار ولاتهم وعمالهم في الأقاليم المختلفة ، ففي سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م ، كتب عامل البريد ويقال له يعقوب بن إبراهيم الباذغيسي إلى المتوكل عن عدوان البجة على صعيد مصر، ونقض العهد الذي أبرموه مع المسلمين ، وقتلهم عدداً من المسلمين، فولى المتوكل محمد بن عبدالله الضمي امر محاربتهم والقضاء عليهم[١].

كما كتب إليه صاحب بريد مصر المعروف بعرق الموت يصف له أحوال العامة وتصرفاتهم تجاه والي مصر الجديد [٢] .

ولشدة إهتمام الخليفة المتوكل بآراء الناس العقائدية المعارضة ، فقد كان له أصحاب أخبار يتتبعون أخبار العامة ، وقد أمر المتوكل في سنة ٢٣٧هـ بإنزال جثة أحمد بن نصر الخزاعي ، ودفعه إلى أوليائه ، فحمله ابن أخيه موسى إلى بغداد فغسل ودفن وجمع رأسه إلى جسده ، فاجتمع العوام يتمسحون بجنازته ، وبخشبة رأسه .فكتب صاحب البريد بذلك ، فنهى المتوكل عن اجتماع العامة[٣] . وكان المتوكل شديد الحرص على سماع الأخبار ، إذ كان له صاحب خبر يقال له ابن

---

(١) البلاذري، فتوح، ص ٢٣٤-٢٣٥ ، الطبري، تاريخ ، ج٩، ص ٢٠٣-٢٠٤ ، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ١٢٣، النويري، نهاية الأرب ، ج٢٢، ص ٢٥٨. البجة: جنس من أجناس الحبش بالمغرب، وفي بلادهم معادن من الذهب، كانوا يقاسمون من يعمل فيها، ويؤدون إلى عمال مصر في كل سنة خمس معادنهم. بموجب هدنة بينهم وبين المسلمين، إلا أنهم نقضوا هذا الإتفاق واغاروا على بلاد مصر. انظر الطبري، تاريخ ، ج٩، ص ٢٠٣ ، ابن الجوزي، المنتظم ، ج١١، ص ٢٨٥.

(٢) التنوخي، الفرج، ج٧، ص٧٧.

(٣) الطبري، تاريخ ، ج٩، ص ١٩٠ ، ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص ٢٥١. ولمزيد من التفصيل حول دور البريد في تقصي حركات المعارضة والمناوئة للدولة ، انظر الطبري ، ج٩، ص ١٨٥، الأصفهاني، مقاتل الطالبين ، ص ٣٩٥، التنوخي، الفرج، ج١، ص ٢١٨، الكتبي ، ج١، ص ٢٠٢.

الكلبي ، يرفع إليه كل ما يسمعه ليمين كان أسلفه إياه [١] .

وتواصل نشاط أصحاب الأخبار في عهد الخليفة المستعين (٢٤٨هـ - ٢٥٢هـ/٨٦٢م - ٨٦٦م)، واستمر الإهتمام بالبريد من أجل إستقصاء الأخبار التي تهم أمن الدولة وإستقرارها ، وذلك بالكتابة إلى الخليفة عن كل ما يمس ذلك في أقاليمها المختلفة . ففي سنة ٢٤٩هـ / ٨٦٣م ورد على المستعين كتاب صاحب البريد بحلب ، يذكر فيه خروج علي بن الجهم متوجهاً إلى العراق ، حيث خرج إليهم فقاتلهم قتالاً شديداً .[٢]

وفي سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م كتب صاحب البريد عن ظهور يحيى بن عمر ، المكنى بأبي الحسن ، وعن نشاطه في كل من الكوفة والفلوجة ، والدعوة للرضى من آل محمد فأمر محمد بن عبدالله بن طاهر عماله بمحاربته [٣] .

ويظهر دور أصحاب البريد بشكل جلي وواضح أثناء الخلاف بين المستعين والمعتز على الخلافة ، فحين وجه المعتز أخاه أبا أحمد بن المتوكل سنة ٢٥١هـ / ٨٦٤م لحرب المستعين وقائده محمد بن عبدالله بن طاهر ، أرسل معه صاحب خبر في العسكر ، ويقال له الحسن بن عمرو بن قماش ، كما كان هناك صاحب في خبر نفس المعسكر من قبل أبي أحمد بن المتوكل يقال له جعفر بن أحمد البياتّي ، ويعرف بإبن الخبازة [٤] .

وهذا دليل واضح على إستمرار الخلفاء في عصر نفوذ الأتراك بالإهتمام بأصحاب الأخبار والتأكيد على ضرورة وجودهم في معسكراتهم ، ليوافوهم بمجريات الأحداث .

وفي سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م ، خلع المستعين وتمت البيعة للمعتز ، فركب إلى دار العامة ، وعقد لبغا ووصيف على أعمالهما ، ورد ديوان البريد إلى موسى بن بغا الكبير [٥] ، كما ولى بريد بغداد رجل يقال له صالح بن الهيثم [٦] ، واهتم بالكشف عن الحركات المعارضة ، فكتب إليه صاحب البريد بديار مضر ، ويدعى محمد بن الأشعث الخزاعي ، يذكر سوء مذهب صفوان العقيلي ، وأنه

---

(١) الأصفهاني ، التنبيه على حدوث التصفيح، ص ٥١.

(٢) الخطيب ، البغدادي ، تاريخ بغدا، ج١١، ص ٣٦٩ ، ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج٣، ص ٣٥٥، ٣٥٦.

(٣) الطبري ، تاريخ ، ج٥، ص ٢٦٧،٢٦٨ ، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٢، ص ٣٣، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ١٥٦-١٥٧ . ابن خلدون، تاريخ، ش\ق٢، ج٣، ص ٦٠٢، مؤلف مجهول ، الحدائق والعيون، ج٣، ص٥٦٧.

(٤) الطبري، تاريخ ، ج٩، ص ٣٠١.

(٥) الطبري ، تاريخ ، ج٥، ص ٤١٦ ، النويري، نهاية الأرب، ج٢٢، ص ٣١٥.

(٦) الطبري، تاريخ ، ج٩، ص ١٥٧.

منطوٍ على المعصية ، فوجه إليه المعتز أحد رجاله ليحمله إلى بابه [١] .

وفي سنة ٢٥٢هـ / ٨٦٦م ورد الخبر إلى المعتز بالعثور على كتب من الحسن بن زيد عند ابن أخ محمد بن علي بن خلف العطار ، فأمر المعتز بحمله وجماعة من الطالبين من بغداد إلى سامراء [٢] . وهذا مما يثبت أنه خصص فئة معينة من أصحاب الأخبار لمراقبة الطالبين .

وعندما تولى المعتضد الخلافة سنة (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م) وجه عنايته لأصحاب الأخبار، كما بث العيون لمعرفة كل ما يحدث في البلاد من صغيرة وكبيرة ، وبخاصة ما يحدث في بيت وزيره القاسم بن عبدالله ،[٣] فكان أصحاب الأخبار ينقلون إليه ما يتحدث به الناس ، والعامة في الأسواق والمجالس العامة والخاصة ، وما يجري في قصور قواده ووزرائه [٤] ، وكان يطلب من ندمائه ومقربيه أن يصارحوه إن وجدوا شيئا ينكرونه ، أو سمعوا شيئا من الناس ليعمل على إصلاحه وإزالته [٥] .

وهكذا نلاحظ أن المعتز كان حريصاً على بث العيون وتلقط الأخبار حتى على وزرائه وخاصته ، فقد كان له صاحب خبر على وزيره القاسم بن عبدالله ، وقد رفع إليه يوماً أن القاسم بن عبدالله خلا يوما مع جواريه ، وشرب ولعب من نصف النهار إلى نصف اليل ، وعندما عرف المعتز بذلك ودعاه ، وقال له : يا قاسم ما كان عليك لو دعوتنا إلى خلوتك ، وألبستنا من ثيابك المصبغات ؟ فدهش لوقوف المعتز على هذا . وكان في داره صاحب خبر فطلب منه البحث عمن أخرج هذا الخبر إلى المعتز ، فعرف أن هناك صاحب خبر من قبل المعتز على وزيره ، يدخل داره على هيئة السائل ، ويتعرف على جميع الأخبار ، وكان المعتز يجري عليه كل شهر خمسين ديناراً [٦] .

وحرص المعتز على سماع أخبار العامة ، فكان له أصحاب أخبار يرفعون إليه كل ما يجري في الأسواق[٧] . فقد رفع إليه النوشجاني صاحب البريد ، أن الأخبار ذاعت ببغداد بأن حامد بن

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ، ج٢، ص ٥٠١.
(٢) الطبري ، تاريخ ، ج٩، ص ٣٦٩-٣٧٠.
(٣) التنوخي ، نشوار، ج٢، ص ٢٧٦ - ٢٨٣، ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص ١٢٩-١٣٠، الكتبي فوات الوفيات ، ص٧٣.
(٤) عبد الكريم حتاملة ، المعتمد في خلافة المعتضد بالله العباسي، ص ٧٩.
(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ١٢٤، الكتبي، فوات الوفيات ، ج١، ص٧٧.
(٦) التنوخي : الفرج، ج١، ص ٨٥-٩١، التنوخي : نشوار ، ج٢، ص ٢٧٤-٢٨٣.
(٧) ابن العمراني ، الانباء ، ص ١٤٢ .

عباس لما دخل فارس متقلداًعمالتها، دخل معه عدد عظيم من الغلمان والحاشية(١) .

وفي عهد المعتضد نلاحظ دقة أصحاب الأخبار في نقل الأحداث التي تجري في الأقاليم المختلفة ، فقد وردت رقعة إلى المعتضد بدخول بعض الديلمية إلى مدينة كرج، حيث إحتوت هذه الرقعة على معلومات غاية في الدقة والتفصيل عن هؤلاء الديالمة. فأرسل المعتضد في طلبهم على خيل البريد(٢).

كما انه اعتمد على التجار في معرفة الاخبار ، فقد وردت كتب التجار من الرقة ، ان الروم وافت في مراكب كثيرة وجاء قوم منهم الى ناحية كيسوم، فاستاقوا من المسلمين اكثر من خمسة عشر الف إنسان ، ما بين رجل وامراة وصبي ، واخذوا منهم قوماً من أهل الذمة(٣).واعتمد ايضا على التائبين ، واستخدمهم كمرشدين ومخبرين (٤).نظراً لخبرتهم الجيدة باللصوص واللصوصية . فقد استفاد منهم كثيرا في هذا المجال ، وبخاصة من التائبين حقا، فإذا جرت حادثة ما ، علموا من فعْل من هي ، فدلوا عليه (٥).ومن الطبيعي ان يبقى من كانت توبته زائفه على إتصال باللصوص ، بل اكثر من ذلك كانوا عيونا على رجال الشرطة(٦).

ولا اظن ان هؤلاء كانوا من البلاهة بحيث يطلعونهم على مخططاتهم واسرارهم ، ويعلمونهم مسبقا بمفاجأتهم بل المنطق يقتضي عكس ذلك .

ومن اطرف ما يروى عن المعتضد ، قصة الخياط بسوق الثلاثاء ، فقد كان هذا الخياط شخصا رهيبا يهابه ويخشاه كبار القواد والموظفين ، خوفا من ان يرفع امرهم الى المعتضد وذلك ان المعتضد كان يسمح له بالدخول عليه متى شاء ، فإذا وجد ظلما يلحق بالناس، فإنه يأتي إلى المعتضد ويخبره به ، وقد اتفق الخليفة مع هذا الخياط ، على أنه إذا منع من الدخول عليه، فإن العلامة بينهما أن يصعد الخياط، على أنه منع الدخول عليه، فإن العلامة بينهما أن يصعد الخياط فيؤذن في اي وقت

---

(١) التنوخي : نشوار ، ج٨ص١١٤، الصابي ، : الوزراء ص ٩٥.

(٢) ابن العمراني : الانباء ص ١٤٣.

(٣) الطبري : تاريخ ، ج ١٠ ، ص ٨٥ .

(٤) المسعودي : مروج ج٤ص٢٤٨-٢٤٩، التوبة: الندم على فعل الذنوب والاقلاع عنها ، يقال : تاب الى الله – يتوب توبا وتوبة ومتابا : اناب ورجع عن المعصية الى الطاعة بنية صادقة ورجل تواب : تائب الى خالقه ، والجمع : توابون . ابن منظور : لسان العرب ج٢ص٦١ مادة تاب .

(٥) المسعودي : مروج ، ج٤ ص ٢٤٨-٢٣٩

(٦) جرجي زيدان : تاريخ التمدن ،ج٥ص٤٨

حتى يسمع الخليفة صوته ويستدعيه[١] . نستشف من كل ما سبق ، ان المعتضد اعتمد على الجاسوسية والإستخبار في حكمه ، وانها قد وصلت الى درجة عالية من الدقة .

ومما يجدر بالملاحظة والاشارة اليه ، انه في الوقت الذي كان فيه الخلفاء حريصين على نظام البريد لمعرفه ما يحيط بهم من امور داخل دار الخلافه في بغداد وخارجها ، تجد في نفس الوقت اهتمام الامراء وولاه الاقاليم في الامارات المستقلة بنظام البريد ، لمعرفه دقائق الامور في حاضره الدوله وخير دليل على ذلك ما قام به الطولونيون في مصر والشام (٢٥٦-٢٩٨هـ/٢٨٩—٩١٠م) فقد سار احمد بن طولون على نهج الخلفاء العباسيين في معرفة الاخبار والاحداث ، وكان البريد من الوسائل التي تذرع بها في مناوأة الخلافة العباسيه ، حيث استطاع ان يعين احد المقربين اليه عاملا للبريد في دار الخلافه ببغداد [٢]، وكان بطبيعه الحال اكثر اخلاصا له من الخليفه المهدي (٢٥٥-٢٥٦هـ/٨٦٨-٨٦٩م)، فقد كان يترصد الكتب التي ترد من العناصر المعاديه لابن طولون في مصر ، للايقاع به عند الخليفه ، فيردها اليه ويعرف اصحابها ويراقبهم مراقبه دقيقه ، ثم يفتك بهم ، وما زال على هذا الحال حتى طهر مصر من اعدائه ، واطمان بفضل الجاسوسية التي اقامها في بغداد للحفاظ على مركزه في مصر[٣] .

إلا أن الامور لم تهدأ بالنسبه لابن طولون ، فسرعان ما اشتدت العاصفه وكادت تعمل على اقتلاعه من ولايه مصر ، لولا سهر عمال بريده واعتماده عليهم . فلما وقع الجفاء بين الموفق طلحه وابن طولون في عهد الخليفه المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ) تفنن الموفق طلحه في استخدام الجواسيس ، وارسالهم الى ابن طولون لمعرفه اخباره ، اذ ارسل عددا كبيرا من الجواسيس وبوسائل مختلفه ، لكن ابن طولون كان لهم بالمرصاد وبفضل يقظته التامة واستخباراته الدقيقة ، فقد تمكن من معرفتهم والقبض عليهم ، واستخدامهم لصالحه [٤] ، وليس هذا فحسب ، بل ان الموفق ارسل الى ابن طولون رسولا جعله عينا عليه ، ومستقصيا لاخباره ، فكتب المعتمد الى ابن طولون ، " ان

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ج١٢ ص ٣١٧-٣٢١.

(٢) البلوي : سيرة احمد بن طولون ص ١٧٦ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والثقافي ج٣ص٢٧٧

(٣) البلوي : سيرة احمد بن طولون ص ٢٤-٢٦ .

(٤) البلوي : المصدر السابق ص ١٢٣-١٢٦ ، ص ١٣٢-١٣٧. ابن سعيد المغرب : قسم مصر ص٩٢، ٩٣،ص ١١٠-١١٣.

الموفق انما ارسل تحريراً الخادم عينا عليك ، ومستقصيا لاخبارك ، فاحترس منه ، واحمل المال الينا معه.(١) .

واشتد العداء بين الطرفين عندما كتب الموفق الى قادة مصر ليفسدهم على ابن طولون ، لكن كتب القادة وقعت بيد ابن طولون ، بفضل جاسوسيته المحكمة ، مما زاد الامر تعقيدا . وحفظ لنا المقريزي الكتب المتبادلة بينهما، وكلها تدل على العداء المرير بينهما (٢) . ومن ذلك ما يحكى عن الموفق انه اراد ان يشغل قلب احمد بن طولون فدس من سرق نعله من بيت حظيه له ، لايدخله الا ثقاته ، ثم بعثه إليه وقال له الرسول :-" من قدر على اخذ هذا النعل من الموضع الذي تعرفه ، اليس بقادر على اخذ روحك ؟" (٣) فالموفق من ناحيه يريد أن يشهر بسمعة ابن طولون لدى الخليفه ، ومن ناحية اخرى يريد أن يشعر ابن طولون بقوته وقدرته على الابقاء عليه في مصر او إخراجه منها.

وقد توقف العداء بين خمارويه بن احمد بن طولون والموفق بهزيمة الموفق، وعقد الصلح بين مصر وبغداد ، ومن شروط الصلح زواج الخليفة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ) من ابنة خمارويه قطر الندى . فامر خمارويه باعداد الطريق ما بين بغداد والقطائع على صورة لم يسبق لها مثيل ، اذ بنى على امتداد الطريق بين مصر وبغداد منازل متميزة كي تكون مقر لراحة ابنتة قطر الندى (٤)

وهكذا نلاحظ اقتداء ولاة الاقاليم بالخلفاء العباسيين ، اذ اكثروا من اصحاب الاخبار ، وبثوا العيون في كل مكان ، وبواسطتهم كانوا يطّلعون على كل ما يحدث ، وما يقال في انحاء الولايه ويراقبون تحركات أعدائهم ، واقوى دليل على ذلك - كما راينا - هو عنايه احمد بن طولون بهذا الجهاز واكثاره من الجواسيس ، وبثهم في كل مكان ، داخل البلاد وخارجها ، وحتى في السجون وحول اقرب الناس اليه ، وعلى عماله وقواده ، كما كان له صاحب خبر بحضرة الخليفه ببغداد

---

(١) البلوي : المصدر السابق ، ص ٨٠-٨١ ، ابن خلدون ، ج٤، ص٢٩٩.

(٢) المقريزي : الخطط ج٢ ص ١٧٨.

(٣) المقريزي ، الخطط ، ج٢ ص ١٨٠ .

(٤) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ج٣،ص٢٧٧.

يقال له طيفور ، يكتب اليه بمجريات الاحداث في حضرة الخليفة [١] وكان يشترط في صاحب الخبر ان يكون زكي الروح صادق اللهجة، صحيح التمييز[٢]، امينا ، يؤثر حسن الذكر على كسب المال ، ويؤثر الصواب على حسن الذكر[٣]، وكان يعمل على اخفاء شخصية صاحب الخبر عن العامة والخاصة ، حتى يتوصل بهذه الشخصيه الى ما يريد ، وله مع الجواسيس سواء كانوا عليه او له طرائف غريبة[٤] .

وعندما تولى المقتدر الخلافة (٢٩٥-٣٢٥هـ) كانت الدولة العباسية تمر بفترة اضطرابات وقلق فكان من الضروري ان يكون اصحاب الاخبار والبريد على درجه كافيه من النشاط واليقظه لاخماد هذه الفتن والإضطرابات.

فقد شهد عهد الخليفة ظهور الفتنه الحلاجيه ، نسبة الى الحسن بن منصور الحلاج الذي ادعى الالوهيه ، ويكنى بأبي مغيث[٥] ، وهو مجوسي الاصل من اهل البيضاء بفارس وقد نشأ بواسط، ثم قدم بغداد واتخذ دارا له [٦]ثم طاف بالبلاد ، واستطاع بمهارته ان يجذب اليه العامه ، فاصبح له اتباع واعوان في سائر البلاد التي طافها[٧] وكان المقتدر قد اوكل الى حامد بن العباس وزيره بالقضاء على الحلاج ، وجد الوزير في طلبه ونشر جواسيسه من اجل القبض [٨]عليه إلى ان تمكن بفضل استخباراته من معرفه مكان وجوده ، حيث ارسل اليه صاحب البريد بالمعلومات التي تتوفر لديه عنه مما هيأ القبض عليه ومن ثم حبسه وقتله [٩]

وفي سنة ٣٠٥هـ وردت كتب اهل مصر وصاحب بريدهم ، يذكرون فيها دور وفعل القاسم بن سيما الفرغاني في حرب حباسة، قائد الشيعة بمصر ، حتى هزم حباسة واصحابه [١٠]كما كان للوزراء في عهد المقتدر اصحاب اخبار ينقلون اليهم اخبار الناس واقوالهم وافعالهم[١١]

---

(١) البلوي ، سيرة احمد ، ص ١٧٦
(٢) البلوي ، المصدر السابق ، ص ١١٥.
(٣) ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، ص ١٠٦.
(٤) البلوي ، سيرة احمد ،ص١١٤-٢٠٩،ابن سعيد: المغرب ص٩٢-٩٣،ص١١٠،ص١٣٣.
(٥) ابن النديم ، الفهرست ، ص١٩١، ابن خلكان ، وفيات ، ج١ ، ص ١٤٨-١٤٩.
(٦) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص١٩٧.
(٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٩ ، ص ١٦٠-١٦١.
(٨) مسكويه ، تجارب الامم ، ج١، ص ٧٨-٧٩.
(٩) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٣٩ ، ابو الفداء ، المختصر ، ص ٧٠-٧١ .
(١٠) عريب بن سعد، صلة الطبري ، ص ٦٥.
(١١) الصابي ، ، الوزراء ، ص ٤٨ – ٤٩.

فقد ورد على الوزير ابن الفرات كتاب من صاحب بريد الموصل ، يذكر فيه ان ابا احمد الحسن بن علي بن محمد الكرخي قد تبسط في الاعمال ، واظهر من المروءه والتجمل امرا عظيما ، فامر ان يبادر به السلطان الى مصر واجناد الشام ، لان هذه النواحي لا تصلح الا لمن كان حسن التجمل والمروءه [١] .

وفي سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م كتب شفيع اللؤلؤي صاحب البريد الى الخليفه المقتدر عن اعمال الشغب والفوضى التي قام بها الغلمان ، لمنع الخليفه من استيزار علي بن الفرات مرة اخرى[٢] كما ان الخليفة المقتدر اعتمد على التجار في معرفه الاخبار ، ففي سنة ٣٠٢هـ / وردت كتب التجار بدخول الشيعة برقة ، وعظيم ما احدثوه في تلك الناحيه ، وان الغلبة كانت لهم [٣] .

وفي الفترة ما بين (٣٢٤-٣٣٤هـ/٩٣٦-٩٤٦م) طرأ تغير كبير على نظام البريد في بغداد ، اذ ان اضطراب الامور في الدولة ، والحركات الانفصاليه ، حيث انفصل الحمدانيون بالموصل ، وبنو بويه بفارس والجبال والري ، والبريديون بخوزستان [٤]، اثرت جميعها على البريد ، وبعد ان كان اداة الاتصال بين الخلفاء وعمالهم في الاقاليم المختلفة، ووسيلة للكشف عن الحركات المعارضه ، وثورات المتمردين ، اصبح يدار بطريقة مختلفة ، فقد تم قطع البريد عن حاضرة الخلافة من قبل البريدين [٥] (٣١٠-٩٤٣هـ/٢٢٩-٩٦٠م) والذين ارتفع شأنهم ايام ضعف دوله بني العباس ، في عهد المقتدر ومن بعده ، اذ استولوا على الاهواز والبصرة زمنا ، كما احتلوا واسط وبغداد[٦]

وقد استغل البريديون اضطراب الامور في الدوله ، فعمدوا الى قطع الاتصال مع الخليفة عن طريق قطع البريد عنه في بغداد ، وذلك لمنع وصول اخبارهم وتحركاتهم اليه ، ومما ساعدهم على تنفيذ هذا الامر ، انهم كانوا كتابا على البريد [٧] فأتاح لهم ذلك الفرصة للاستئثار بالاخبار

---

(١) التنوخي : نشوار المحاضرة ج٨ ص ١١٢.

(٢) عريب بن سعد :صله ٢ ص ١٠٤ -١٠٥.

(٣) عريب بن سعد : المصدر السابق ص ٤٨ .

(٤) ابن خلدون : تاريخ ج٢ ص ٩٣٨ - ٨٤٠.

(٥) البريديين : وهم ثلاثة اخوة ابو عبدالله احمد ، وابو يوسف يعقوب ، وابوالحسين علي كان رئيس اسرتهم ابو عبدالله احمد ، والبريدي نسبه الى البريد لان جدهم كان صاحب بريد البصره ، ولم يعرف نسبهم باكثر من انه ينتهي عند اسحاق البريدي فهؤلاء الثلاثة هم ابناء محمد بن يعقوب بن اسحاق البريدي . وهم من اهل البصره. ابن خلدون ، تاريخ ، ج٣ ، ق٤ ، ص ٨٠٤ عريب بن سعد ، صله ، ص ١٣٨ ، عبد العزيز الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتاخرة ، ص ٢٢٤.

(٦) سترك ، البريدي ، دائرة المعارف الاسلاميه ، ج٣ ، ص ٦١٣-٦١٥.

(٧) ابن تغري بردي ، النجوم ، ج ٣ ، ص ٣٠١.

والاحتفاظ بها ، وعدم رفعها للخليفه [(١)] الى أن تمكنوا من السيطرة على بغداد عام (٣٣٠هـ/٩٤٢م) واعلنوا الخروج عن طاعة الخليفة.

فمن الملاحظ اذن ان الخلافه العباسية في اخر عهد نفوذ الاتراك وصلت الى حد عظيم من الضعف والاضطراب ، ووصلت حالة الضعف هذه ذروتها في عهد كل من الخليفة الراضي والخليفة المتقي (٣٢٢هـ/٩٣٤م) وعجزت امرة الامراء عن وضع حد لحالة الضعف تلك ، ولم يعد لمنصب امير الامراء اي معنى ، وبدأ يلوح في الافق نجم بني بويه ، الذين وجوا المناخ مناسبا لبناء دولتهم على انقاض الخلافة العباسية ، وكان ذلك سنة (٣٣٤هـ/٤٤٧هـ) وبنو بويه اسرة استطاعت ان تجعل لنفسها وجودا سياسيا على حساب الخلافة العباسية ، وقد بدأوا وجودهم بموجة عظيمة من الارهاب ونشر الاضطراب في بلاد المشرق مما ادى الى انقطاع حبل الامن وتقطع شرايين البريد ، ولم تعد له قيمته السابقة ، اذ تفككت سككه ، ونسفت طرقه . وقد عمل البويهيون انفسهم على عرقلة انظمة البريد حتى لا تصل اخبارهم وتحركاتهم للخليفة ، بغية قصدهم بغداد ، وكان الخليفة لا يزال ياخذ بهم على بغتة [(٢)] .

وفي سنة ٣٣٤هـ /٩٤٥م تمكن احمد بن بويه من دخول بغداد، واستقبله الخليفة المستكفي بالله مظهرا السرور [(٣)]وعندما استقرت الامور للبويهين ، بلغ البريد مبلغا عظيما من الدقة والسرعة ، واتخذوا وسيله جديدة في نقله ، فعينوا افرادا اعتمدوا عليهم في نقل المكاتبات والمراسلات بين انحاء الدولة ، وقد استخدموا سنة (٣٥٦هـ) في عهد المطيع لله العباسي خلال ، امارة معز الدولة البويهي ، الذي استخدم كثيرا من الشبان الاقوياء في نقل البريد ورتب لهم محطات على الطرق البريدية حتى يتم تغيرها فيها .

وكان السبب الرئيسي الذي دفع معز الدولة إلى استخدام السعاة رغبته في وصول الاخبار بينه وبين اخيه ركن الدولة بالري بسرعة وانتظام ، إذ أن الساعي من هؤلاء كان يقطع في اليوم اكثر

---

(١) الهمذاني ، تكمله ، ص ٢٥٠ – ٢٥١ ، مؤلف مجهول ، الحدائق ، ج٤ ، ص ٣٥٥.

(٢) القلقشندي ، صبح ، ج ١٤ ، ص ٤١٤ ، العمري ، التعريف ، ص ١٧٨ ، هارتمان ، بريد ، دائره المعارف الاسلاميه ج ٢ ، ص ٦١٠.

(٣) مسكويه ، تجارب ، ج ٢ ، ص ٨٥ ، ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول ، ص ١٦٦.

من نيف واربعين فرسخا [١]

وبلغ الاهتمام بالبريد اقصاه في إمارة عضد الدولة البويهي (٣٦٧-٣٧٢هـ) ، فقد امر عضد الدولة اصحاب دواوين البريد في بغداد والولايات بالاهتمام بارسال البريد في مواعيد محددة ، حيث كان لها وقت معلوم تصل فيه ، وتراعى من ساعات النهار فإن اتفق وتأخرت قامت القيامة ، ووقع البحث عن العارض ، فان كان بعائق ظاهر فيه عذر قبل ، او بامر يحتاج إلى إزالته أزيل . أما إذا كان الامر تقصيرا من النوبيين ، أنزل العذاب بهم . وكان يعاقب المسؤولين عن تاخر البريد معاقبه شديدة [٢] فقد ذكر أحد الطراد ان أحد المرتبين قالت له إمرأته : قد طبخنا ارزا فتوقف لتاكل منه وتمضي ، فتوقف بقدر ما اكل ، وتأخرت النوبة ذلك المدى ، فضرب الطراد والمرتبون ما بين شيراز إلى بغداد اكثر من ثلاثة الاف عصا [٣]

واصبح البريد ينقل بين اجزاء الدولة في سرعة ودقة بالغة ، ونشطت دواوين البريد في حاضرة الخلافة والولايات نشاطا ملحوظا ، ومن شدة اهتمام عضد الدولة وحرصه على البريد ، كانت كتب النوبه يتم فض ختومها ، وفتح خرائطها بحضرته ، فياخذ منها ما كان لمجلسه ، ويخرج الباقي الى ديوان البريد ، فيفرق على اربابه . وكانت تقرأ عليه اكثر من مرة فيرد عليها بنفسه ، او يأمر كتابه بالرد عليها ، ثم تعرض الردود عليه ، فربما زاد فيها او نقص منها ، ثم تصلح وتختم ، وتجعل في إسكدارها وتحمل الى ديوان البريد فتصدر في وقتها [٤]

إهتم أمراء بني بويه اهتماما كبيرا بشؤون البريد نظرا لاتساع رقعة الدولة ، ولحرص البويهيين على الوقوف على جميع امور الدولة ومعرفه احوال الرعية ، وما يدور في الاقاليم النائيه فقد كان الامير البويهي عضد الدولة من اعظم امراء البويهيين ، واكثرهم يقظة وأبعدهم نظرا ، اذ كان سياسيا عالي الهمة ، محباً للاصلاح والعمران ، ومولعا بمعرفة اخبار الناس ، وسماع ما يقال فيه فأحكم نظام الاخبار في الداخل والخارج [٥] ، وكان له اصحاب اخبار على كل شيء ، حتى ان حلاويا بمصر ذكره بكلمة سوء ، فرفع إليه أصحاب الاخبار ذلك ، فامر باحضاره ، ثم وبخه ورده.

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٤ ، ص ١٣ ابن الجوزي ، سبط مرآة الزمان ، ق ٣ ، ص ٢١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٧ ، ص ٢٩٩ ، ابو الفداء ، المختصر ، ص ٧٣٢، النويري ، نهاية الارب ج ٢٦ ،ص١٩٣، ابن كثير ، البداية ، ج١١ ، ص ٢٧٩-٢٨٠.

(٢) ابو شجاع ، ذيل تجارب الامم ، ج٣ص٤٠-٤١.

(٣) ابو شجاع ، ذيل ، ج٣ ، ص ٤٠

Mafizullah Kabir, The Buwayhi , Dynsty of Bagdad P 132.

(٤) ابو شجاع ، ذيل ص ٤٠ – ٤١

(٥) ابو شجاع ، ذيل تجارب الامم ص ٥٧ –٦٤ .

لذا كان الناس يحترزون في كلامهم وافعالهم ، حتى من نسائهم وغلمانهم [١] .

كما كان حريصا على معرفة اخبار العامة وتصرفاتهم ، وكان له صاحب خبر في درب أبان من الجانب الشرقي لبغداد ، يرفع اليه امور العامة [٢] وليس هذا فحسب ، بل كان له اصحاب اخبار في دار الخلافة ، وفي ديوان الجيش ، فعندما دخل رجل يكنى بابي الهيثم ، الى دار عضد الدولة ، واخذ عمامته من رأسه ووضعها بين يديه ، رأى ذلك بعض اصحاب الاخبار ، فكتبوا بما كان منه ، الى الامير عضد الدولة ، فرد عليهم بانه رجل محرور الراس لا يستطيع وضع العمامة على راسه [٣] .

ومما روي عن اصحاب الاخبار في ديوان الجيش في عهده ، انه دخل بعض الاتراك الخواص الى ديوان الجيش ، ومعه صك يريد ان يثبته فقال للكاتب : ثبته ، فقال : انا مشغول بعمل استدعاه الملك ، وما انا متفرغ لعمل صك اليوم ، فاخذ الحساب من يده ، ووضعه في الارض ، وقال له قدم امري اولا ، فكتب صاحب الخبر بذلك في وقته . ولم يستلم الكاتب اثبات الصك ، حتى استدعاه عضد الدولة وقال له : قد جرى من فلان الديلمي كذا وكذا فاخرج الى ديوانك ، واستدع الصك من كاتبك ، ومزقه بين يديك ، ثم امر بمعاقبة الديلمي امام العامة ، ووكل من النقباء من يطالبه بالخروج من البلد الى الديلمان [٤] .

وقد اتسعت اعمال البريد في عهد عضد الدولة ، فاصبح هذا الديوان يستخدم افرادا من ذوي المهن المختلفة ، لتبليغ الاخبار والوقوف على احوال الناس. فكان معلموا الصبية في عهده منخرطين في سلك الاخبار السريه ، ولهم رزق وافر على ما يقدمونه من معلومات واخبار عن العائلات ، وبخاصة الجنود بعد ان يحصلوا عليها من صغارهم الذين بين ايديهم [٥].

وصدق من قال خذوا اسرارهم من صغارهم ، وكان هذا الصنف من الاعوان يتصل بالخليفة او الامير مباشرة.

---

(١) ابو شجاع ، المصدر السابق ، ص ٦٠.

(٢) ابو شجاع ، المصدر السابق ، ص ٥٩.

(٣) الصابيء ، رسوم دار الخلافة ، ص ٧٧.

(٤) ابو شجاع ، ذيل ، ج٣ ، ص ٤٦ – ٤٧

Mafizullah, Kabir, The Buwayhid Dynasty of Baghdad P.G 132.

(٥) ابو شجاع ، المصدر السابق ، ج٣و ص ٥٩

Mafizullah ,Kabir , P.G 132.

كما بلغ نظام البريد في عهد بني بويه ، مبلغا عظيما من الدقة والسرعة ، حتى ان بواكير الفواكه كانت تصل الى قصور السلاطين طريقة سليمة ، فقد كانت هذه الفواكه تحمل مع المرتبين من نواحي فارس وخوزستان ، فتصل طرية سليمة (١). وهذا مؤشر واضح على اهتمام وعنايه البويهيين بطرق البريد وتمهيدها ، وبناء الخانات عليها ، مما يؤدي الى وصولها بهذا السرعة.

وظهر في العصر البويهي نوع من الدواوين تابع لديوان البريد وهو ديوان الخرائط ، وقد انتشر بشكل واسع في الاقاليم ، ولهذا الديوان رئيس يختص بامر الخرائط يسمى صاحب الخرائط (٢) ، وكان صاحب البريد احيانا مسؤولا عن ديوان الخرائط ويسمى صاحب البريد والخرائط ، او صاحب البريد فقط . وقد ذكر الصابي ، ان ابا مروان عبد الملك بن محمد بن عبدالملك الزيات الخرائطي كان يتولى ديوان الخرائط المسمى ديوان البريد ثلاثين سنة(٣) .

ومما تجدر اليه الاشاره ، ان رجال الدوله ، سواء كانوا من الامراء او وزراء او موظفين رسميين ، كان لهم جواسيس ومخبرون على بعضهم البعض ، وكان ذلك امرا طبيعيا في عهد البويهيين اذ كان كل فرد يعد الفرد الاخر عدوا له (٤) .

وكان لرئيس الجيش سبكتكين مخبرون سريون في الجيش ، وفي قصر الامير البويهي بختيار وبين المقربين من بختيار ، كي يبقى على علم تام بكل ما يجري ، من صغيرة او كبيرة . كما كان للوزير ابي القاسم علي بن احمد جواسيس ومخبرون ، في قصر الامير البويهي بهاء الدولة ، ففي عام ٣٨٣هـ قام الوزير بسجن وطرد مجموعة من الموظفين الرسميين فقاموا بتقديم شكوى الى الامير بهاء الدولة ، الذي اعتبر هذا الامر مأخذا على الوزير ، فقام الجواسيس الموجودين في القصر بايصال هذه المعلومات الى الوزير الذي احتاط للامر واخذ حذره (٥) .

واستمر الاهتمام بنظام البريد في عهد البويهيين ، الى ان دخل السلاجقة بغداد عام ٤٤٧هـ فلم يهتموا بنظام البريد ، بل ان السلطان الب ارسلان ، امر بعد توليه الحكم بالغاء هذا الديوان ، على الرغم من معارضة وزيره نظام الملك . وتعليل ذلك ان السلطان الب ارسلان كان متعلقا

---

(١) ابي شجاع ، ذيل ، ج ٣، ص ٤٠، مسكويه ، تجارب الامم ، ج٢ص ٤٦ .

(٢) الزبيدي ، العراق في العصر البويهي ، ص ٩٥.

(٣) الصابي ، تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، ص ١٥٩ ، الخرائط : عبارة عن وعاء من أدم او ديباج او خزف او ليف هندي او خيش اونحوها ، يشرج على مافيه ويوضع في داخلها كتب الولاة او الدراهم التي ترد الى بغداد. الصابي ، رسوم : ص ١٨، الجاحظ : رسائل ، ج١ص ٢٥٢ – ٢٥٤.

(٤) Mafizullah, Kabir, The Buwyaid Dynasty of Baghdad p.g 133.

(٥) Mafizullah , Kabir, p.g . 133.

بالتقاليد القبليه ، ويكره الجاسوسيه كرها شديدا ومما يؤكد ذلك انه لم يكن في زمانه صاحب خبر، وقد شجع ذلك الطوائف المناهضة للسلاجقة كالاسماعيلية ، ودفعها الى زيادة نشاطها لعدم وجود رقابة حكومية لتحركات هذه الطوائف ، مما ادى الى استيلائهم على كثير من القلاع ، فعرضوا بذلك امن الدوله السلجوقية للخطر [١] .

وعندما سئل السلطان الب ارسلان من قبل ابي الفضل السجستاني امير سجستان ، عن عدم وجود صاحب بريد له اجابه : اتريد ان تذر ملكي الرياح ، وتفرق عني انصاري ؟ قال : لماذا ؟ قال السلطان : اذا ما اتخذت صاحب بريد فان المحبين والمقربين مني لن يقيموا له وزنا ، وقد يدفعوا اليه رشوة ، اعتمادا على صداقتهم لنا وقربهم منا ، اما اعدائي فيصادقونه ، ويغدقون عليه الاموال وما دام الامر كذلك ، فان صاحب البريد لا ينهي الينا سوى الاخبار السيئة عن الاصدقاء والاخبار الحسنه عن الاعداء ، وما الاخبار السيئة والحسنة الا كرمياتك عددا من السهام ، التي لا بد ان يصيب احدها الهدف في النهاية ، لذا فان حقدنا سيزداد على الاصدقاء والمخلصين يوما بعد يوم ، فننبذهم ويحل الاعداء محلهم [٢] .

وعلى الرغم من ذلك فقد كان وزيره نظام الملك ، يؤمن بأهمية البريد ، كتنظيم اداري سياسي ، ويعتقد ان المهم انتخاب صاحبه من الاشخاص المتدينين ومن المستقيمين ، وكان يرى انه من الاولى اتخاذ صاحب بريد ، فهذا الامر قاعده من قواعد الملك ، فاذا كان صاحب البريد معتمدا على النحو الذي ينبغي ان يكون ، فان الملك لا يشغل باله في اي امر من الامور[٣] . لذلك لم يلبث نظام البريد ان عاد كما كان قائما في العصور العباسية السالفة ، فتم ترتيب المنازل في الاطراف وعلى الطرق ، وتم تعيين موظفين ياتون بالاخبار ، وكان للسلاجقة في عهد ملكشاه ووزيره نظام الملك ، جواسيس يعملون لصالح الدولة [٤] .

---

(١) الاصفهاني ، تاريخ دولة ال سجلوق ، ص ٦٢ – ٦٣.

(٢) نظام الملك ، سياسات ، نامة ، ص ٩٥ – ٩٦

(٣) نظام الملك ، المصدر السابق ، ص ٩٦.

(٤) نظام الملك ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ – ٢٠٦

البريد عند الفاطميين في بلاد الشام ومصر:-

اما فيما يتعلق بإدارة البريد عند الفاطميين في بلاد الشام ومصر ، فقد اهتم الفاطميون بأمر البريد بين مصر والشام ، وهذا امر طبيعي لحدوث بعض الاضطرابات السياسيه في الشام ، ولتعرض الشام لغزوات البيزنطيين .

ويبدو أن إدارة قلم المخابرات في الدولة كانت تحت اشراف ديوان الانشاء ، الذي كان مركزه في القاهره ، وكان لا يتولاه الا من كانت له معرفة ودراية باللغة العربية بفروعها ، وخاصة اسرار البلاغة (١) .

اذ كان هذا الديوان يتولى الاشراف على ديوان البريد بين مصر والشام ، وكان له موظفون بالشام يعرفون باصحاب البريد (٢) .

وكان ديوان البريد لا يشتمل الا على الموظفين المهرة في جمع المعلومات لخلفائهم عن كل ما يحدث في اركان دولتهم (٣) . وكان صاحب الخبر في الدولة الفاطميةذا شخصية متميزة قوي الشكيمة ، ويحتل مركزا ساميا في الدوله (٤) . اذ كان الخلفاء الفاطميون يختارون موظفي البريد من الموثوق بهم ، وممن يوالون الخلفاء ، لانهم ياتون اليهم بأسرار الولاة والامراء ، ويكلفون بالمهمات السرية التي تحتاج الامناء على حمله ، والاوفياء لمن يحملون اليهم هذه الاخبار ، لذا كلف الحاكم بامر الله ابا عبدالله الحسين بن جوهر بامر البريد سنة (٣٨٦هـ ٩٩٦م) (٥) . اما الخليفةالظاهر لإعزاز دين الله ، فقد كلف بذلك ابو طالب الغرابيلي سنة (٤١٥هـ/١٠٢٤م) (٦) .

وعندما دخل المعز لدين الله العبيدي الى القاهرة سنة (٢٦٢هـ/٨٧٥م) احتجب بالقصر ، وبث عيونه ينقلون اليه اخبار الناس (٧) . كما كان له في مدينة دمشق صاحب بريد يوافيه باخبار المدينة وولاتها ففي سنة (٣٦٣هـ/ ٩٧٣م) كانت تصل اخبار دمشق واحداثها وما يجري على اهل

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، ج١، ص ١٣٦. المقريزي ، الخطط ج١، ص ٤٠٢.

(٢) ابن القلانسي ، تاريخ دمشق ص ٧٧.

(٣) المقريزي ، الخطط ، ج١ ص ٤٠٢ ، ج٢ ص ٢٢٦.

(٤) عبد المنعم ماجد ، نظم الفاطميين ، ورسومهم ، ص ١١٠.

(٥) المقريزي ، الخطط . ج٢ ص ٢٨٥.

(٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفا باخبارالائمة الفاطميين الخلفاء ، ج٢، ص ١٤١.

(٧) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٤، ص ٧٨.

المدينة من الحروب والفتن ، الى المعز لدين لله عن طريق صاحب البريد (١) .

كما ان الخليفة العزيز بالله وجه اهتمامه لاصحاب البريد ، فكان قسام التراب يراسل العزيز بالله ، فيكتب له بالاخبار وسلوك بعض القادة الفاطميين ، ويبعثها اليه مع رسل البريد (٢) .
وفي سنه (٣٦٩هـ/٩٧٩م) انفذ العزيز بالله رسله وكتابه الى سليمان بن فلاح يامره بالرحيل عن دمشق ، وبعث ذلك بالبريد البري مع موظفي البريد (٣) ، وفعل مثل ذلك عندما كتب الى بلتكين سنه (٣٧٢هـ / ٩٨٢ م) يامره ان يرحل عن دمشق هو ومنشابن ابراهيم كاتب الجيش (٤) .

وكان للحسن بن عمار – الذي استولى على الامر سنة (٣٨٦هـ / ٩٩٦م) بعد وفاة العزيز بالله في مصر بسبب صغر سن الحاكم (٥) – جواسيس في مدينة دمشق يوافونه باخبار المدينة وولاتها ، فارسلوا يخبرونه بعزم منجوتكين على تجهيز جيش والقدوم به إلى مصر لمساعدة الحاكم بامر الله ضده (٦) .

وتضاعفت العناية لمعرفة الاخبار في عهد الدولة الفاطمية ، ولا سيما في عهد الحاكم بامر الله (٣٨٦– ٤١١هـ/٩٩٦–١٠٢٠م) عندما اكد على اهميه وجود اشخاص ينقلون له اخبار ولاة الشام ، فعهد الى ختكين الداعي للقيام بهذه السفارة ، وكان يكلفه بحمل الرسائل التي يريد نقلها الى هؤلاء الولاة . كما انه اكثر من طلب اخبار الناس والوقوف على احوالهم ، حيث بث الجواسيس من الجنسين رجالا ونساءا (٧) ، فلم يكن يخفى عليه رجل ولا امرأة من حاشيته او رعيته .

وفي سنة (٤٠٥هـ /١٠١٤م) منع الحاكم بامر الله النساء من الخروج من منازلهن او يطلعن من الاسطحة اومن الطاقات ، ومنعهن من الخروج الى الحمامات ، حيث رتب لهم عجائز كثيرة يدخلن الدور ويستطلعن احوال الناس ويرفعون اليه اخبارهم (٨) . ونتيجة لما كان يتلقاه منهم يوما من اخبار موثوق بها ، ادعى العلم بالغيب ، فكان يروي لاقربائه ووزرائه كل صباح ما حدث في بيوتهم بالامس ، فيقول لكل واحد منهم – فلان انت فعلت في بيتك البارحة كيت كيت – وكان ذلك باتفاق

---

(١) ابن القلانسي ، تاريخ دمشق ، ص ٢٠.
(٢) ابن القلانسي ، تاريخ دمشق ص ٣٩.
(٣) ابن القلانسي ، المصدر السابق ص ٤١.
(٤) ابن القلانسي ، المصدر السابق ص ٥٠.
(٥) ابن القلانسي ، المصدر السابق، ص ٧٥–٧٦، الدواداري، الدرة المضية ص٢٥٦–٢٥٧.
(٦) ابن القلانسي ، تاريخ دمشق ، ص ٧٦ – ٧٧.
(٧) ابن عماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٥، ص ٦٣، ابن الجوزي المنتظم، ج٥، ص ١٠١.
(٨) ابن كثير ، البدايه والنهاية ، ج ١١، ص ٣٧٨. ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ١٠١

سابق مع العجائز اللاتي كن يدخلن بيوت الوزراء والامراء [١] .

وكان الحاكم بامر الله قد اعتاد الركوب بالليل يطوف الاسواق ورتب في كل درب اصحاب اخبار ، يخبرونه بكل ما يعرفونه ويرفعون اليه الاخبار [٢] .

ومن خلال الاشارات القليلة التي وصلتنا عن هذه الجاسوسيه نلاحظ انها ازدادت نشاطا في عهد المأمون (٥١٥- ٥١٩ هـ /١١٢١- ١١٢٥م) وزير الحاكم بامر الله ، فقد رتب الجواسيس في كل اقطار الارض لاخباره بالحوادث التي تقع [٣] .

ونظرا لاتساع مملكتهم وامتدادها فقد استعمل الفاطميون الحمام الزاجل في هذا المجال لنقل بريدهم [٤] . كما كان لبعض الوزراء الفاطميين بريدهم الخاص بواسطة الحمام الزاجل [٥] والاشارات التاريخية التي تؤكد مدى الاتصال بين مصر وسائر انحاء بلاد الشام بواسطة الحمام الزاجل عديدة [٦] .

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج١، ص ٢٠٨.

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٥ص١٠١، ابن كثير ، البداية ،ج١١، ص٣٧١، المقريزي ، الخطط ج٢ص٢٨٥.

(٣) ابن ميسر ، اخبار مصر ، ص ٩٧ – ٩٨ .

(٤) القلقشندي ، صبح ، ج ١٤ص ٤٣٥ – ٤٣٦.

(٥) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ٤٣٦.

(٦) انظر ، فصل وسائل البريد الحمام الزاجل .

الفصل الثالث

ديوان البريد وعلاقته بالأنظمة الإدارية والإقتصادية والعسكرية

المبحث الأول :

أ. التنظيم الإداري لديوان البريد.

١. صاحب البريد

٢. عمال البريـد

- المرتبون
- الموقعون
- الفروانقيون
- الوكالاء والمخبرون
- السعاة
- الفيوج
- الكوهبانية - الركابي والامناء والبدال

ب - العلامة المميزة لعمال البريد

جـ - نفقات ورواتب البريد.

المبحث الثاني:

علاقة البريد بالأنظمة الإدارية والاقتصادية والعسكرية.

١. علاقة البريد بالانظمة الإدارية.

أ - علاقة البريد بالقضاء.

ب - علاقة البريد المظالم.

جـ - علاقة البريد الشرطة.

٢. دور البريد في الحياة الاقتصادية

٣. دور البريد في الاستخبارات العسكرية .

أ - التنظيم الاداري لديوان البريد :

يعد ديوان البريد من اهم الدواوين في الدولة العباسية نظرا للمهام التي يقوم بها ومع ذلك فلم يكن لهذا الديوان مجالس خاصه به في المراكز ، لعدم الحاجه إلى عدد كبير من الكتاب فيه (١) ولم تأخذ إدارة هذا الديوان مكانتها واهميتها بين الدواوين الإدارية للدولة إلا في العصر العباسي الاول ، بعد أن بدأ الخلفاء يباشرون بانفسهم النظر في جميع مشاكل الدولة (٢) .

وكان هذا الديوان يمارس وظائفه بواسطة عدد من العاملين فيه ، لكل واحد منهم اختصاصه ، والذي يرأس هذا الديوان هو صاحب البريد :-

يعد صاحب البريد من رجال الدولة المهمين ، إذ أنه احد أربعة أركان لا يصلح الملك إلا بهم(٣) . وكان يتولى الاشراف على إدارة الديوان ، ويعد مسؤولا عن جميع عماله ، كما يقوم بإرسال اوامر الخليفه إلى العمال والولاه ويتلقى ما يرد منهم من تقارير أو اخبار وعرضها على الخليفه (٤) ويمكن تشبيهه بالعين التي يرى بها الخليفة كل ما يجري في انحاء الدولة، ويتعرف بوساطته على المناوئين لها (٥).

وبالنظر إلى المنزلة الكبيرة التي يتمتع بها صاحب البريد ، فان منصبه يعد من اكبر المناصب حساسيه ، فهو صاحب الأخبار الرسمي (٦) ، والمشرف على جميع الطرق والمسالك المهمة، وله عيون يوافونه بكل جديد . لذلك فان الخلفاء العباسيين لا يختارون لهذه المهمة إلا من كان ثقه عدلا ، وقد اوجز أبو يوسف الشروط الواجب توافرها في صاحب البريد بقوله :" وتامر باختيار الثقات العدول من اهل كل بلد ومصر ، فتوليهم البريد والأخبار ... وتتقدم اليهم في أن لا يستروا عنك خبرا عن رعيتك ولا عن ولاتك ، ولا يزيدوا فيما يكتبون به عليك خبرا ومن لم يفعل منهم فنكل به ، ومتى لم يكن أصحاب البريد والأخبار في النواحي ثقات عدولا ، فلا ينبغي ان يقبل لهم خبر في قاض ولا وال ،

---

(١) مصطفى الحياري ، الدواوين ، ص ٣٩.

(٢) السامرائي ، المؤسسات الادارية ،ص٢٨٨،وقد اشرت في الفصل الثاني الى مراحل تطور ونشأة ديوان البريد.

(٣) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص ٦٧ ،الطرطوشي ، سراج الملوك ص ٦٢ ،ابن الاثير ، الكامل ج٥ص٤٦ .

(٤) قدامه بن جعفر ، الخراج ، ص ٧٧.

(٥) سيده كاشف ، الوليد بن عبد الملك ، ص ١٨١-١٨٣ .

(٦) ادم متز ، الحضارة العربيه الاسلامية ،ج١، ص ١٢٢ .

، انما يحتاط بصاحب البريد على القاضي والوالي وغيرهما [١]

ولم يكن منصب صاحب البريد في العاصمه من المناصب الميسورة المنال ، إذ تعد هذه الوظيفه من الخطط العاليه[٢] . لهذا كان لا بد من توافر صفات معينه إلى جانب الكفاءة وسعة الاطلاع وتحري الصدق . إذ كانت مهمه صاحب الديوان لا تنحصر في ارسال واستلام الرسائل الرسمية من الخليفة واليه ، وانما تشمل الاشراف على جميع السلطات في مختلف اجزاء الدولة ، ولذلك فان من بين الصفات التى يجب ان يتحلى بها صاحب الديوان ، أن يكون ثقة في نفسه ، أو عند الخليفة القائم بالامر في وقته ، لان هذا الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج معه إلى الكافي المتصفح ، وانما يحتاج إلى الثقة المتحفظ [٣] .

كما لا يحتاج من يتولى هذا الديوان إلى معرفة بتخصصات الكتابه ، كما في الدواوين الاخرى ، لان ما فيه من عمل لا يتطلب ذلك ، وانما ينتغي أن يكون ثقة متحفظا [٤] .

كان الخليفة هو الذي يعين صاحب ديوان البريد في العاصمة ، كما كان يعين عمال البريد في النواحي [٥] . وقد جرت العاده أن يسند هذا المنصب لرجال الدولة البارزين والمقربين للخليفة في فترة العصر العباسي الاول ، إذ كان الخليفة المنصور لا يعين على دواوين البريد إلا مواليه ومن يثق بهم من الناس [٦] ، وكان الرشيد يختار صاحب البريد من اصدق رجاله واقربهم اليه لخطورة مركزه ، لهذا فقد اسند مهمة الاشراف على جهاز البريد لجعفر البرمكي [٧] .

ولما استبد الاتراك بامور الخلافه، تقلد بعضهم هذه الوظيفة فتولاها ايتاخ في عهد المتوكل[٨] وتولاها موسى بن بغا في عهد المستعين[٩] ، وعندما بويع المعتز بالخلافة في سامراء اثناء نزاعه مع المستعين ، بادر إلى اسناد رئاسه البريد إلى سيما الساربياني[١٠] ، وفي عهد المقتدر ولي البريد شفيع اللؤلؤي ، وعندما توفي خلفه شفيع المقتدري [١١] ، وولي البريد في عهد القاهر بن علي بن يلبق [١٢] كذلك حرص الخلفاء على أن يكون اصحاب دواوين البريد في الولايات من الموثوق بهم ،

---

(١) ابو يوسف ، الخراج ص ٣٧٢.
(٢) ابن خلدون ، المقدمه ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦.
(٣) قدامه بن جعفر ، الخراج ، ص ٧٧.
(٤) مصطفى الحياري ، الدواوين ص ٤٠.
(٥) الطبري ، ج ٨ ، ص ٦٧ ، قدامة ، ص ٧٧ ، السامرائي ، المؤسسات ، ص ٢٦٨ .
(٦) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١٠١ ، التنوخي ، نشوار ، ص ٤١ .
(٧) الجهشياري ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .
(٨) الطبري تاريخ ج٩ ص ١٦٦ ، ابن الجوزي ، المنتظم ج١٢ص٢٢١ ابن الاثير ، ج٦ ص ١٠١.
(٩) الصبري تاريخ ج٩ ص ٢٥٨، التنوخي نشوار ،ج٤ ص١١٠، ابن عساكر ، تهذيب ج٣ص٥٢٧.
(١٠) الطبري تاريخ ج٩ ص ٣٩٢.
(١١) عريب سعد ، صله ، ص ٤٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٧ ، ص٢٣ ، ابن خلدون تاريخ ، ج ٤ ، ق٣ ، ص٨١٥.
(١٢) عريب بن سعد ، المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

ومن رجالهم المقربين ، فقد عين الخليفة المنصور مولاه طريفا على بريد مصر والشام والجزيرة [(١)].

كما ولى المتوكل بريد مصر رجلا من خدمه ، يقال له يعقوب بن ابراهيم الباذغيس ، وجعل له بريد مصر والاسكندرية وبرقة ونواحي المغرب[(٢)] ، وتولى فاتك مولى المعتضد أعمال البريد بالموصل وديار ربيعة وديار مضر ، والثغور الشامية والجزرية[(٣)].

ومما يدل على اهمية مكانة صاحب البريد ، ارتباطه المباشر بالخليفة ، إذ لم يكن بينهما اية واسطة ، وذلك كي لا يسمح لاحد بالاطلاع على الأخبار قبل ايصالها إلى الخليفة ، وهو الذي يقرر فيما بعد إشاعه الخبر أو كتمانه ، حسبما تقتضيه مصلحة الدولة [(٤)].

ولضمان السرية التامه في نقل الأخبار إلى الخليفة كانت هناك علامه أو إشارة متفق عليها بين الخليفة وصاحب بريده ، فضلا عن الكتاب أو الختم ، فالخليفة لا يعترف بمضمون كتاب صاحب البريد ولا ختمه إلا اذا تضمن تلك العلامه ، إذ من المحتمل أن يكون صاحب البريد قد بعث الكتاب تحت ظروف التهديد [(٥)] . وهذا ما حدث مع أبي مسلم الخراساني ففي سنه ١٣٧هـ استقدمه الخليفة المنصور إلى بغداد ، واستخلف ابو نصر على عسكره بحلوان ، وطلب منه البقاء إلى ان يأتيه كتابه ، فطلب منه أبو نصر أن يجعل بينهما علامة يعرف بها كتابه ، فقال له :" إن أتاك كتابي مختوم بنصف خاتم فانا كتبته ، وان أتاك بخاتم كله فانني لم اكتبه " ثم أرسل أبو جعفر إلى أبي نصر كتابا على لسان أبي مسلم يأمره بحمل ثقله ، وما خلف وكان مختوما بكامل الختم فعرف ان صاحبه لم يكتبه [(٦)] . ولهذا كان لكل حكومه اسلامية شيفرة خاصة بها ، تجري بواسطتها المخابرات السرية ، ولا يعلم مغاليقها ومفاتيحها إلا رجال الدولة المختصون [(٧)].

وزياده في الحيطة والحذر كان يتم ختم الرزم البريديه باستعمال الشمع وترسل بشكل سريع ، وكان لها موظفون خاصون بها . فقد كان يستعمل في المغرب واسبانيا شمع العسل لختم الرسائل ، ويقابل ذلك بالشرق الشمع الاحمر ، وكان يستورد عن طريق سيراف ، فقد كانت الدولة تشتري منه

---

(١) الجهشياري ص ١٠١، التنوخي ، نشوار المحاضرة ص ٤١.

(٢) البلاذري ، فتوح ص٢٣٤-٢٣٥، الطبري ، تاريخ ج٩ص٢٠٢، ابن الاثير ،الكامل ج٦ص١٢٣ ، النويري ، نهايه الارب ، ج٢٢،ص ٢٥١.

(٣) ابن الاثير ، الكامل ج٦، ص ٣٩٤.

(٤) القلقشندي ، صبح ج ١٤ وص ٣٦٨و الحسن بن عبدالله ، اثار الدول ، ص٨٥.

(٥) الحسن بن عبدالله ، اثار ، ص ٨٩-٩٠.

(٦) البلاذري ، انساب ج٢ ص ٢١٧، الطبري ، تاريخ ، ص ٤٨٩، ابن الجوزي ، المنتظم ،ج٨ص١٤، ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ، ص ١٠٨، ابن خلدون ، تاريخ ، ج٣ ، ص ٢، ص ٣٩٢.

(٧) Ali , Mazaheri , p.g . 362.

في عهد المامون حوالي ١٢٠ كيلو سنوياً [١] .

كما كان للتجار وأصحاب المناصب أختام خاصه بهم ، لاستخدامها في رسائلهم منها ما هو محفور على النحاس ، أو الفضة أو الذهب أو على العقيق ، وكان صانع الختم لديه قائمه باسماء من يصنع لهم هذه الخواتم ليضمن عدم التزوير[٢] .

اما مهام صاحب البريد فقد كانت متعددة ، إذ عليه أن يتتبع كل ما يجري في بلاد الخلافة لينفذه إلى الخليفة ، فهو الذي يعينه الخليفة رقيبا على اكابر رجاله في العاصمة ، وعلى عمال الاطراف في مختلف أرجاء الدولة [٣] . وعليه أن يوصل الخبر باسرع السبل واعجلها ، كما انه ملزم بنقل كل ما يرى ويسمع خيرا كان أم شرا [٤] . وبذلك اصبح صاحب ديوان البريد في العاصمة عين الخليفة الساهرة على سلامة الاحوال في الدولة [٥] .

ومن مهام صاحب البريد انفاذ ما يصدر عن الخليفة أو الوزير ، إلى العمال في الاقاليم ويتلقى تقارير عمال البريد ، ويعرضها أو يعرض خلاصتها على الخليفة . وقد اورد قدامه بن جعفر هذه الاختصاصات في قول :" يحتاج البريد إلى ديوان يكون مفردا به ، وتكون الكتب المنفذه من جميع النواحي مقصودا بها صاحبه ، ليكون هو المنفذ لكل شيء منها إلى الموضع المرسوم بالنفوذ اليه ، ويتولى عرض كتب أصحاب البريد والاخبار في جميع النواحي على الخليفة ، أو عمل جوامع لها ..."[٦] وكان يشرف على العاملين في الديوان ، ويكون اليه امر الفروانقين والموقعين والمرتبين في السكك وتنجز ارزاقهم ، كما يتولى تقليد أصحاب الخرائط في سائر الامصار ، [٧] كي يؤدوا اعمالهم في المواقيت المقررة ، ويراقب مواعيد قيامهم ومواعيد وصولهم ، وذلك عن طريق تصفح الدفاتر المعدة لذلك ، كي لا يتاخر احد منهم عن الاوقات المقررة لوصولهم[٨] . كما كان عليه ان يوعز إلى عمال البريد حفظ الطريق وصيانتها من القطاع والسراق ، والنظر في المراكز ومنازل البريد[٩] . وعلى صاحب البريد ان يكون لديه سجل واف عن اوضاع الطرق في دولة الاسلام ، ومواضع السكك والمسالك لجميع المناطق والاطراف ، ووصف دقيق وموجز لكل موضع في الطرق

(١) ابن خلدون ، تاريخ ج١ص٤٧٠-٤٧١ .Ali , Mazaheri , p.g . 362
(٢) Ali , Mazaheri , p.g 362. سيراف : مدينه على ساحل بحر فارس كانت قديماً فرضة الهند ، وبها اثار عمارة حسنة ، ياقوت ، معجم البلدان ج٣ ص ٢٩٤
(٣) ابن طيفور ، تاريخ بغداد ص ٤٠-٤١ .
(٤) ابن طيفور ، تاريخ بغداد ص ٤٢ .
(٥) الحسن بن عبدالله ، اثار ، ص ٨٣ .
(٦) قدامه بنت جعفر ، الخراج ص ٧٧ .
(٧) قدامه بن جعفر ، المصدر السابق ، ص٧٧
(٨) قدامه ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .
(٩) الحسن بن عبالله ، اثار ص ٨٥ .

وكل سكة بريد [١] .

ويبدو أن الهدف من ذلك كان عسكريا بالدرجة الاولى حتى اذا استدعت الضرورةخروج الخليفة إلى أي منطقة من بلاد الشام ، أو انفاد جيش في مهمة إلى منطقة ما قدم له صاحب ديوان البريد سجلا وافيا للطريق التي ستسلك مع وصف للاماكن والسكك فيها ، وما يتوفر فيها من ماء وغذاء ، وعشب للرعي ، والى غير ذلك من الامور التي يحتاج اليها [٢] . ومن هنا تتبين لنا اهمية المعلومات التي نجدها في كتب المسالك والممالك ، وانه كان لها ما يبررها في دولة الخلافة من حيث تسهيل الانتقال بين اطرافها [٣] .

وكان لصاحب البريد عيون يبثها في أنحاء الولايات ، حتى يستطيع أن يقف على ما يحدث بها من أحداث في وقتها ، ليوصلها إلى الخليفة باسرع ما يمكن ، وقد اطلق عليهم اصحاب الأخبار[٤] . ويشير إلى ذلك الحسن بن عبدالله فيقول :" يجب أن يكون صاحب الخبر له توصل وتلطف ، ودسائس من النساء والصبيان والغلمان والحراس وأصحاب الحرف والصنائع[٥] .

ويفترض في أصحاب الأخبار والاعوان الذين يختارهم لمساعدته ، ن يكونوا على درجه من الامانة والنزاهة والصدق ، كي لا ينهوا اليه إلا ما يثبتونه ، وان يحتاط في ذلك [٦] . إلا أنه وعلى ما يبدو أن بعض اصحاب البريد كانوا يجانبون الحقيقه في تقاريرهم عن اعمال الولاة ، ويسيئون استخدام مناصبهم ، وأن بعضهم كانت تنقصه الامانه ، مما لفت نظر قاضي القضاة أبي يوسف فنبه الخليفة هارون الرشيد إلى ذلك بقوله :"بلغني عن ولاتك على البريد والأخبار في النواحي تخليط ومحاباة ، فيما يحتاج إلى معرفته في امور الولاة والرعيه ، وانهم ربما مالوا مع العمال إلى الرعيه ، وستروا أخبارهم ، وسوء معاملتهم للناس ، وربما كتبوا في الولاة والعمال ما لم يفعلوا اذا لم يؤمنوهم ، وهذا مما ينبغي أن تتفقده ".[٧] .

وكان بعض الخلفاء واثقين من عدم صدق صاحب البريد وامانته ، ودليلا على ذلك ان الخليفة المتوكل على الله لما ولى ابن الكلبي على البريد ، أحلفه بالطلاق ألا يكتمه شيئا من امر الناس جميعا

---

(١) الحياري : الدواوين، ص ٤١.

(٢) مصطفى الحياري، الداووين ص ٤٢.

(٣) مصطفى الحياري ، المرجع السابق ص ٤٢.

(٤) ابن طيفور ، بغداد ص ٣٥،٣٦، ادم متز : الحضارة الإسلامية ، ج١ ، ص ١٣٢، ولذا كان يطلق على وال البريد «صاحب البريد والأخبار »، مولاي : الإدارة العربية ص ٢٩٩.

(٥) الحسن بن عبد الله ، اثار ، الدول ص ٨٩.

(٦) قدامه بن جعفر ، الخراج ص ٥١،٥٢، ابو الحسين اسحاق بن إبراهيم ، البرهان في وجوه اللسان ، ص ٤١٧ .

(٧) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٣٧٢ .

حتى من امره هو نفسه[١] .

ويجب على الخليفة أن يعلم انه متى ظهر أن صاحب البريد أو الخبر زوّر خبرا في قاض أو عامي أو كذب عليه لانحرافه أو هواه فيه ، أو لغرض يفيده ، أنزل به من عقوبته ما يؤدب به أمثاله من أهل طبقته[٢] . ففي خلافة المامون انزل العقوبه بخليفة صاحب البريد على دار الخلافة ، وذلك بضربه مائة سوط ومقرعه ، ومعاقبة صاحب البريد نتيجة استهتاره بالامور ، وتقليده أمور دار الخلافة من يضيع أمورها[٣] .

وحين أفلت ادريس بن عبدالله بن الحسين من وقعه فخ سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م ، فر إلى مصر ومنها إلى المغرب على دواب البريد ، بتواطيء عامل بريد مصر ، ويدعى واضح مولى بني العباس ، الأمر الذي دعا الخليفة الهادي إلى انزال اشد العقوبه فيه[٤] بسبب خيانته ، وتخليه عن واجبه . وهكذا نلاحظ أن كل من يتقاعس عن أداء واجبه يعرض نفسه للعقاب الشديد.

وكي يحافظ صاحب البريد على امانته وصدقه وعفافه ، كان يوسع عليه بالرزق ، حتى لا يضعف أمام الاغراء المادي ، فينحرف عن الطريق فيهلك ويُهلك[٥] . وهذا ما أشار إليه ابو يوسف في رسالته التي وجهها إلى الخليفة هارون الرشيد ، حيث طلب منه أن يجري لهم من الرزق من بيت المال ، وليدر عليهم ما يكفيهم[٦] . ولا بد من توفير كافة المستلزمات الضرورية لأصحاب البريد والأخبار ، تسهيلا لاداء مهماتهم ، كي يكونوا في نقلهم محققين صادقين ، لأن الكذب في هذا ، والعمل به ، يؤدي إلى خلل عظيم لا يستدرك فارطه[٧]

وكان صاحب البريد يضطلع بمهام نظام الجاسوسية شديدة الدقة ، ولذلك سمى رئيس البريد باسم صاحب البريد[٨] والأخبار وممن اطلق عليه مثل هذه التسميه ابن خرداذبه الذي ولي البريد والخبر بنواحي الجبل[٩] وسليما ن بن مجالد . في خلافة المنصور حيث ولاه بريد البصرة

---

(١) الاصفهاني ، التنبيه على حدوث التصفيح ص ٥١.

(٢) ابو الحسين اسحاق بن إبراهيم ، البرهان في وجوه اللسان ، ص ٤١٧.

(٣) الشابشتي، الديارات ص ٣٩.

(٤) الطبري ، ج٨، ص ١٩٨، ابو الفدا ، المختصر ج٢،ص ١١. ابن خلدون ج٣،ص ٢.

(٥) ابو الحسين اسحاق بن ابراهيم ، البرهان في وجوه اللسان ص ٤١٧.

(٦) ابو يوسف ، الخراج ص ٢٧٣.

(٧) الحسن بن عبد الله ، آثار الأول ص ٨٣، ٨٤.

(٨) حسيني مولوي ، الإدارة العربية ، ص ٣٠٠ .

(٩) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٦٥ .

وأخبارها[١] . وفي خلافة الامير البويهي بهاء الدولة ولى أبو نصر سابور ، الخبر والبريد سنة ٣٨٣هـ[٢].

وليس لصاحب الخبر أن يناقش احد من الناس ، موظفين أو رعيه ، فيما قالوا أو صنعوا ، وانما بجب عليه أن يكتب ما يرى ويسمع [٣] . كما أنه يختلف مقام صاحب الخبر باختلاف عمله.من الشخص البسيط المكلف بمعرفه الأخبار من السنة المجتازين ، وابناء السبيل ، والاطفال ، الى صاحب البريد الذي ينصبه الخليفة أكابر عماله ، وعلى أصحاب الاطراف في مختلف أرجاء الدولة [٤] .

ومن اشهر من ولي البريد في العصر العباسي ، أبو القاسم عبداللبه بن أحمد بن خرداذبه الذي تولي البريد والخبر بنواحي الجبل بايران ، في عهد الخليفة المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ /٨٦٩-٨٩٢م)[٥] . كما شغل قدامه بن جعفر صاحب كتاب الخراج وصناعة الكتابه ، منصب صاحب البريد في اواخر ايامه من قبل الخليفه المكتفي [٦] (٢٨٩-٢٩٥هـ / ٩٠١-٩٠٧م) .

ومن شدة اهتمام الخلفاء العباسين بمنصب صاحب البريد ، كانوا يسندون هذا المنصب احيانا للقضاة ، اعتمادا على امانتهم[٧] ، والى الفقهاء احيانا اخرى [٨].

مما سبق نستنتج أن صاحب البريد هو اول رجل استخبارات عرفته الدولة العربيه الاسلامية ، وان هذه المهمة الخطيرة التي اضطلع بها ، جعلته يتمتع بمكانة عاليه بين كبار القادة والعسكريين ، ورجال الحرب ، بل أن القاده العسكريين انفسهم كانو تحت رقابه أصحاب البريد والأخبار ، وان معركه عموريه التي قادها الخليفة المعتصم اظهرت مدى ما يتمتع به صاحب البريد من دور خطير في كشف المؤامرة التي كانت تحاك من قبل القادة العسكريين ، وتستهدف قتل الخليفة المعتصم ومبايعة العباس بن المأمون بالخلافه[٩].

ومن الطريف ذكره أن أعمال صاحب البريد وعماله في الولايات ، لم تقتصر على ما ذكرناه من الامور المهمة التي كان لها علاقة وثيقة بسياسة الدولة ، وامنها ، وضمان استمرار العمل في مختلف

---

(١) البلاذري ، انساب الأشراف ، ق ٢ ، ص ١١١.
(٢) أبو شجاع، ذيل التجارب ج٣،ص ٢٥٢.
(٣) ابن طيفور ، بغداد ص ٣٧.
(٤) ابن طيفور ، بغداد ص ٤٠-٤١.
(٥) ابن النديم ، الفهرست، ص ١٦٥، كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي ج١،ص ١٥٦.
(٦) كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٦ .
(٧) السمعاني ، الأنساب ،ج٥،ص ١٤.
(٨) ابن سعد، الطبقات ، ج٥،ص ١٧٦.
(٩) الطبري ، تاريخ ، ج ٩ ، ص ٧٣-٧٤ ، ٧٦ .

مؤسساتها على الاخلاص والعدالة ، بل شملت اضافة إلى ذلك نقل بعض الأخبار الشاذه والطريفة ، التي تحدث في مختلف الاقاليم ، فقد كتب صاحب الخبر بمدينة السلام إلى اسماعيل بن بلبل في وزارته الاولى للمعتمد سنه ٢٦٣ هـ ، بان احدى المغنيات غنت عند الحسن بن مخلد وزير المعتمد وهو إذ ذاك معطل بهذا الصوت فاستعاده وطرب ، عليه فانهى اسماعيل ذلك إلى المعتمد فامر بنفيه الى مصر(١) .ومثل ذلك ما اورده صاحب الخبر في الدينور ، على أن بغله لرجل هناك ولدت فلوة ، وقد وصف اجتماع الناس وتعجبهم ، كما ارسل وصفا دقيقا لها ، فوصف البغله بانها كتماء خلوقية ، ووصف الفلوة بانها سويه الخلق تامه الاعضاء منسدله الذنب(٢)

وفي خلافه المتوكل كتب صاحب البريد سنه (٢٤٢هـ/ ٨٥٦م) أنه قد قع بحلب طائرابيض دون الرخمه في شهر رمضان ، فصاح يا معشر الناس اتقوا الله ، اتقوالله ، اتقوا الله ، اربعين صوتا ، ثم طار ، وجاء في الغد ففعل كذلك ، وكتب صاحب البريد بذلك وشهد خمسمائه انسان سمعوه (٣).

وفي خلافه المعتمد كتب صاحب البريد سنه (٢٨٥هـ/٨٩٨م) بالكوفه يذكر أن ريحا صفراء ارتفعت بنواحي الكوفه في ليله الاحد لعشر بقين من ربيع الاول ، فلم تزل إلى وقت المغرب ثم استمالت سوداء ، فلم يزل الناس في تضرع إلى الله عز وجل ، ثم امطرت السماء بعد ذلك مطرا شديدا برعود هائله وبروق متصله(٤)

ولعل هذه الأخبار تعكس إلى حد كبير دقه عمال البريد في ايصال الأخبار إلى العاصمه ووفاءهم في تلمس الحقائق ، لكونهم عقد الاتصال بين الخلفاء وعمالهم ، فاذا تكدرت العلاقه بين الوالي والخليفة ، واراد الوالي التمرد والعصيان ، عن طريق قطع حلقة الاتصال وهو البريد عن الخليفة وجب على عامل البريد وفاءاً لواجبه ، أن يحتاط للامر بكل دقه ، وهذا ما جعل الخلفاء يتحرون الدقه في اختيار عمال البريد (٥).

ومما ينبغي الاشاره اليه ، أن متولي منصب ديوان البريد ، كان يبقى في منصبه رغم تغير

---

(١) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج٨،ص ٢١٣.

(٢) عريب بن سعد، صلة ، ص ٤٢، ابن الجوزي ، المنتظم ج١٣،ص ١٣٢.

(٣) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج١١، ص ٢٦٥، ابن تغزي بري ، النجوم ج٢،ص ٢٤١٢، الرخمة وام جعران ، طائر على شكل النسور منقط بسواد وبياض ويسمى الأنوق وكنيته جعران ، وأم عجيب ، وأم كثير ، انظر صبح الأعشى، ج٢،ص ٩٣، النويري : نهاية الأرب ج٢٢، ص ٢٩٠.

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ج١٢،ص ٣٧٧، الطبري ، تاريخ ج١٠،ص ٩٧.

(٥) السعداوي ، نظام البريد ص ٧٣.

الوزير ، ولعل ذلك يرد لاسباب كثيرة أهمها أن تعينه كان يتم من قبل الخليفة نفسه ، ومن المحتمل أن يكون بقاؤه في هذا المنصب ناتجا عن الثقة التي تولدت لدى الخليفة فيه ، أو نتيجه لطبيعة العمل الذي كان يتولاه والذي كان يتسم بالسريه التامه[١] .

وربما كان من مسوغات تقليد هذا المنصب للابن بعد وفاة الاب الذي كان يشغله في بعض الحالات . فعلى سبيل المثال ، عندما توفي بغا الكبير سنة (٢٤٨هـ/٨٦٢م) عقد الخليفة المستعين لابنه موسى بن بغا [٢].

كان صاحب البريد يعتمد في أخباره على اعوانه في الولايات والاقاليم ، فكانوا يوافونه بكل جديد . وينوبون عنه في الولايات وهم عمال البريد :

وتقضي لائحه ديوان البريد ببغداد أن يكون لصاحبه حق تعين عامل بريد في كل ولايه من ولايات الدولة الاسلاميه ، ولهذا العامل عمال اخرون مرؤوسون له ، يقومون بتنفيذ سياسته ، وتصريف شؤون البريد في ولايته . ومهمته موفاة الخليفة بجميع الشؤون الهامه في ولايته وما يدور فيها من خير أو شر[٣] .

ويبدو أن سلطه صاحب البريد في الولايات مستقله عن سلطة الوالي ، فكان له أن يبت في اختيار عمال البريد في هذه الولايه ، ولكن الخليفة هو الذي يعين عمال البريد بهذه الولايات[١] .ودليلا على فعاليتهم في خلافة المنصور أن ولاة البريد في الافاق كلها ، كانوا يكتبون إلى المنصور بكل شيء يجري بالولايه ، بسعر القمح ، وعمل القاضي ، وبما يعمل به الوالي وبما يرد بيت المال من المال ، وكل حدث . فكانوا اذا ما صلوا المغرب يكتبون اليه ما كان في كل ليله[٤] . وهكذا فقد احكم الخليفة المنصور الرابطه بينه وبين رعيته ، بواسطه عمال البريد في الولايات .

وكانت رقابه عمال البزيد تشمل الجميع دون استثناء ، حتى أن ابناء الخلفاء والوزراء لم يسلموا من هذه الرقابه [٥] .

---

(١) السامرائي ، المؤسسات الإدارية ص ٢٧٥.
(٢) ابن الأثير، الكامل ج٦،ص ١٥١.
(٣) السعداوي ، نظام البريد ص ٧١ .
(٤) قدامه ، الخراج ص ٥٠.
(٥) الطبري ، تاريخ ج٨،ص ٩٦، ابن الأثير، الكامل ٥ ص ١٢٢، ابن الجوزي، المتنظم ج٧، ص ٢٤١ -٢٤٢. الأرملي الأربلي، ص ٦١-٦٢.
أنظر الفصل الثاني، تطور نظام البريد في العصر العباسي.

وتتضح أهمية ومسؤوليات عمال البريد من نسخة العهد بولايه البريد ، التي أوردها قدامة بن جعفر ، إذ طلب الخليفه من عامل البريد " أن يعرف حال عمال الخراج والضياع ، فيما يجري عليه امرهم ، ويتتبع ذلك تتبعا شافيا ، ويستشفه استشفافا بليغا ، وينهه على حقه وصدقه -- وامره أن يتعرف حال عمارة البلاد ، وما هي عليه من الكمال والاختلال ، وما يجري من امور الرعيه ، فيما يعاملون به من الانصاف والجور والرفق والعنف ، فيكتب به مشروحا ، وان يعرف ما عليه احوال الحكام في احكامهم ، وسيرتهم وسائر مذاهبهم وطرائقهم ، وان يعرف حال دار الضرب ، وما يضرب فيها من العين والورق ، وما يلزمه الموردون من الكلف والمؤن ، ويكتب بذلك على حقه وصدقة . وامره أن يوكل بمجلس عرض الاولياء واعطياتهم من يراعيه ، ويطالع ما يجري فيه ، ويكتب بما يقف عليه الحال من وقته ... وان يفرد لكل ما يكتب فيه من اصناف الأخبار كتبا باعيانها ، فيفرد أخبار القضاة ، وعمال المعاون والاحداث ، والخراج والضياع وارزاق الاولياء كتبا ليجري على كل كتاب في موضعه [١].

وهذا العهد يعطينا صوره واضحه عما صار اليه هذا الديوان من تقدم وتنظيم في نهاية القرن الثالث الهجري ، كما تطورت مهام صاحب البريد ، إلى التعرف على كافه الاحوال الاقتصاديه .

وفيما يتعلق بصفات وشروط اختيار هؤلار العمال ، فلا بد وان تكون مشابهه لصفات صاحب الديوان في العاصمه بغداد ، من حيث الصدق والامانه والنزاهه على اعتبار أن صاحب بريد الولايه ممثلا لرئيسه العام في بغداد [٢] .

وكان يفترض في عمال البريد في النواحي ألا يبلغو عن أمر إلا بعد تمحيص وتثبت ، فلا "يكتب إلا بما يصح عنده ولا يرتاب به ، ويراعي بما ينقله من الأخبار شيئا يثق بصحته ، ولا يدخل شبه في شيء منه" [٣] . وان يتاكد من ذلك ويحتاط " ربما يحتاط به من مثله من شهاده فيما يمكن الشهاده فيه ، واخذ الخطوط .... واقامه الشواهد والدلائل بما يمكن اقامتها عليه" [٤] ، وكان عليهم أن يعملوا باخلاص وبسرعه تامه ، فلا يخفوا عن الديوان شيئا يعلمونه ولا يحابون احد

---

(١) قدامه ، الخراج ، ص ٥١-٥٢.

(٢) السعداوي ، نظام البريد ص ٧١.

(٣) قدامه ، الخراج ص ٥١ .

(٤) قدامه ، المصدر السابق ، ص ٥١ .

بستره [١] .

فقد كان أصحاب الأخبار يرفعون إلى المامون الأخبار ولو لم تصح بالعدول ، فيقول صاحب الخبر لو لم نرفع إلا ما يثبت بالعدول لم يتهيا ذلك في السنه إلا مرة او مرتين [٢] ، وهذا يعني انهم كانوا يرفعون إلى المأمون ما يشاع من الأخبار دون تمحيص أو تدقيق .

وبالرغم من السلطه التي اعطاها الخلفاء لعمال البريد في الولايات إلا انهم لم يعطوهم الفرصه لاستغلال نفوذهم ، بل كانوا يحاسبونهم حسابا عسيرا ، فقد تنبه الخلفاء لما ذكره أبو يوسف فيما ينهيه عمال البريد من آخبار ، وكانو يشكون في صحه آخبار عامل البريد ولا يعملون بقوله . ومما يروى أن عامل بريد همذان ، كتب مرة إلى المأمون ، يعلمه أن كاتب البريد المعزول اخبره أن صاحبه وصاحب الخراج ، كانا قد تواطئا على اخراج مائتي الف درهم من بيت المال ، واقتسماها بينهما ، فرد المامون عليه : انا نرى قبول السعايه شرا من السعايه ، فان السعاية دلاله ، والقبول اجازه ، وليس من دل على شيء كمن قبله واجازه ، فانف الساعي عنك ، فلئن كان في سعايته صادقا لقد كان في صدقه لئيما ، إذ لم يحفظ الحرمه ، ولم يستر على اخيه " [٣] . فمثل هذا الرد من جانب الخليفه ، قد يحمل عامل البريد اخفاء حقيقه الحال في الولايه ، ويتستر عل عمال الخليفة بها ، مكتفيا بارسال مالا يستطيع اخفاءه وفي هذا ضرر كبير بالصالح العام .

وهذا ما حدث مع الخليفة المأمون نفسه عندما عزم على نقل الخلافة الى الطالبين ، وبايع وهو بمرو علي الرضا بن موسى الكاظم ، فشق ذلك على بني العباس ، واضطربوا ونصبوا ابراهيم المهدي وبايعوه وحاربوا الحسن بن سهل والي المأمون ، والأخبار منطوية عن المأمون بسبب تمكن وزيره الفضل بن سهل من الامور ، فتحيلت جارية المأمون ، في أن بعثت له خلعا من خرزووشي وكتبت ما ارادت على بطانتها ، وجعلت فوق البطائن بطائن بالية قذرة ، فلما عرضت على الفضل بن سهل امر بحملها إلى المامون دون النظر فيها ، فلما أراد لبسها تعجب من رداءة بطانتها ، فنزعها ورأى الكتابة على البطائن الاصلية فعظم ذلك عليه ، وعلم انطواء الأخبار عنه ، وانكر ذلك من الفضل بن سهل ، فاعتذر له [٤] فلم يقبل المأمون عذره ، ورحل إلى العراق في وقته ، ومهما كان

---

(١) قدامه ، المصدر السابق ، ص ٥١ .

(٢) ابن طيفور ، بغداد ص ٤١ .

(٣) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٣٠٨ ، البيهقي ، المحاسن ، ص ١٢٠ .

(٤) الطبري ، تاريخ ج٨ص ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، الثعالبي ، تحفة الوزراء ص ٩٧ ـ ٩٨ .

الامر فان يقظه الخليفة المامون على عمال البريد ، جعلتهم يخشون بأسه .

ونتيجة لهذه الاعمال التي كان يقوم بها عمال البريد في الولايات فقد عمد الخلفاء الى اتخاذ العيون عليهم زياده في الحيطة والحذر ، كي لا يخفوا عنهم الأخبار[١] وقد عول هؤلاء الخلفاء في دوائرهم الاستخبارية ، على التجار والدلالين والمسافرين ، فاستخدموهم للتجسس والاستطلاع على خفايا الامور التي لا يرفعها عمال البريد[٢] . ومما يؤيد ذلك أنه عندما سولت لطاهر بن الحسين نفسه بخلع طاعه الخليفة ، وذلك اثناء ولايته على المشرق ، وامسك عن الدعاء للمأمون ، كاتبه صاحب البريد هناك ، فاعتذر طاهر بان سهوا وقع منه ، ورجاه الا يكتب للمأمون بذلك ، ثم تكرر ذلك ثلاث مرات ، وطاهر يتقدم اليه الا يكتب للمأمون بذلك ، فقال له عامل البريد :" إن كتب التجار لا تنقطع عن بغداد ، وان اتصل هذا الخبر بامير المؤمنين من غيرنا لم امن أن يكون سبب زوال نعمتي"[٣] .

وكان لكل خليفة أصحاب أخبار على وزرائه ، وعلى كتاب الدواوين وعلى مافي داره وما يقع خارج بابه[٤] ، وهم بمنزلة العين المبصرة ، والاذن السامعة للخليفة[٥] . فقد فاق المنصور العباسي من سبقه في البحث عن الأخبار[٦] ، وسار الرشيد على طريقة المنصور في البحث عن اسرار رعيته[٧] ، وكان للمأمون على كل شيء صاحب خبر[٨] ، وكان المعتصم والمتوكل والمعتضد يبحثون عن احوال الناس غايه البحث ، ويتلطفون في الاطلاع على الأمور[٩] وعدتهم في ذلك أصحاب الأخبار الذين اعتمدوا عليهم ، إلى جانب عمال البريد .

كما كان لكل من الوزراء والامراء من كبار العمال ، أصحاب أخبار في دار الخليفة[١٠] حيث

---

(١) الحسن بن عبد الله ، آثار ص ٨٩.

(٢) فيليب حتي ، تاريخ العرب المطول ، تج١ ، ص ٤٠٢.

(٣) الطبري ، تاريخ ، ج ٨، ص ٥٩٤، ابن الطقطقي ، ص ٣، ص ٢٢٤، مجهول ، الحدائق ج٣، ص ٣٦٤، الأصفهاني ، الأغاني ج١٥،٦، ص ١٨٠، ابن خلدون ، تاريخ ،ج٣،ص ٥١١.

(٤) ابن طيفور ، بغداد ص ٤٠، الصابي، رسوم دار الوزراء، ص ٧١،٧٢.

(٥) الحسن بن عبد الله ، آثار ص ٨٣.

(٦) مجهول ، العيون والحدائق ، ج٣،ص ٢٣٤، البيهقي ، المحاسن والمساوئ ص ١٤٨.

(٧) البيهقي، المصدر السابق ص ١٤٨، الأصفهاني ، الأغاني ج١٩،ص ١٠٧.

(٨) التنوخي، الفرج بعد الشدة ج١،ص ٣١١، ابن طيفور ، بغداد ص ٤٢، اليعقوبي ، تاريخ ج٢،ص ٤٦، الأصبهاني محاضرات الأدباء ، ج١،ص ١٠٨.

(٩) الحسن بن عبدالله ، اثار ص ٨٦.

(١٠) الجاحظ ، التاج ص ١٧١، البلوي ص ١١٤، ١١٦.

كان صاحب الخبر عين الوزير التي ينظر بها في رعيته ، ورائده في مصالح من تحت يده ، لذا ينبغي أن يكون صاحب الخبر من أصلح عماله ديانة ، واكملهم امانة [١] ومتى نصب الوزيرلرفع الأخبار من يخالف هذه الصفة، فقد عش نفسه ، واضاع الحزم في سياسته ، وخان الامانه في رعيته ، وعلى الوزير أن يوسع على صاحب الخبر في رزقه ، ويشتري بذلك دينه وامانته [٢] .

وكان الحاكم الفاطمي بمصر كثير الطلب لأخبار الناس ،[٣] كما كان للأمير البويهي عضد الدولة ، أصحاب أخبار في كل مكان [٤] ، وكان أحمد بن طولون يضع أصحاب أخباره على قواده وعماله [٥] .

ويجب على الخلفاء اخذ الحيطه والحذر من أصحاب الأخبار هؤلاء فقد روي أن قال للمأمون "يا امير المؤمنين : الله الله في أصحاب الأخبار ، فانهم قوم اعطوا كذبوا وان حرموا كذبوا ، وان اعطوا مدحوا وهم كاذبون ، وان حرموا ذموا وهم كاذبون ، فقال المأمون لله درها من كلمه ما اصدقها ، وابين فضلها ، وامر أن تثبت في ديوان أصحاب الأخبار [٦] .

وفيما يتعلق بسلطة صاحب البريد في الولاية ، فمما لا شك فيه بانه ليس له الحق بالزام احد موظفيها ، على تنفيذ عمل من الاعمال ، فهذا من حق المشرف وقد حدد الماوردي [٧] الفرق بين اختصاصات كل من المشرف وصاحب البريد في الولايه بقوله :" وحكم المشرف يخالف حكم صاحب البريد في ثلاثة اوجه : احدهما انه ليس للعامل ان ينفرد بالعمل دون المشرف ، وله أن ينفرد به دون صاحب البريد ، والثاني أن للمشرف منع العامل مما افسد فيه ، وليس ذلك لصاحب البريد ، والثالث أن المشرف لا يلزمه الأخبار بما فعله العامل من صحيح أو فاسد ، لان خبر المشرف استعداء ، وخبر صاحب البريد انهاء ، والفرق بين خبر الانهاء وخبر الاستعداء من وجهتين : احدهما ان خبر الانهاء يشمل على الفاسد والصحيح ، وخبر الاستعداء مختص بما لم يرجع عنه دون ما رجع عنه ، وإذا انكر العامل استعداء المشرف أو انهاء صاب البريد ، لم يكن قول واحد منهما مقبولا عليه حتى يبرهن عنه ، فان اجتمعا على الاستعداء والانهاء ، صار شاهدين عليه فيقبل قولهما عليه " . فكأن الماوردي جعل منزله صاحب البريد بمنزلة السمع والبصر ،

---

(١) ابو الحسين اسحاق بن إبراهيم ، البرهان في وجوه اللسان ص ٤١٧ .
(٢) ابو الحسين اسحاق بن إبراهيم ، المصدر السابق ص ٤١٧ .
(٣) المقريزي، الخطط ج٢،ص ٢٨٥، ابن الجوزي، المنتظم ج١٥، ص ١٠١، ابن كثير ، البداية ج١١،ص ٣٧٨ .
(٤) ابن شجاع ، ذيل تجارب الامم ، ص ٥٩-٦٠ .
(٥) البلوي ، سيرة حمد بن طولون ص ٢٠٦،٢٠٧ .
(٦) الطرطوش ، سراج الملوك ص ٤٥٧ .
(٧) الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ٢١٢ . المشرف ، هو الذي يعينه الخليفة مشرفاً على عمال الولايات . نظام الملك ، سياسات نامة ،ص ٨٨ .

فهو منوط بحمل صورة واقعية وطبق الأصل لما عليه حال الولاية من صلاح وفساد وعمار وخراب [١].

كان ديوان البريد في العاصمة بغداد يشرف على جهاز كبير من موظفي ديوان البريد:-

- **المرتبون**: وهي فئة من عمال البريد ، والتي كانت مهمتهم حمل الرسائل في خرائط [٢] او حقائب معينة ، وإيصالها في أسرع وقت ممكن إلى أصحابها ، وكان مقرهم سكك البريد [٣]

- **الموقعون**: جمع موقع ، وهو الذي يوقع على الاسكدار إذا مرّ به بوقت وروده وصدوره[٤] ، وكان هؤلاء يقومون بتثبيت أوقات إنطلاق السعاة ، وأوقات وصولهم من أجل ضبطها، حتى لا يتأخر أحد منهم عن الأوقات التي سبيله أن يرد السكة فيها [٥]، ومن الطبيعي أن ضبط ذلك وإثباته ، لم يكن إلا بالكتابة ، لذا كانت للموقعين سجلات خاصة لهذا الغرض [٦].

- **الفروانقيون**: وكانوا يتولون مسؤولية مراقبة سكك البريد ، والسعاة والخيالة ، وكانوا يقدمون تقاريرهم عن كل ذلك إلى صاحب الديوان في العاصمة ، وكان لا بد للموقعين من عرض تقاريرهم على أحد الفروانقيين قبل إرسالها إلى ديوان البريد [٧]

---

(١) السعداوي : نظام البريد، ص ٧٣.

(٢) الخرائط ، عبارة عن وعاء من ادم او ديباج أو خزف أو ليف هندي أو خيش أو نحوها، يشرج على مافيه ويوضع في داخل هذه الخرائط كتب الولاة والعمال أو الدراهم التي ترد إلى العاصمه، أو غيرها، الصابي، رسوم ، ص ١٨، الجاحظ ، رسائل، ج١ ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٣) السكك : جمع سكه : وهو الموضع أو المكان الذي يقيم فيه عمال البريد من رباط أو بيت أو نحو ذلك، قدامه بن جعفر، الخراج، ص ٥٢، أنظر : الخوارزمي ، مفاتيح ، ص ٤٢ .

(٤) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ٤٢ .

(٥) قدامه بن جعفر : الخراج ، ص ٥٢-٧٧.

(٦) السامرائي : المؤسسات الإداريه، ص ٢٧٣، * الاسكدار، لفظه معربه، تعني مدرج يكتب فيه عدد الخرائط والكتب الوارده والنفاذه، واسماء اربابها، الخوارزمي ، مفاتيح العلوم، ص ٤٢ .

(٧) أنظر معنى فُرانق في الفصل الثاني.

ولهذا يمكن تشبيههم بالمفتشين (١). كما كان الفروانقيون بإعتبارهم من السعاة ، يتولون نقل الرسائل بين الولاة وكبار الموظفين في الأمور المهمة ، والتي تستدعي السرية ووجوب التنفيذ ، فقد أورد الجهشياري أنه عندما قُتل جعفر بن يحيى البرمكي في خلافة الرشيد ، وافى فُرانق إلى السندي بن شاهك ، وكان يلي الجسرين ببغداد ، يحمل جثة جعفر مقطوعة نصفين ، وكتاب الرشيد يأمره بصلب كل نصف على أحد الجسرين (٢).

كما أن أبا الحسن علي بن الفرات في وزارته الثانية وجه فُرانق إلى ميمون الخازن ، وكان مسؤولا عن ديوان السواد ، من أجل إحضار بعض السجلات التي كان محتاجاً إليها (٣). وفي خلافة المعتضد أرسل وزيره عبيدالله بن سليمان فرانُقة يحمل رقعة بخطه في طلب صديق له ومعاتبته على تأخره عنه (٤).

وبما أن الفرانق هو الذي يتقدم صاحب البريد ويدله ويرشده إلى الطريق (٥) ، فقد استعان به بعض الأشخاص ، من أجل تهريب بعض الرجال المطلوبين من قبل السلطة ، فعندما تشدد الخليفة المنصور سنة ١٤٥هـ في طلب إبراهيم بن عبدالله بن الحسن ، احتال سفيان العمي على الخليفة المنصور ،ووعده بإحضاره على أن يكتب له جوازاً ، ولغلام له ولفرانق وأن يحمله على دواب البريد ، كي يحضره إليه (٦).

٤-الوكلاء والمخبرون:- وكان هؤلاء يقومون بمساعدة عامل البريد عن طريق جمع المعلومات والأخبار في الولاية ، ويشير قدامة إلى ضرورة وجود هؤلاء الوكلاء في مجالس العطاء عند توزيع الأرزاق ، كي يطالع ما يجري فيه ، ويكتب ما يقف عليه لوقته (٧).

٥-السعاة:- جمع ساع وهو المكلف بنقل البريد على قدميه أي عن طريق السعي ، أي الجري والعدو - وكان يسمى ساعي المراسلات (٨) ، وهم رجال خفاف تعودوا على الجري والصبر ،وعلى

---

(١) السعداوي، نظام البريد، ص ٧٠.
(٢) الجهشاري، الوزراء والكتاب ، ص ٢٣٧.
(٣) الصابي ، الوزراء، ص ٧٦.
(٤) التنوخي، نشوار المحاضرة ،ج١ ،ص ٧٩.
(٥) الجوهري، الصحاح ، ج٢، ص ٤٤٧.
(٦) الطبري ، تاريخ ، ج٧،ص ٦٢٥.
(٧) قدامه، الخراج، ص ٥١، السامرائي، المؤسسات الإدارية، ص ٢٧٤.
(٨) حسن باشا، الفنون الإسلامية، ص ٥٧٦-٥٧٧ . الساعي ، سعى ، يسعى ، سعياً إذا أسرع في المشي ، ابن دريد ، جمهرة اللغة ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ .

السير مسافات طويلة في رحلة واحدة ، فعند تعذر وصول البريد إلى ناحية من النواحي ، خاصة في أوقات الأزمات والحروب التي لا يكمن خلالها بعث بريد الخيل أو غيره ، لإنعدام الإطمئنان على وصوله إلى المكان المراد بسلام ، فحينئذ يكون السعاة خير من يوصل الأخبار والرسائل من غير أن ينكشفوا ، وكذلك في المناطق الجبلية الوعرة التي يتعذر فيها سير الدواب ، لذلك كانت تدفع للسعاة أجور عالية (١). والسعاة من وسائل نقل الأخبار التي استخدمها الجيش العباسي إلى جانب الخيل والأبل والبغال(٢).

وأدخل معز الدولة أول أمراء البويهيين رسلاً سريعي الجري يدعون «السعاة» ،عندما أراد أن يعلم أخاه ركن الدولة بالري بتجددات الأخبار ، فاتخذ السعاة لهذا السبب (٣). ثم شاع استخدامهم في عصر بني بويه ، ونبغ في أيام معز الدولة ساعيان هما فضل ساعي السنة ومرعوش ساعي الشيعة ، وقد فاقا سائر السعاة وبلغ من شأنهما أن كل واحد منهما كان يسير في كل يوم نيِّفاً وأربعين فرسخاً (٤) ،من طلوع الشمس إلى غروبها ، يترددون ما بين عكبرا وبغداد ؛وقد رتب على كل فرسخ من الطريق قوماً يحضُون عليهم فصاروا أئمة السعاة ببغداد وانتسب إليهم السعاة ، وتعصب الناس لهم (٥) .

كما أنه اعطى على جودة السعي الرغائب أي العطايا الجزيلة ، مما أدى إلى تهافت الشبان ببغداد على هذه الحرفة ، وأقبل فقراء الناس على تسليم أبنائهم إلى معز الدولة لتدريبهم على ذلك(٦).

وكان للسعاة منزلةً مرموقة في العراق لدى كافة طبقات الشعب. وكانت تقام بينهم المباريات في الجري مسافات طويلة . ومن السعاة المشهورين في القرن السادس الهجري معتوق الموصلي

---

(١) خالد جاسم الجنابي، البريد العسكري في العصر العباسي، مجلة المؤرخ العربي، ج١٤، عدد ٣٥، ١٩٨٩، ص ١٥٥.

(٢) حسن الباشا، الفنون الإسلامية، ج٢،ص ٦٧٥.

(٣) ابن الجوزي المنتظم ، ج١ص ٤٣، ابن الأثير الكامل، ج٧،ص ٢٩٦، أبو الفداء ، المختصر، ص ١٠٦، النويري نهاية الأرب، ج٢٦،ص ١٩٣. ابن كثير ، البداية ج١١، ص ٢٧٩-٢٨٠، ابن تغري بردي، النجوم ج٣،ص ٣٢٨، السيوطي ٢ تاريخ الخلفاء، ص ٣٩٧،

(٤) التنوخي، نشوار المحاضرة ٢ ج ص ٢١٧،٢١٨، ابن الجوزي، المنتظم ، ج١٤، ص ٤٣، ابن الأثير ، الكامل ج٧، ص ٢٩٦، ابن الجوزي سبط مراة الزمان، ص ٣، ص ٢٢، أبو الفداء، المختصر ، ج٢،ص ١٠٦، النويري، نهاية الأرب ، ج٢٦،ص ١٩٣. ابن تغري بردي، النجوم، ج٣،ص ٣٢٨.

(٥) التنوخي ، نشوار ، ج١٤،ص ٢١٨، ابن الجوزي، المنتظم ، ج١٤، ص ٤٣.

(٦) التنوخي ، نشوار ، ج ٤ ، ص ٢١٨ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٤ ، ص ٤٣.

المعروف بالكوثري ، ويقــال أنه جرى من واسط إلى بغداد في يوم وليلة سوى ساعة سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧م [١].

ويذكر القلقشندي (ت ٨٢١هـ) ان أمر السعاة بقي جاريا برسومه ، ومظاهره إلى زمنه فقد قال : « واستمر حكم السعاة ببغداد إلى زماننا ، حتى أن منهم ساعيين لركاب السلطان يمشيان أمامة في المواكب وغيرها » [٢]

هذا وكان من موظفي القصر في عصر أحمد بن طولون رجال يقال لهم السعاة ، وكان لهم رئيس يسمى رئيس السعاة وقد وصلنا اسم أحدهم وهو الفارس [٣] وفي خلافة القادر بالله أظهر الاستغناء عن هؤلاء السعاة ، فتعطلت معيشتهم وتعثر حالهم مما جعل أحدهم أن يشتم الخليفة أثناء تجواله في أسواق بغداد ليلا ، فأمر باحضاره وطلب منه تسجيل أسماء كافة السعاة واحضارهم جميعا وأجرى لكل واحد منهم معلوماً ، ونفاهم إلى الثغور ورتبهم هناك عيونا على أعداء الدين [٤]

كما كانت حياة هؤلاء السعاة محفوفة بالمخاطر وكثير ما يتيهون في الطريق أو تصادفهم وحوش كاسرة ، كما كان يتعرض لهم بعض الناس بصنوف الشر والأذى ، من قتل وسلب وأسر مما يضطرهم المرور في أرض غير مطروقة ، وغير سابلة الأمن ولا يتوفر فيها الماء.[٥]

وكان لهولاء السعاة دور في الجيش العباسي ، إذ اتخذ العباسيون هؤلاء السعاة في بلاد الأعداء نفسها، لنقل الرسائل بين قادة القوات المتقدمة ، ففي حملة عمورية علم الخليفة العباسي المعتصم بتحرك ملك الروم لمواجهة القائد العباسي الأفشين ، فوجه من عسكره جماعة من السعاة والأدلاء ، وضمن لكل واحد منهم عشر آلاف درهم ،إن اوصلوا كتابه إلى الافشين ليكون على علم بتحرك الروم ، كما أمر قائدا من قواده أن يوجه من قبله ساعيا من الادلاء الذين يعرفون الجبال والطرق إلى الافشين ليعلمه بالامر أيضا [٦]

---

(١) الذهبي، دول الإسلام، ج٢،ص ١٠٠.
(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١،ص ١٦٢.
(٣) حسن الباشا، الفنون الإسلامية ، ص ٥٧٧.
(٤) الكتبي، فوات الوفيات ، ج١ ، ص ٥٩.
(٥) السعداوي، نظام البريد، ص ٧٨، كوركيس عواد العداءون والسعاة ، مجلة المقتطف ، مجلد ١٠٣، سنة ١٩٤٣، ص ٦٩.
(٦) الطبري ، تاريخ، ج٩،ص ٥٩، فتحي عثمان ، الحدود الإسلامية ، ج٢،ص ٢٠٦.

وهكذا نلاحظ أن هؤلاء السعاة إنتشر أمرهم ، وأصبح كل من الخلفاء والولاة والتجار وغيرهم يستفيدون ممن أوتي سرعة السير ، فيستخدمونهم في شؤونهم المستعجلة واشغالهم التي في تأخيرها فساد أمرهم .

وهناك نوع من السعاة يسمون الفيوج [١] جمع فيج ، وهم رسل البريد الذين ينقلون الأخبار والرسائل من بلد إلى آخر ولا يشترط في هؤلاء الفيوج أن يكونوا سعاة على أقدامهم دائما لان المسافات التي يقطعونها طويلة جداً مما يحتم عليهم ركوب الخيل أو الدواب لتأمين سرعة إيصال الرسائل [٢]إذ كانت الكتب تنقل من العاصمة بغداد إلى مصر في عهد أحمد بن طولون [٣].

ومما هو جدير بالذكر أن كثيرا من الناس اتخذوا التفيج كمهنة يرتزق منها ، والدلائل التاريخية على ذلك كثيرة ، منها ما أورده التنوخي لنا عن قصة الرجل البغدادي الذي خرج من بيته هاربا على وجهه بسبب سوء حاله ، حيث أتى جسر النهروان واستراح هناك وبينما هو جالس فإذا بفيج – الساعي – قد جاء ووضع مخلاته [٤] وعصاه ، ثم قال للبقال اعطيني كذا وكذا من خبز وتمر ، ثم فتح مخلاته فميز ما فيها من كتب ، فرأى فيها كتابا عليه إسم منزله ، واسمه وكنيته ، ولم يعرف كاتبه ، فقال للساعي هذا كتابي ، ثم جرى بينهما حديث طويل تأكد من خلاله أن الرجل البغدادي هو صاحب الكتاب ، وسلمه اياه وكان مع الكتاب سفتجه بمبلغ كبير من المال [٥].

ومما يدلل على ان التفيج مهنة يرتزق منها أيضا أن صاحب الشرطة ببغداد محمد بن عون وكان من قواد الامير محمد بن عبدالله بن طاهر ، رأى مناما ، وكان في حسبه فيج مظلوم وافى من المدائن في وقت ضيق ، فاتهم بأنه قتل رجلا ، وهو برئ من دمه ، وقد ضرب وحبس وقاتل الرجل غيره ، وكان معاشه من التفيج ، ففرج عنه [٦].

---

(١) الفيوج ، فارس معرب، وهو رسول السلطان على رجليه ، وقيل هو الذي يسعى بالكتب، الجمع ، فيوج، انظر ابن منظور ، ج١٠ ،ص ٩٦٢، مادة فيج ، فالفيج تطلق أصلاً على رسول السلطان الذي يسعى على قدميه، ثم أطلقت على كل من اتخذ نقل الرسائل صناعة، وتعني نقل الرسائل من بلد إلى آخر ، التنوفي ، الفرج ، ج٢ ص ٢٩٧، الجواليقي ، المعرب، ص ٢٣٤.

(٢) خالد جاسم الجنابي، البريد العسكري في العصر العباسي، مجلة المؤرخ العربي، ج١٤، عدد ٣٥، ١٩٨٨، ص ١٥٦.

(٣) الطبري ، تارخي ج٩،ص ٦٢٧.

(٤) المخلاة، كيس يجعل فيه العلف، ويعلق في عنق الدابة، ثم صرف الاسم إلى كل كيس يعلق في العنق وتوضع فيه الأشياء، والبغداديون يسمون المخلاة، عليقة نسبة إلى العليق التنوخي، الفرج بعد الشدة ج٢،ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٥) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٢،ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٦) التنوخي، المصدر السابق، ج٢ ص ٢٩٧-٣٠٠.

كما أشار التنوخي إلى أن شخصا كتب إلى كاتب السيدة أم المقتدر ، وطلب ضمان النواحي (الاهواز بزيادة ثلاثين ألف دينار بثلاث وسنين ، وانفذ الكتاب مع فيج فوافق وعقد الضمان فأنفذ إلى العامل سفتجه بألف دينار . (١)

نستنتج من الاشارات السابقة ، أن البريد في القرن الرابع الهجري لم يقتصر على حمل الرسائل بل كان يحمل إلى جانبها السفاتج والعقود المالية. اي انه يقدم خدمات لعامة الناس مقابل أجور تدفع من قبلهم.

ويبدو أن كثيرا من التجار إستفادوا من هؤلاء الفيوج بشكل خاص ، نظرا لما تتطلبه مصلحة التجار في معرفة أحوال الأسواق في المناطق والولايات المختلفة ، ومعرفة الأسعار فيها ، حيث أشار التنوخي إلى ذلك في قوله: أن أحد التجار البغداديين ويعرف بأبي عبدالله بن أبي عوف المروزي أصابته ضائقة شديدة ، فخرج وعدد من الجواري إلى بستان له على نهر عيسى ، ليرفه عن نفسه عدة أيام ، وأمر غلمانه أن لا يكاتبوه بشيء ، وفي طريقه إلى البستان إستقبله فيج ومعه كتب ، وكان قادما من الرقه فأراد أبو عبدالله المروزي أن يقف على كتبه ، وأخبار الرقة ، وأسعارها فتحايل عليه إلى أن اخذه إلى بستانه وأمر أحد غلمانه بسرقة كتبه ، ثم وقف على هذه الكتب فإذا هي كتب التجار في الرقة إلى أصدقائهم في بغداد ، يطلبون منهم أن يتمسكوا بما في أيديهم من الزيت وأن لا يبيعوا منه شيئا ، فإنه قد غلا عندهم وعز ، ويوصونهم أن يحفظوا ما في أيديهم، فأنفذ أبو عبدالله التاجر إلى وكلائه وطلب منهم أن يبتاعوا ما يقدرون عليه من الزيت ، ففعلوا ذلك حتى لم يبق في السوق شيء يفكر فيه ، والفيج ما زال مقيمًا عند التاجر ، ويأخذ في كل ليلة ثلاثة دنانير. وبذلك احتكر الزيت وحصل على أرباح كبيرة قدرت بعشرة آلاف دينار.(٢)

وعرف نظام البريد نوعا آخر من السعاة وهم الكوهبانية (٣):- أي أصحاب الأخبار المكلفون بنقلها بين قطعات الجيش ، وإعطاء الإشارات إلى أمراء الوحدات العسكرية لإحاطتهم علما بكل ما

---

(١) التنوخي، نشوار المحضرة ، ج١ ص ٢١١-٢١٦، السفاتج (الحولات) : مفردها سفتجة، وهي كتاب صاحب المال لعامله بإعطاء مال آخر. الزبيدي، تاج العروس ، ج٦ ص ٣٩، مادة سفتج.

(٢) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٣ص ٧٩-٨١.

(٣) الكوهبانية: جمع الكهبة ، وهي غبرة مُشرية – سواداً في الوان الابل ، قال ابو عمر والكهبة لون ليس بخالص في الحمرة وقال يعقوب: الكهبة لون يميل إلى الغبرة وقال الأزهري: لعله يستعمل في الوان السير ، انظر ابن منظور ج١٢ ، ص ١٧٥

يجري عند العدو . وقد لعب هؤلاء دوراً كبيرا في حروب بابك الخرمية ووقعة عمورية (١) . وكان هؤلاء الكوهبانيه يعتمدون في نقل أخبارهم على تحريك الأعلام فيقفون على مشارف الطرق وعلى المرتفعات ، وعند مشاهدتهم حركة غير إعتيادية يقومون بتحريك الأعلام بطريقة متفق عليها ، فيعرف قائد القطعة العسكرية مضمون الخبر (٢) ومن واجباتهم ايضا إعلام قائد الجيش عن كمائن العدو ودورياته ليتخذ الحيطة والحذر فكان الأفشين يفرق رجاله بالكوهبانيه ليفتشوا الأودية عسى أن يقعوا على مواضع الكمناء فيعرفها (٣) . وقد عمل الكوهبانية كأدلاء يرافقون القطعات المتقدمة ليدلوها على الطريق والمسالك الصحيحة . وتتكون الكوهبانية من الجنود الرجالة(٤)

ومن موظفي البريد ايضا الركابي والأمناء والبدال:-

- الركابي: الرسل الذين يركبون الدواب (٥) ، ويقومون بإرسال الكتب السرية إلى أصحابها(٦)

أما الأمناء فهو اسم أطلقه الخليفة المهدي (١٥٨ هـ /٧٧٤م) على رسله الذين يقومون بإيصال رسائله إلى عماله في الأقاليم المختلفة (٧) ، البدال (٨).

كما كان الديوان يحتوي على عدد من المجالس التي تنظم أعماله فكان هناك مجالس خاصة بالانشاء والتحرير والنسخ (٩) والاسكدار (١٠) ، فمما كان يساعد على تمشية أعماله وربما احتوى على مجلس مختص بأمر السكك والطرق المختلفة التي كانت منتشرة في أنحاء الدولة ، وذلك كي يبقى صاحب الديوان على علم تام بأحوالها وأخبارها (١١) .

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ص ٢٤ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٥، ابن الأثير الكامل ، ج٦ ، ص ٢٩ - ٣٠

(٢) الطبري ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص ٢٤

(٣) الطبري ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص ٣٦

(٤) الطبري ، المصدر السابق ، ج٩ ص ٤٥ -٤٦

(٥) ابن منظور: لسان العرب ، ج٥ ، ص ٢٩٥-٢٩٦ . مادة ركب

(٦) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية ص ٣١٤

(٧) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص ١٣٦ ، ابن الأثير ، الكامل ج٦ ، ص ٥٥

(٨) حسن الباشا ، دراسات في الحضارة الاسلامية ، ص ٥٦.

(٩) قدامة: الخراج ، ص ٧٧

(١٠) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ٤٢

(١١) قدامة : الخراج ، ص ٧٨-١٢٦ . السامرائي: المؤسسات ص ٢٦٩

ب - العلامة المميزة لعمال البريد:-

جرت التقاليد والعرف منذ القدم أن يكون لعمال البريد زي خاص بهم ، وعلامة خاصة يحملونها معهم لتشير إلى طبيعة عملهم ، ولتميزهم عن غيرهم من الموظفين [١].

وهذا ما نشاهده في وقتنا الحاضر فهناك كثير من المؤسسات سواء الحكومية أو الخاصة تتقيد بزي معين ، ويكون لها شعارات خاصة بها تميزها عن غيرها من المؤسسات.

وفيما يتعلق بعمال البريد في العصر العباسي ، فقد كانت العلامة المميزة لهم هي تعليق قطعة من الفضة على أكتافهم ، كتب على إحدى صفحاتها البسمله ، واسم الخليفة ، وعلى الصفحة الأخرى « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا» [٢].

ويبدو أنه كان للفيوج - وهم من عمال البريد - زي خاص بهم ، في العصر العباسي وهذا ما أظهرته بعض الروايات في مصادرنا العربية ، ولكنها لم توضح نوعية وشكل هذا الزي ، بل إكتفت بالقول زي الفيوج.

ففي سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م هرب سليمان بن مخلد أحد وزراء الخليفة المقتدر في زي الفيوج ، ودخل بغداد مستترا [٣] . وذكر الصابي أنه من كان يخشى على نفسه من ملاحقة السلطة له ، كان يهرب بزي فيوج [٤].

ومما تجدر إليه الملاحظة هو أن صاحب البريد في عهد الخليفة المطيع لله كان يرتدي السواد، عند دخوله إلى دار الخلافة[٥].

أما كيفية إعلان مواعيد سفر عمال البريد فقد كان يعلنها المنادون على أبواب المساجد والأسواق والمحلات العامة [٦]. وكان هذا التقليد سائدا منذ بداية الخلافة الراشدة ، حين حرص الخليفة عمر بن الخطاب على التقيد بمواعيد سفر البريد ، وطبقًا لهذا كتب إلى عماله في الأقاليم والولايات ، يأمرهم بالإعلان للناس عن مواعيد خروج البريد إلى المدينة ، كي يكتب من يشاء إليه ،

---

(١) السعداوي : نظام البريد ، ص ٧٥

(٢) القلقشندي: صبح الاعشا ، ج١٤، ص ٤١٦-٤١٧

(٣) مسكوية: تجارب الامم ، ج١ ، ص ١٤٠

(٤) الصابي: الوزراء ، ص٤٤.

(٥) الصابي: رسوم دار الخلافة، ص ٧٣-٧٤

(٦) السعداوي : نظام البريد ص ٧٥.

فمن ذلك أنه كتب إلى عامله بالبصرة كتاب يقول فيه :« يا فاتح نادي مناديه أن بريد المسلمين يريد أن يخرج ، فمن كانت له حاجة فليكتب» (١)

جـ - نفقات البريد:-

إن التطور الكبير الذي طرأ على ديوان البريد خلال العصر العباسي ، جعله يعد من المؤسسات الإدارية الكبرى ، والتي تتطلب أن تكون نفقاتها ضخمة وكبيرة لتغطية كافة مستلزمات هذه المؤسسة من خيول ، وبغال وعلوفه وعمال ... الخ.

فعندما تولى الخلافة هارون الرشيد خصص ٨ ملايين درهم من خزانة الدولة لهذا الغرض(٢)، وبطبيعة الحال فإن رواتب ومصروفات البريد بجميع موظفيه ومرافقه وخدماته كانت تصرف من بيت المال ، ونص على ذلك قاضي القضاة أبو يوسف في رسالته للخليفة هارون الرشيد «.... فتوليهم البريد والأخبار وأمر لهم الرزق من بيت مال المسلمين ليدر عليهم» (٣).

وقد ثار جدل كبير بين المؤرخين المعاصرين حول التقديرات التي أوردها ابن خرداذبة (٤) عن نفقات البريد في العصر العباسي. فقد ذكر أن نفقات الدواب وأثمانها وأرزاق الموظفين بديوان البريد بلغت ١٥٩.١٠٠ دينار في السنة وقد علق بعض المؤرخين (٥) على ذلك بأن هذا الرقم لا يمثل ميزانية البريد في الدولة كلها ولكنه على الأرجح ميزانية البريد في العراق فقط ، لأن تكاليف البريد في عهد الأمويين لاقليم العراق بلغت أربعة آلاف الف درهم ، لذلك فلا يعقل أن يكون الرقم الذي ذكره ابن خرداذبة ، هو نفقات البريد في الدولة العباسية كلها مع اتساع الخدمة البريدية في عهدها. وعلى هذا الأساس فان ما ذكره ابن خرداذبة يمثل نفقات البريد في إقليم العراق ، أما نفقات البريد في الولايات فكانت تدخل ضمن نفقاتها العامة(٦).

نستنتج مما سبق أن نفقات البريد في اقليم العراق في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك أثناء ولاية يوسف بن عمر على العراق كانت أربعة آلاف الف درهم (٧) . أما في العصر العباسي فقد بلغت

---

(١) الكتاني: التراتيب الإدارية ،ج١ ، ص١٩٢.

(٢) Ali - Mazaheri, Ortacagda Musulman Larin P. y 638.

(٣) ابو يوسف، الخراج ، ص ١٦٢

(٤) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٥٣.

(٥) سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي ، ص ٢٥٩.

(٦) السعداوي ، نظام البريد، ص ٨٠.

(٧) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٧٥.

نفقات اقليم العراق ١٥٩.١٠٠ ديناراً ، مما يشير إلى تطور ديوان البريد وعناية الخلفاء الأمويين والعباسيين بهذا الجهاز، لادراكهم اهميته البالغة على كافة المستويات السياسية والإدارية والاقتصادية.

أما بالنسبة لرواتب عمال وموظفي البريد : فقد كانت الدولة تمنح عمال البريد الرواتب المجزية ، وقد أشار إلى ذلك أبو يوسف في قوله: «ويجري لهم في الرزق من بيت المال وليدر عليهم.[١] وأكد هذا القول الحسن بن عبدالله بقوله أن البريد ولاية جليلة خطره ، ومتقلدها يحتاج إلى جماعة كثيرة وإلى المواد الغزيرة والتوسعه »[٢]، وذلك كي يبتعدوا عن الرشوة ، ويقوموا بنقل الأخبار الصحيحة دون تزوير .

ولم تشر المصادر إلى رواتب عمال البريد بالتفصيل. فقد قرر الخليفة المعتضد رواتب موظفي البريد وديوانهم وما يلزمهم في الشهر بمبلغ ١٥٠ ديناراً (٣) ، كما كان يجري على أصحاب الأخبار الرواتب الكبيرة فقد كان له في دار وزيره القاسم بن عبدالله صاحب خبر ، وكان يجري عليه كل شهر خمسين ديناراً(٤).

وفي عهد الخليفة المقتدر قدر ما يصرف لصاحب البريد مبلغ ٧٩،٤٠٠ ديناراً إذ عرف عن الخليفة المقتدر أنه كان سخياً جواداً ، وكان يجري على القضاه ومتولي الحسبة وأصحاب البريد مبالغ طائلة (٥).

كما كان الأمير أحمد بن طولون يغني من يقلده أمر البريد (٦) . وهذا أمر طبيعي لما عرُف عن الأمير أحمد بن طولون ، من أنه كان حريصا على معرفة الأخبار ، وكان له أصحاب أخبار على كل شيء.

كما أشار ابن حوقل (٧) في كتابه صورة الأرض ، إلى أن رزق صاحب البريد في خراسان

---

(١) ابو يوسف: الخراج، ص ٢٧٢
(٢) الحسن بن عبدالله: آثار الدول ، ص ٨٥
(٣) الصابي:الوزراء ، ص ١٥.
(٤) التنوخي ، الفرج ج٢ ، ص ٨٥-٩١ ، التنوخي ، نشوار ج٣ ، ٢٧٩-٢٨٣
(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ج١٣ ، ص ٤٦
(٦) البلوي: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٢٤.
(٧) ابن حوقل: صورة الأرض ، ق٢ ، ص ٢٨٩

وبلاد ما وراء النهر يماثل رزق القاضي والعامل على جباية الأموال من البنادرة ووالي المعونة ، بحيث لا ينقص رزق بعضهم عن بعض ولا يزيد فإذا كان للقاضي عطاء كان لصاحب البريد قسط كقسطه.

وهذا مؤشر واضح على أن رواتب عمال البريد في الجزء الشرقي من الدولة العباسية ، كانت مرتفعة ، فهو كرزق القاضي الذي يدر عليه الخلفاء الرواتب والعطايا الجزيلة ، كما أن صاحب البريد لا يقل مكانة عن القاضي وصاحب المعونة .

وعلى الرغم من أن إنشاء هذه المؤسسة الإدارية الكبرى ، والمتمثلة بمحطاتها وشبكاتها المزودة بالجمال والخيول قد كلفت ثمنا باهظا ، إلا أنها قد كفلت الأمن والإشراف الدقيق على الإدارة الحكومية في الدولة الإسلامية المترامية الأطراف.

وهكذا فإن المعلومات عن نفقات البريد في المصادر العربية قليلة ونادرة ، مما لا يتيح لنا رسم صورة واضحة عما كان يتقاضاه عمال البريد من رواتب ، وكيف كانت تغطى تلك النفقات إلا أننا ومن خلال بعض الأرقام التي وردت في المصادر والتي تدل على نفقات البريد ، نلحظ ارتفاع مصاريف البريد ، ومقدار إهتمام الدولة وعنايتها بتنظيمه.

المبحث الثاني: علاقة البريد بالأنظمة الإدارية والأقتصادية والعسكرية.

١. علاقة البريد بالأنظمة الإدارية : القضاء / المظالم / الشرطة.

أ. علاقة البريد بالقضاء

ب - علاقة البريد بالمظالم

جـ - علاقة البريد بالشرطة

٢. دور البريد في الحياة الاقتصادية.

٣. دور البريد في الاستخبارات العسكرية.

ب - علاقة البريد بالأنظمة الإدارية والإقتصادية والعسكرية:-

المبحث الأول : علاقة البريد بالأنظمة الإدارية:

اهتم العباسيون بأمر البريد وأولوه اهتماماً عظيماً. ومما يدل على ذلك قول أبي جعفر المنصور في أركان الملك الأربعة:- القاضي، وصاحب الشرطة ، وصاحب الخراج ، وصاحب بريد يكتب إليه بخبر هؤلاء على الصحة [١]. وهذا القول كافٍ لتحديد العلاقة بين كل من القاضي وصاحب الشرطة وصاحب البريد.

أ- العلاقة بين البريد والقضاء.

القضاء في الاصطلاح :- فصل الخصومات ، وقطع المنازعات [٢] . ولما كان القضاء متعلقاً بفصل الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع وفق الأحكام الشرعية المتلقاه من الكتاب والسنة ، أصبح مندرجاً في وظائف الخلافة [٣].

وقد كان للقضاء أهميته في كيان الدولة الإسلامية ، منذ نشأتها الأولى في المدينة المنورة بإعتباره ركناً أساسياً لقيام دولة متكاملة البناء والتنظيم. كما حظيت وظيفة القضاء بإحترام عظيم من قبل العباسيين ، فالقضاء عمود السلطان وقوام الأديان [٤] ، واعتبر القضاة نواباً للخليفة ، ينفذون دستوره ، ووكلاءه الذين يصرفون أعماله [٥]، ويجب على الخليفة أن يشد أزرهم ، ويسندهم ويحفظ لهم دمائهم وبيوتهم وأن لا يهمل أمرهم ، لان سير أمور الدولة وصلاح الرعية بأيديهم ، ولهم الحكم على الأرواح والفروج وأمور الدين والدنيا ، كما يجب عليه أن يمتحنهم في مجلسه ، ويسألهم عن أمور دينهم ودنياهم ، ويجعل عليهم عيناً. والدليل على ذلك أن الخليفة المنصور اعتبر القاضي أحد أربعة أركان لا يصلح الملك إلا بهم، أما أحدهم فقاضٍ لا تأخذه في الله لومة لائم [٦] ، كما اهتم المنصور بأمر قضاته فكان يتتبع أخبارهم بواسطة عيونه ، وكان عمّال البريد يكتبون له بكل ما يقضي به القاضي في ولاياته.[٧]

---

(١) الطبري تاريخ ، ج٨ ، ص ٦٧، الطرطوشي ، سراج ، ص٢٠٢ ، ابن العمراني ، الأنباء ، ص٦٢، ابن الجوزي المنتظم، ج٧ ص ٣٤٧ ، ابن الأثير ، الكامل ،ج٥، ص٢٢١ ، .

(٢) الماوردي: الأحكام السلطانية ، ص ٧٧ ، القلقشندي : مآثر ، ج١ ، ص ٧٧.

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٢

(٤) التنوخي: نشوار المحاضرة ، ج١ ، ص٢٤٥ ، ابن الجوزي : المنتظم ، ج١ ، ص ٩٧.

(٥) نظام الملك: سياسات نامة ، ص٧١

(٦) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص ٦٧، الطرطوشي سراج،ص٢٠٢، ابن العمراني، أنباء ص ٦٢، ابن الجوزي ، المنتظم ،ج٧ ، ص ٣٤٧، ابن الأثير،ج٥، ص ٢٢١.

(٧) الطبري ، ج٨، ص ٩٦ ، ابن الجوزي: المنتظم ، ج٧ ، ص ٣٤، الأربلي خلاصة ، ص ٦١-٦٢.

وقد استمر الخلفاء العباسيون بهذه السياسة للتعرف على احوال القاضي في السر والعلانية [١]. إذ أشار قدامة بن جعفر إلى ان من ضمن اختصاصات ولاة البريد الكتابة عن احوال القضاة في سيرهم وأحكامهم وسائر ما يتعلق بهم ، وأن يصنفوا اخبارهم في كتب خاصة بهم[٢]. كما نصح القاضي ابو يوسف الخليفة هارون الرشيد في الرسالة التي وجهها له أن يحذر من تعيين قضاة السوء ، وتعيين أصحاب بريد عليهم يكتبوا إليه بكل ما يحدث ، ويتوعدهم عند ستر أي شيء في أخبارهم ومما روي بهذا ، الصدد أن صاحب البريد كتب إلى الخليفة هارون الرشيد «ان في يد قاضي البصرة أرضين كثيرة ، فيها نخل وشجر ومزارع ، وان غلة ذلك تبلغ شيئاً كثيراً في السنة ، وقد صيرها في أيدي وكلاء من قبله يجري على الواحد منهم الفاً والفين ، وأكثر وأقلّ. وليس أحد يدعى فيها دعوى ، وأن القاضي ووكلائه يأكلون ذلك .... وطالت به المدة ولم يأتي أحد يطلب فيه حق ، وقد امسك القاضي عن الكتابة إليك في ذلك» . إذ طلب صاحب البريد من الخليفة أن يكلف ولاته بمحاسبة هذا القاضي ، وأخذ ما بحوزته من غلاّت لبيت مال المسلمين[٣].

كما أن إستخبارات الخليفة المأمون على قضاته ، وتتبع أحوالهم وسيرهم لم تكن اقل شأناً ، وذلك لما عُرف عن الخليفة المأمون ، من حرصه على معرفة الأخبار. وبسبب كون القضاء عنصراً مهماً من عناصر الدولة، وأحد أركانها الأساسية ، فلا بد أن توجّه له العناية الفائقة. لهذا كان له أصحاب أخبار وعيون على قضاته[٤] . ولم يكتف بذلك ، بل كان لا يخفى عليه كل أمر يتعلق بهؤلاء القضاة، وما يدخرون ، وما ينفقون [٥] . وقد كتب المأمون سنة ٢١٨ هـ إلى إسحاق بن إبراهيم في امتحان القضاة والمحدثين ، وقد أنفذ كتابه في خريطة بريدية [٦].

ويبدو أن صاحب البريد كان يحضر مجالس القضاء ، مما أثار سخط بعض القضاة. فقد طرد قاضي مصر في عهد الخليفة المأمون صاحب البريد ، محتجاً على ذلك بقوله «هذا مجلس أمير المؤمنين ليس يجلس فيه أحد إلا بأمره» [٧] ، وعندما رفع الأمر إلى المأمون عالج الموضوع ، واقتنع القاضي بقبول صاحب البريد في مجلسه. ويبدو أن الذي أثار سخط القاضي هو تدخل صاحب

---

(١) البيهقي : المحاسن والمساوئ ، ص ١٥١ .

(٢) قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٥٠-٥١ ، الجياري:الدواوين، ص٤٠

(٣) ابو يوسف: الخراج، ص ٢٧١.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ، ج٣، ص٤٢٤. شمس الدين بن طولون: قضاة دمشق ، ص١٦

(٥) البيهقي: المحاسن والمساوئ ، ص ١٥٠-١٥٢

(٦) الطبري ، ج٨ ، ص٦٢٤. ابو الفداء: المختصر ، ص٣٠-٣١

(٧) الكندي: الولاة والقضاة ص٤٤٤-٥٤٤

البريد بسلطة وصلاحيات القاضي، وهو مما لا يدخل ضمن اختصاصات صاحب البريد. فكل ما عليه هو كتابة ما يسمع وما يرى فقط. وقد ذكر يزيد بن عمران صاحب البريد بمصر من قبل الخليفة هارون الرشيد، بأنه شفع إلى الحزمي قاضي مصر في خصم ، فكتب إليه القاضي : ما انت والقضاء ، عليك تدبر دوابك وبراذعها وكنس زبولها.[١] كما كتب صاحب بريد مصر إلى القاضي أبي الطاهر عبد الملك بن محمد بن أبي بكر «بأنك تبطئ بالجلوس للناس .....» فكتب إليه القاضي أبو الطاهر:- «إن كان أمير المؤمنين أمرك بشيء ، وإلا فإن في أكفك وبراذعك ودبر دوابك ما يشغلك عن أمر العامة[٢] ».

وهذا يشير بوضوح على التصادم بين سلطة القاضي وسلطة صاحب البريد وتجاوزه . كما أن الخليفة المتوكل كان له أصحاب أخبار في مجالس القضاء [٣].

وهكذا ، فقد كان لا بد من التعرف على أحوال القضاة واحداً واحداً ، والإبقاء على العلماء والزهاد والأمناء ، وعزل كل من لا يتصف بهذه الصفات ،وتعيين من هو أصلح مكانة بناءاً على التقارير التي يرفعها أصحاب البريد والأخبار عن هؤلاء القضاة ، كما ويجب أن يكون للقاضي راتب شهري يكفيه أمور معاشه، حتى لا تكون به حاجة إلى الخيانة كما هو الحال بالنسبة لصاحب البريد ، وأن يوسع عليهم في الرزق لأن دماء المسلمين وأموالهم بيدهم [٤].ولم تقف علاقة البريد بالقضاء عند هذا الحد بل استخد م البريد في نقل هؤلاء القضاة إلى الخليفة.[٥]

---

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٨٤

(٢) الكندي: المصدر السابق ، ص ٢٨٥

(٣) التنوخي:نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص ١٥

(٤) نظام الملك: سياسات نامة ، ص ٦٨

(٥) شمس الدين بن طولون ، قضاة دمشق ، ص ١٦

ب - علاقة البريد بالمظالم:-

إن النظر في المظالم من الأعمال القضائية الهامة ، وقد عرفها الماوردي بـ قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاهد بالهيبة[١] . وكانت من أعلى الوظائف وأرفعها رتبة. يقول عنها ابن خلدون :أنها وظيفة ممتزجة من سطوة السلطة ونصفة القضاء وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة [٢]،ويتولى ناظر المظالم النظر في قضايا الظلم والتعدي والفساد التي يرتكبها رجال الدولة ، مما يعجز عنه القضاء ، لينظر فيها من هو اقوى يداً [٣]وكان النظر في المظالم معروفا قبل العباسيين ، فترد إشارات إلى نظر الراشدين [٤] ، وبعض الأمويين [٥] في المظالم ، ولكن ذلك كان يعتمد على الخليفة وظروفه .

ولما جاء العباسيون اهتموا بالنظر في المظالم ، لتأكيد مفهوم العدل أمام الناس [٦] . وبما أن مهام صاحب البريد والأخبار هي مراقبة عمال الولايات وموظفي الدولة من وزراء وقضاة وولاة وحكام ، ورفع تقارير مفصلة عن سير أعمالهم وتجاوزات هؤلاء الولاة وعسفهم وظلمهم للرعية، فإن دور البريد في هذه الحالة يأتي بإعتباره وسيلة لنقل الأخبار ليقوم برفع تظلمات الناس ، والرعية من ظلم وجور الولاة والقضاة وغيرهم إلى الخليفة ، كي يقوم بدوره برفع الظلم عن المظلومين ، ومعاقبة الظالمين ليكونوا عبرة لغيرهم [٧].

إذ أن صاحب البريد والأخبار ، له اليد الطولى في متابعة أخبار وأحوال الرعية وتظلماتهم من تعديات الولاة والقضاة ، ونقل ذلك إلى الخليفة مباشرة. [٨] وبما أن من واجبات ومهام صاحب المظالم تصفح أحوال الولاة ، ومنع تعديهم على الرعية و منع انحرافهم عن طريق العدل والإنصاف ، ومن واجبات صاحب البريد والأخبار ، مراقبة هؤلاء الولاة وموظفي الدولة وطريقة تعاملهم مع الرعية والعامة ، ورفع ذلك إلى الخليفة أو إلى من يقوم مقامه ، وبناءاً على ذلك تكون الرابطة بين كل من البريد وولاية المظالم هي قيام صاحب الأخبار بجمع تظلمات الناس وسماع شكواهم ومن ثم رفعها إلى من يختص بذلك سواء الخليفة أو والي المظالم. [٩]

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية ، ص٧٧ . القلقشندي: مآثر ، ج١ ، ص ٧٨
(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٩٢.
(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٩٣.
(٤) الماوردي: الأحكام ، ص ٧٨. ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٩٣ .
(٥) وكيع : أخبار ، ج٢ ، ص ١٨. الماوردي: أحكام ، ص ٧٨.
(٦) وكيع:أخبار، ج٣، ص٢٤١
(٧) الطبري، تاريخ ، ج٧، ص١٢-١٤،
(٨) الطبري ، تاريخ ،ج٧ ، ص١٢-١٤
(٩) ابو يوسف: الخراج ، ص ٢٧١

جـ - علاقة البريد بالشرطة:-

إن علاقة أصحاب البريد بأصحاب الشرطة لا تقف عند حد مراقبة أولئك لهؤلاء ، بل تتجاوزها إلى التعاون على دعم الأمن في البلاد ، والقبض على المجرمين أينما كانوا [١] إذ أن صاحب البريد وأعوانه المنتشرين في كافة أرجاء الدولة ، والمدرجين في ديوان الأخبار يتولون إضافة إلى نقل البريد من وإلى دار الخلافة ، تدوين ملاحظاتهم ومعلوماتهم وأخبارهم في تقارير تقدم بصفة دورية ومستمرة إلى الخليفة أو الوالي. وتشمل معلومات مفيدة عن تحركات قطاع الطرق والثوار ومحدثي القلاقل وغيرهم [٢].

وكثيرا ما يكون صاحب البريد وأعوانه ، عوناً لصاحب الشرطة وخاصة في استقصاء أخبار المجرمين ، وتحركات أصحاب المذاهب السياسية ، ومن يخشى جانبهم على أمن الدولة ، فهم من هذه الناحية أشبه بالشرطة السرية اليوم. ومن هنا نعلم أن البريد كان دعامة من دعائم الأمن في البلاد.[٣]

وفي عهد بولاية البريد والذي يرجع إلى سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م نجد عدة أوامر من بينها ، أمر نص على وجوب الكتابة في شأن الحكام وعلاقاتهم بالرعية، وأن يفرد لكل ما يكتب فيه من أصناف الأخبار كتباً بأعيانها لأخبار القضاة ، وعمال المعاون والشرطة ، والأحداث ... ونحو ذلك ليجري كل كتاب في موضعه [٤].

وكان القصد من تتبع الناس وتلقط أخبارهم ، ضبط اللصوص والعياريين ومثيري القلاقل وأعمال الشغب بالدرجة الأولى ، وتروى العديد من القصص والحكايات التي تدل على مهارة العيون والجواسيس في التعرف على المجرمين واصطيادهم ، بحيل ومكايد تدل على حذق ودراية تامة [٥].

وقد وجه الخلفاء العباسيون عنايتهم للشرطة السرية. بحيث كانت لهم عيون تنبث في كل مكان ، حتى في السجون كي تأتيهم بأخبار المجرمين ومعارضي سياستهم أولاً بأول ، ولم يكتفوا بالقبض على المجرم ووضعه في الحبس. بل جنّدوا أصحاب الأخبار والعيون لمعرفة ما يدور داخل

---

(١) الرحموني: نظام الشرطة ص ١٤١.
(٢) محمد إبراهيم عمر الأصبيحي: الشرطة في النظم الإسلامية ، ص ١٢٦.
(٣) الرحموني: نظام الشرطة في الإسلام ، ص ١٤١
(٤) قدامة: الخراج ، ص ٥٠-٥١ ، الحياري : الدواوين ، ص ٣٩
(٥) البلوي: سيرة أحمد بن طولون ، ص ١٥٦-١٥٧ ، الحسين بن عبدالله : الآثار الأول في ترتيب الدول ، ص ٧٩-٨٠

السجون ، وكانوا يقومون بزيارات مفاجئة لمعرفة أخبار المحبوسين [١].

وكان لكل من الخلفاء العباسيين المأمون [٢] ، والواثق [٣] والمقتدر بالله [٤] أصحاب أخبار في السجون ، إذ كانوا يتفقدون أحوال المسجونين ، ويرفعون أخبارهم إلى الخلفاء من أجل رفع الظلامات عن المظلومين. وكان الخليفة المقتدر بالله يختار صاحب خبر المحبوسين من الأخيار ، ويعهد اليه أن يدخل الحبوس ويرفع إليه تقارير عن أحوال المحبوسين وما يدور داخل السجون[٥]

وعني الأمير أحمد بن طولون منذ آل إليه حكم بلاد الشام ومصر بتكوين جهاز للشرطة السرية ، إذ كانت له عيون في كل مكان حتى في السجون ، وتأتيه بأخبار المجرمين ومعارضي سياسته أولاً بأول [٦].

وقد أورد أبو المغيث الحسين صاحب ديوان الحلاّج بيتاً من الشعر ذكر فيه كل من السّجان والأعوان ، وصاحب الخبر ويتبين لنا من خلاله مدى العلاقة التي تربط بينهم ، والتي تساعد على الكشف عن المجرمين والقبض على الهاربين من وجه السلطة ، وقد تمثل ذلك بقوله:-

من بعد ما حضر السجان واجتمع الأعوان واختط اسمي صاحب الخبر[٧]

أرجو لنفسي براءً من مجيئكم ؟! إذا تبرأتُ من سمعي ومن بصري

ويبدو أن صاحب البريد والأخبار في بعض الأحيان كان يتدخل في مهام وصلاحيات صاحب الشرطة ، وهذا ما حدث في خلافة المأمون عندما عين إبراهيم السندي صاحب خبر ببغداد، وعياش بن القاسم صاحب شرطة. وأثناء ذلك تدخل إبراهيم بن السندي في مهام عياش بن القاسم ، الأمر الذي

---

(١) الجهشياري : الوزراء ، ص ٢٤٥-٢٤٧.
(٢) اليعقوبي: تاريخ ، ج٢ ، ص ٤٥٩.
(٣) التنوخي: المستجاد من فعلات الأجواد ص ٨٥.
(٤) التنوخي: الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، ص ١٥٠.
(٥) التنوخي ، المصدر السابق، ج٢، ص ١٥٠.
(٦) البلوي: سيرة أحمد بن طولون ، ص ١١٤-١١٦.
(٧) أبو المغيث الحسين بن منصور: ديوان الحلاج ، ج١ ، ص ٢١٠

السجون ، وكانوا يقومون بزيارات مفاجئة لمعرفة أخبار المحبوسين [١].

وكان لكل من الخلفاء العباسيين المأمون [٢] ، والواثق [٣] والمقتدر بالله [٤] أصحاب أخبار في السجون ، إذ كانوا يتفقدون أحوال المسجونين ، ويرفعون أخبارهم إلى الخلفاء من أجل رفع الظلامات عن المظلومين. وكان الخليفة المقتدر بالله يختار صاحب خبر المحبوسين من الأخيار ، ويعهد اليه أن يدخل الحبوس ويرفع إليه تقارير عن أحوال المحبوسين وما يدور داخل السجون[٥]

وعني الأمير أحمد بن طولون منذ آل إليه حكم بلاد الشام ومصر بتكوين جهاز للشرطة السرية ، إذ كانت له عيون في كل مكان حتى في السجون ، وتأتيه بأخبار المجرمين ومعارضي سياسته أولاً بأول [٦].

وقد أورد أبو المغيث الحسين صاحب ديوان الحلاّج بيتاً من الشعر ذكر فيه كل من السّجان والأعوان ، وصاحب الخبر ويتبين لنا من خلاله مدى العلاقة التي تربط بينهم ، والتي تساعد على الكشف عن المجرمين والقبض على الهاربين من وجه السلطة ، وقد تمثل ذلك بقوله:-

من بعد ما حضر السجان واجتمع الأعوان واختط اسمي صاحب الخبر[٧]

أرجو لنفسي براءً من مجينكم ؟! إذا تبرأتُ من سمعي ومن بصري

ويبدو أن صاحب البريد والأخبار في بعض الأحيان كان يتدخل في مهام وصلاحيات صاحب الشرطة ، وهذا ما حدث في خلافة المأمون عندما عين إبراهيم السندي صاحب خبر ببغداد، وعياش بن القاسم صاحب شرطة. وأثناء ذلك تدخل إبراهيم بن السندي في مهام عياش بن القاسم ، الأمر الذي

---

(١) الجهشياري : الوزراء ، ص ٢٤٥-٢٤٧.
(٢) اليعقوبي: تاريخ ، ج٢ ، ص ٤٥٩.
(٣) التنوخي: المستجاد من فعلات الأجواد ص ٨٥.
(٤) التنوخي: الفرج بعد الشدة ، ج٢ ، ص ١٥٠.
(٥) التنوخي ، المصدر السابق، ج٢، ص ١٥٠.
(٦) البلوي: سيرة أحمد بن طولون ، ص ١١٤-١١٦.
(٧) أبو المغيث الحسين بن منصور: ديوان الحلاج ، ج١ ، ص ٢١٠

دعاه إلى القول « إنما أنت صاحب خبر تكتب ما تسمع وما ترى ، وليس لك أن تتكلم في مجلسي وأمري ونهي، فإن أمسكت وإلا أمرت من يجر برجلك حتى يرمي بك في نهر دجلة.[١]

ولم يقتصر التعاون بين جهاز الشرطة وجهاز البريد على الناحية الاستخبارية فحسب بل استخدم البريد من أجل إحضار أصحاب الشرطة ، لحاجة الخليفة لهم فقد أرسل الخليفة هارون الرشيد بريداً إلى صاحب شرطة بغداد ويدعى السندي بن شاهك من أجل القبض على البرامكة[٢]

٢- دور البريد في الحياة الاقتصادية:-

لعب البريد دورا فاعلاً في الحياة الاقتصادية خلال العصر العباسي ، إذ لم تعد تقتصر واجبات صاحب البريد وعماله الإشراف على النواحي الإدارية والسياسية والعسكرية فحسب ، بل تعدتها إلى النظر في كافة نواحي الحياة الإقتصادية. فكان من واجبات عمال البريد في الأقاليم، « أن يتعرفوا على حال عمال الخراج والضياع ، فيما يجري عليه أمرهم ، وأن يتتبعوا ذلك وينهوه على حقه وصدقه ، وأن يعرفوا حال عمارة البلاد وما هي عليه من الكمال والاختلال .... وأن يتعرفوا ما عليه حال الضرب وما يجري عليه ... ويكتبوا بذلك ، وأن يكون ما ينهيه من الأخبار مما يوثق بصحته ولا يدخل بشبهه» [٣].

فهو بذلك يلزمه الأخبار بما فعله العمال في ولاياتهم من صحيح وفاسد [٤] ، وعليه تقديم تقارير سرية ودورية عن حالة الولايات وحال الفلاحين والزراعة ، وعن حالة المناجم وكمية الذهب والفضة [٥].

وكان الخلفاء العباسيون يولون الجانب الاقتصادي اهتماماً كبيراً إذ وجه الخليفة المنصور استخباراته على موظفي وعمال المؤسسات الاقتصادية ، فكان ولاة البريد في الافاق كلها يكتبون إليه في كل يوم بسعر القمح والحبوب وبسعر كل مأكول... فإذا وردت كتبهم نظر فيها فإذا رأى الأسعار

---

(١) ابن طيفور . بغداد، ص ٤٢-٤٣ .

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ، ج١ ، ص ٣٣٧.

(٣) قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص ٥٠-٥١

(٤) محمد طبيلة: نظام الإدارة في الإسلام ، ص ١٧٢.

(٥) مولى حسيني: الإدارة العربية ، ص ٣٣٢

على حالها أمسك ، وإن تغير منها شيء عن حاله كتب إلى العامل والوالي هناك ، وسأله عن العلة ، فإذا ورد الجواب تلطف حتى يعود سعر ذلك الشيء على حاله [١].

وهكذا فقد كانت الأخبار تصله عن أحوال الزرع والاسعار ، مما يساعده على اتخاذ الاحتياطات المناسبة ضد أي نقص في الغلات [٢].

فالمنصور كانت عينه ساهرة لا تنام عن عماله ، وما يأتون به في أعمالهم من خير أو شر ، وعمال البريد هم واسطة العقد بين الطرفين ، فهم أداة للإصلاح الاجتماعي في ذلك الوقت - إذا صدقوا .

وكان أصحاب الاخبار عيونا على عمال الخراج ، فقد كان للخليفة المعتصم بالله أصحاب أخبار على عمل الخراج ، وكان يقوم بمعاقبة كل من يتقاعس عن عمله [٣]

وفي خلافة المتوكل على الله كان أصحاب الأخبار منتشرين داخل ديوان الخراج ، لموافاة الخليفة بكل ما يرد بيت المال ، وما يخرج منه ، وما يحدث داخله من صغيرة أو كبيرة [٤].

ولم يقتصر استخدام أصحاب الأخبار من قبل الخلفاء أنفسهم ، بل أن الوزراء أيضا كان لهم أصحاب أخبار على عمال الخراج. فهذا الوزير أبي الحسن علي بن الفرات رفع إليه صاحب خبره من أنه قام بضرب أحد عمال الخراج لتقاعسه عن عمله [٥]. فقام الوزير بمعاقبة صاحب الخبر ، وطلب منه أن يقوم بواجبه فقط وهو أن يكتب ما يسمع وما يرى وليس من حقه أن يقوم بضرب هذا العامل لان ذلك ليس من صلاحياته وإختصاصاته.

وفي خلافة المقتدر بالله ورد كتاب صاحب البريد يذكر فيه بأن عامل الخراج بكرمان وسجستان شق طاعة السلطان وادّعى أميرا وجمع الناس إلى نفسه ، فطلب ، المقتدر من أحد قواده بمحاربته [٦].

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص٩٦. ابن الجوزي: المنتظم ، ج٧ ، ص ٣٤١-٣٤٢. الأربلي:خلاصة الذهب المسبوك ، ص٦١-٦٢

(٢) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١٠-١١.

(٣) التنوخي: نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص ١٥. ابن الجوزي: المنتظم ، ج١١ ، ص ١٩٢.

(٤) الصابئ: الوزراء ، ص ٢٨١

(٥) ابن العمراني ، الانباء ، ص ١٤٢

(٦) عريب بن سعد ، صلة الطبري ، ص ٥٨

ومن عجيب أخبار احمد بن طولون انه لما قلد أحمد إبراهيم الأطروشي خراج مصر جعل يتجسس عليه لمعرفة أخباره أولاً بأول. [١]

واستمر الاهتمام بالاستخبار عن النواحي الاقتصادية في عهد البويهيين حيث وجه الأمير البويهي عضد الدولة إستخباراته لمعرفة الاحوال الاقتصادية ولا سيما حالة المزارعين[٢]

لقد أشرت فيما سبق أن مهمة عمال البريد لم تقتصر على نقل الأخبار الرسمية بل كانوا بمثابة العيون المبصرة والآذان السامعة للحكام ، ولذلك ينبغي عليهم أن يحضروا مجالس الناس وولائهم ، ومجالس الوعظ والاسواق ، إذ يجري في هذه الأماكن ما يجب الاطلاع عليه [٣].

وقد عُرف عن الخليفة المأمون انه كان يسأل عن أمور الناس وما يصلحها ، فرفع إليه في شهر رمضان أن التجار يعتدون على ضعفاء الناس ويغشونهم في الأوزان . فغضب من ذلك ، وجند أصحاب أخباره لموافاته بالأخبار اولاً بأول[٤] .

لهذا لا بد من تواجد أصحاب الأخبار في الأسواق لمنع تلاعب التجار في الأوزان والمكاييل ولوضع حد لحالات الغش والفساد ونتيجة لذلك فقد كان الخليفة المعتضد حريصاً على معرفة ما يجري في الأسواق ، فبث أصحاب الأخبار فيها لنقل كافة الأحداث بداخلها[٥].

وقد عني الخلفاء عناية فائقة بمراقبة دور الضرب وكانت من واجبات عمال البريد مراقبة دور الضرب ، والتعرف على ما يجري فيها لمنع حدوث التزوير والغش [٦].

كما وجه الأمراء البويهيون عنايتهم لمراقبة دور الضرب حتى أنهم كانوا يعينون قضاة يشرفون على العيار بدور الضرب[٧] ويذكر ياقوت أن القاضي التنوخي كان قاضيا وناظرا لدار الضرب ببغداد [٨] .

---

(١) البلوي : سيرة احمد بن طولون ، ص ١٦١-١٦٢

(٢) ابي شجاع: ذيل ، ج٣ ، ص ٥١

(٣) الحسن بن عبدالله : آثار الاول ، ص٨٥

(٤) ابن طيفور، بغداد ، ص ١٩.

(٥) ابن العمراني ، الانباء ، ص ٤٢

(٦) قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٥٠-٥١

(٧) التنوخي : الفرج بعد الشدة ، ج١ ، ص ٢٢

(٨) ياقوت : معجم الادباء ، ج١٤ ، ص ١١١ - ١١٤

وعلى هذا الأساس بثت الدولة العيون والأرصاد لمراقبة طريقة ضرب النقود داخل العراق وخارجه، وزودت ولاة الأقاليم بتوصيات خاصة في كيفية الإشراف على دور الضرب، وانزال العقوبات الصارمة على المخالفين، فيذكر التنوخي أن معز الدولة أمر بقتل رجل من الأهواز يعرف بإبن كروم ، لأنه ضرب دنانير رديئة وأنفذها إلى البصرة ليشتري بها الدواب ، فلم يتعامل بها ، ولما علم معز الدولة أمر بقتله. [١]

نستشف من الاشارات السابقة أن مهمة صاحب البريد الاقتصادية ، لا تنحصر فقط في مهمة مراقبة الأسعار والإخبار عنها ، بل تشتمل على مراقبة الزراعة وحالتها والإخبار عنها أولاً بأول. وذلك لو فرض وحدث أن أتلفت تلك الزراعة لأي سبب من الأسباب الإتلافية سواء أكانت أمطاراً أو جراداً أو دواباً ، فإن الإخبار عن ذلك يجعل الخليفة يحتاط عن طريق توفير المواد الغذائية

كذلك على صاحب البريد الإخبار عن الأمطار ومدى توفر نزولها ، وعن الفياضانات وما تسببه من أضرار ، والإخبار عن الأنهار وما فيها من بثوق وغير ذلك .

علاوة على ذلك يلزمه إبلاغ الخليفة بحالة المزارعين ، وما يحتاجونه من دواب وبذور والات حرث. كذلك عليه إخبار الخليفة بوقت نضوج المحصول ومدى جودته من رداءته ثم الإخبار عن مدى العدل والعسف في جمع الضرائب [٢] . بالإضافة إلى المحافظة على أموال الدولة. [٣]

كما إهتم الخلفاء وكبار رجال الدولة الإسلامية بالصناعة إهتماما كبيرا وعملوا على تشجيعها وتقدمها ، على إعتبار أنها مورد هام من موارد الثروة. فعملوا على وضع القواعد الدقيقة لتنظيمها والإشراف عليها ، وعهدوا إلى بعض الموظفين بمراقبة هذه الصناعات والعمل على منع الغش والتلاعب فيها ، ويتجلى ذلك في عهود الخلفاء للولاة والعمال الذين كانوا يولونهم الاقاليم المختلفة، فقد كتب الخليفة الطائع لناصر الدولة الحمداني ، حيث ولاه الجزيرة الفراتية والموصل وما جاورها ، يطلب منه مراعاة أمور العوام في المتاجر والصناعات ومنعهم من الغش والتدليس والتزوير [٤] . وهذا لا يكون إلا بوجود أصحاب أخبار في هذه المتاجر لرفع حالات التزوير والغش إلى الخلفاء لأخذ الإجراءات اللازمة لذلك.

---

(١) التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج١ ، ص ٧٢

(٢) حسيني مولوي: الإدارة العربية ، ص ٣٣٤

(٣) ابي شجاع : ذيل تجارب الأمم ، ج٣ ، ص ٤٦-٤٧

(٤) الصابي : المختار من رسائل الصابي، ص ٢٠٤.

٣- دور البريد في الإستخبارات العسكرية:-

كان للضرورات العسكرية دور فعّال وإيجابي في دفع عملية وتطوير البريد من الناحية العسكرية ، فقد ساهم البريد العسكري الذي بلغ درجة عالية من السرعة والدقة والتنظيم في تحقيق الانتصارات على جيوش الاعداء ، والقضاء على الحركات المناوئة للدولة[١] .

وشملت عملية الإستخبارات أثناء الحروب والمعارك ، بث العيون والجواسيس بين صفوف الأعداء ، للحصول على معلومات عن قواتهم ومواقعهم ومدى استعدادهم للحرب ، ويقال للشخص الذي يتسقط اخبار العدو ويبحث عن مواقع ضعفه «العين» و«الربئ» و«الجاسوس» إذ كانوا يتنكرون ويستترون ليحصلوا على ما يحتاجونه من معلومات في ترتيب خططهم [٢] .

وكان القادة يستعينون بهؤلاء الأدلاء والعيون ليقدموا لهم المعلومات التي يريدونها عن الطرق التي توصلهم إلى العدو، او للسير في مقدمة الجيش للوصول إلى المكان المطلوب ، إذ كان لهم أهمية كبيرة في القتال ،فكان القائد إذا علم أن العدو يريد أن يقصده ، تجرد للقائه ،وتقدمته الجواسيس الثقات ليكشفوا له الأخبار ، ويختاروا له المنازل ، ليعلم إذا سار إلى أين ينزل، ولئلا يبقى حائرا، فربما نزل بأرض قليلةالماء والعلف فيحيط به العدو فيهلكه.[٣]

وقد أشار ابن خرداذبه [٤] إلى واجبات صاحب البريد العسكرية :-

الألمام التام بالطرق والمنافذ وصيانتها ، معرفة طرق الأعداء ومناطق تقربهم وتسللهم، ومن ثم معرفة حيل الجواسيس في الدخول والخروج والتخفي .

ويبدو أن الهدف من معرفة هذه الطرق ومنافذها سككها إلى جميع المناطق والأطراف كان عسكريا بالدرجة الأولى ، حتى إذا دعت الضرورة خروج الخليفة إلى أي منطقة من بلاد الاسلام ، أو إنقاذ جيش في مهمة إلى منطقة ما ، قدّم له صاحب ديوان البريد سجلاً وافياً للطريق التي ستسلك ، مع وصف للاماكن والسكك فيها ، وما يتوفر فيها من ماء ، وغذاء وعشب للرعي ، وإلى غير ذلك من

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٩ ، ص ٨-٩ ،ابن اعثم ، ج٣ ، ص ٤٦٧ ، مسكوية ، تجارب ، ج٦ ، ص ٧١ ابن الجوزي، المنتظم ، ج١١ ، ص ٤٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ١٦ ، . ابن تغري بردي ، النجوم، ج٢ ص ٢٨٠ ،

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، ج٩ ، ص ٧

(٣) الهروي ، التذكرة الهروية ، ص ٨٧

(٤) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٨٤-١٨٥

الأمور التي تحتاج اليها . (١)

إن معرفة أخبار العدو لازمة لكل جيش سواء أكان ذلك قبل الاشتباك الحربي ، أم خلاله . فمن خلال العيون والجواسيس ، يتمكن القائد من معرفة نيّات عدوه ، ويحصل على معلومات. تفيده في وضع خططه ، وهي مهمة عند الأمم كلها ، والمسلمون عرفوا قيمة ذلك في حروبهم (٢). فالتخطيط السليم للمعركة يتوقف إلى حد كبير على معرفة نوايا وأسرار العدو (٣) ، ومن هنا تبرز اهمية الأجهزة الاستخبارية ، إذ أنها تكشف عورة الأعداء ، وتكافح التجسس ، لذا اهتم بها المسلمون حتى لم يخلِ مكان من صاحب خبر وبريد كي يعرِّف المسلمون أخبار أعدائهم ، وكان هذا مما ساعدهم على تحقيق انتصاراتهم فيما بعد. (٤)

إن إستخدام العيون والجواسيس في المعارك والحروب قديم ، حيث سبقت اضطلاع البريد وعماله لهذه المهمة بزمن بعيد ، فقد إستخدم العرب قبل الإسلام العيون والعملاء لجمع المعلومات في حروبهم ، إذ كان القادة يستعينون قبل الدخول في القتال بمخبرين للحرب ، كذلك كان للقبائل ولأهل المدن مخبرون يرسلونهم لاستطلاع الأحوال ، ولتحذيرهم عن إحتمال وقوع غزو مفاجئ عليهم ، ويقال للواحد منهم منذر لأنه ينذر قومه وينبههم بقرب وقوع حادث عليهم (٥)

وبظهور الإسلام ، ونشوء الدولة العربية الإسلامية في المدينة المنورة أظهر الرسول (صلى) وقادة الإسلام إهتماماتهم ، بالاستخبارات فقد استخدم الرسول استخباراته في غزوة بدر (٦) ، وفي غزوة الخندق .(٧) وكان يحب أن يعرف عن عدوه أكبر قدر ممكن من المعلومات ، ويحرص كل الحرص ، على عدم تسرب معلومات جيشه إلى عدوه (٨). لذا أمر زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود

---

(١) مصطفى الحياري : الدواوين ، ص ٤١

(٢) خالد جاسم الجنابي ، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي ، ص ١٧٥

(٣) محمد المعرواي:شريعة الحرب في الإسلام،ص٣٢٤

(٤) الهرثمي:مختصر سياسة الحروب،ص١٩-٢٣

(٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٥ ، ص ٤٠٨، ٤٠٩. المقدم الهيثم الأيوبي: الموسوعة العسكرية ، ج١ ص ٦٢

(٦) الكتاني التراتيب الإدارية ،ج١ ،ص٣٦١، عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في الإسلام ، ص٢١٣.

(٧) الطبري ، تاريخ،ج٣، ص٥٢، الكتاني ، التراتيب، ج١، ص٣٦٣

(٨) عبدالرؤوف عون: الفن الحربي، ص٢١٣ .

فتعلمها(١).

وقد نهج أصحاب الرسول نهجه، فاهتموا بأمر العيون والجواسيس ، وكان أبرزهم في ذلك عمر بن الخطاب. فقد حفلت وصاياهم إلى قادتهم بنصائح كثيرة تحض على كتمان السر ومعرفة أسرار العدو ، وأهمها وصية أبي بكر الصديق لعمرو بن العاص عندما وجهه إلى أرض فلسطين.(٢) ووصية عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص(٣). وقد إهتم هؤلاء الخلفاء الراشدون بالعيون والجواسيس من أجل وضع خططهم العسكرية على أسس متينة ودقيقة. ومن ثم تحقيق الأنتصارات على أعدائهم. (٤)

كما عمل بمبدأ التجسس على الأعداء خلفاء الدولة الأموية ، واهتموا بهؤلاء الجواسيس ، واشترطوا فيهم الأمانة والسر ، وقد صالح الأمويون الجراجمة على يكونوا أعوان المسلمين ، وعيوناً ومسالح في جبل اللكام(٥)

وقد أصبح للعرب نظام جيد للجاسوسية منذ أيام معاويه، فكان الجواسيس يقدّمون المعلومات عن قوة العدو ، ونقاط ضعفه ، وتخطيط حصونه إلى غير ذلك ، واختير الجواسيس من جميع الطبقات ، كما أنه فرض رقابة دقيقة على أفراد الحاميات ، وعين موظفاً في كل حامية ليتحرى عن الداخلين والخارجين (٦).

وقد عني العباسيون عناية خاصة بالعيون والجواسيس ، فشكلوا دوائر متعددة. ومن بين هذه الدوائر دائرة خاصة بمكافحة جاسوسية العدو في البلاد الداخلية ، ودائرة أخرى خاصة بالتجسس الخارجي على الأعداء بالإضافة إلى الدائرة الرئيسة، والتي دعيت بالأخبار والبريد وهذه الدوائر خاصة بالعيون الداخلية . (٧)

---

(١) الطبري، تاريخ ، ج٣، ص ٤٢.

(٢) الأزدي : فتوح الشام ، ج١، ص ٤٨-٥٠.

(٣) ابن عبد ربه العقد الفريد ، ج١، ص ١٥١-١٥٢. بسام العسلي، ص٤٦.

(٤) الطبري، تاريخ، ج٣، ص ٥٠، ص ٤١١-٤١٢، ص ٤٧٤ .

(٥) البلاذري، ج٢، فتوح ، ص ٢١٧.

(٦) خالد الجنابي، تنظيمات الجيش في العصر الأموي، ص ١٧٧.

(٧) محمد المعراوي ، شريعة الحرب في الإسلام، ص ٢٢٠-٢٢١.

وكانت عيون الاستخبارات لا يظهرون أنفسهم ، فكان منهم الرجل والمرأة والشيخ والولد وابن السبيل والجواري ، وكانوا يرحلون إلى البلاد المجاورة متنكرين في زي التجار والأطباء والفلاحين ، يجمعون الأخبار ويرسلون بها إلى مراكز كانت منتشرة في أطراف بلاد العدو ، ثم تقوم هذه المراكز بتوحيد الأخبار بعد تنقيتها ، ثم ترسل بها إلى مراكز الدولة وعاصمة الخلافة (١).

وقد استخدم في هذه الدوائر أهل الذمة فكان اليهود يتجسسون لحساب المسلمين في الجزيرة العربية ، وكان النصارى أكثر الناس حباً بالجاسوسية لحساب المسلمين (٢).

ويجب على القائد الناجح أن يكتم أسراره عن عدوه ، ويحاول أن يجمع أسراره ، فبمقدار حجم المعلومات وصدقها ، تكون دراسة القائد للموقف وتقديره ووضع خططه (٣). ولهذا فقد اعتنى القادة بإختيار الشخص الموثوق به بجمع المعلومات، فاشترطوا في الجاسوس عدة شروط لا بد من توافرها فيه: منها أن يكون ممن يوثق بنصحه وصدقه فإن الظنين لا ينتفع بخبرة ، وإن كان صادقاً لأنه ربما أخبر بالصدق فاتهم فيه فتفوت فيه المصلحة (٤) ، ومنها أن يكون ذا حدس صائب وفراسة تامة: ليدرك بموفور عقله ، وصائب حدسه من أحوال العدو بالمشاهدة ما كتموه وامتنعوا عن النطق به ، ومنها أن يكون كثير الدهاء والحيل والخديعة ، وأن يكون له دُربة بالأسعار ومعرفة بالبلاد التي يتوجه إليها ، كما يجب أن يكون عارفا بلسان أهل البلاد التي يتوجه إليها ليتلقط ما يقع في الكلام فيما ذهب بسببه ممّن يخالطه من أهل تلك البلاد العالمين بأخبارها ، وأن يكون صبوراً على العقوبة والتعذيب إذا ظفر به العدو (٥).

وقد يحتاج القائد في بعض الأحيان إلى أن يعّرف عدوه بعض الأخبار التي تهمه على أن يكون ترتيبه بخلاف ذلك ، كأن يفهمه بأن هجومه سيكون في الشرق ، فيستعد العدو لذلك ، فيفاجئهم ويظهر لهم من الغرب. وقد طبق هذه الطريقة القائد أبو مسلم الخراساني في حروبه مع الأمويين

---

(١) الهرثمي:مختصر سياسة الحروب ، ص٢٣-٢٤. محمد المعراوي:شريعة الحرب ، ص ٣٢٩-٣٣٠-٣٣١

(٢) المعراوي: المرجع السابق ، ص٣٢٩ .

(٣) الهرثمي: مختصر سياسة الحروب ، ص٢٣-٢٤

(٤) القلقشندي صبح ، ج١ ، ص١٥٩ عبد الحميد الكاتب: رسائل البلغاء ، ص ١٩٢ ، الهرثمي ، مختصر ، ص٢٤

(٥) القلقشندي صبح ، ج١ ، ص ١٥٩-١٦٠. الكاتب:رسائل ، ص١٩٢-١٩٣. الهرثمي:مختصر ، ص٢٢-٢٤.

فهزمهم (١)، كذلك استطاع قائد المأمون طاهر بن الحسين في سنة ١٩٦هـ/٨١١م أن يوقع خلاف بين جند الأمين عن طريق دس الجواسيس والعيون داخل معسكرهم وأخذوا يعملون على إشاعة الأراجيف (٢) فانصرفوا عنه.

وهكذا نلاحظ أن الحصول على المعلومات يحقق هدفين ، هدفا مباشراً ، وهو وضع خطه ضد العدو ، وهدفا غير مباشر ، وهو توفير الأمن للجيوش ضد تحركات العدو وخططه (٣). ومن شدة حرص القواد الحصول على معلومات في غاية الدقة ، كانوا يرسلون جواسيس على الجواسيس الذين يرسلونهم ليقوموا بالتفتيش على أعمالهم ، بحيث لا يعرف أحدهم الآخر ، فلربما اتفقوا فيما بينهم على الغش أو يورط بعضهم بعضا مما يدفعهم إلى الميل إلى العدو والخيانة.(٤)

ولم يقتصر إستخدام الجواسيس والعيون لمعرفة أخبار الأعداء، بل كان هنالك جواسيس وعيون داخل معسكرات الجيش نفسه ، تقوم بموافاة القائد عن أخبار الجند ومجريات الأحداث أول بأول(٥).

وقد طرأ تطور ملموس على البريد العسكري في العصر العباسي ، وذلك لأن حاجة الجيش الدائمة إلى معرفة الأخبار عن العدو ، وعدد جيشه وتسليحه والطرق التي يسلكها ، والخطط التي يصنعها ، دعت العباسيين إلى العناية بأمور البريد ، فنظموا البريد العسكري تنظيماً دقيقاً . وبلغ في هذا العصر درجة عظيمة من التقدم ، حيث أصبح له ديوان مستقل في بغداد يتولى الاشراف على جميع طرق البريد ومحطاته مما دعا إلى ضرورة وجود جداول بأسماء الطرق ومحطاته ومنازلها.(٦) وتطورت مهمات ديوان البريد في العصر العباسي ، بحيث لم يكتف بنقل الرسائل والأوامر ، ومراسلات الدولة ، بل تعدته إلى القيام ببعض المهمات العسكرية ، وتشير الروايات إلى أن الخليفة السفاح استخدم البريد في نقل جزء من قواته بواسطة دواب البريد (٧). وهذا بدوره أدى إلى ازدياد أهمية البريد من الناحية العسكرية ، كما أن البريد أستخدم لنقل المؤن والذخائر والجنود إلى ساحات

---

(١) الطبري تاريخ ، ج٧ ، ص ٤٧٧-٤٧٨.

(٢) الطبري تاريخ ، ج٨،ص٤٢٣

(٣) بسام العسلي: فن الحرب ، ص٤٣

(٤) الهرثمي: مختصر ، ص ٢٤

(٥) البلاذري: انساب الأسراف، ج٣ ، ص ١٠٧ ، الطبري ، ج٧ ، ص ٧٣-٧٤، ج٩ ، ص٨٠-٨١. ابن الاثير الكامل ج٦ ، ص٤٦-٤٧ .

(٦) قدامة بن جعفر: الخراج، ص٧٧-٧٨

(٧) الطبري ، تاريخ ، ج٧ ، ص ٤٣٢ . ابن كثير ، البداية ، ج١٠ ،ص٤٨

القتال(١) ، وكان الخليفة خلال المعركة على اتصال دائم بقواده ، حيث كانت المعلومات ترد عليه أولاً بأول. ومثالها أن الخليفة المأمون سنة (٢٠٩هـ/٨٢٤م) وجه قائده عبدالله بن طاهر لمحاربة عبدالله بن السري ، حيث كان قد تغلب على مصر وأعلن العصيان والتمرد فيها ، فقدّم قائد المأمون أحد قادته ليختار له موضعا يعسكر فيه وأثناء قيامه بهذه المهمة ، اشتبك مع جيش عبدالله بن السري ، فأبرد القائد إلى عبدالله بن طاهر بريدا يخبره بخبره. فأمر بحمل الرجال والمؤن على البغال لمساعدته (٢) ، وهذا يشير على أن البريد كان يمثل حلقة الوصل بين المركز والمتمثل بالقائد أو الخليفة وبين ساحات وميادين القتال.

ولقد سبق وأشرت إلى شواهد عديدة لأوجه نشاط البريد العسكري في عصر الخلفاء العباسيين (٣). فكانت من أشهر المعارك التي تجلى فيها التنظيم والتنسيق والتخطيط العسكري، بأعلى وأجل صوره في المعركة التي دارت بين القائد قحطبة بن شبيب الطائيّ ، وبين الأمويين بقيادة إبن هبيرة والتي جرت بفم الزاب في أرض الفالوجة العليا في محرم من سنة (١٣٢هـ / ٧٤٩م) (٤). وبعد دراسة هذه المعركة وتحليلها نجد أن الانتصارات التي أحرزتها الجيوش العباسية سواء في هذه (المعركة أو غيرها من المعارك) لم تكن أمراً غريباً ، بل كانت أمر متوقعاً ، فقد مهدت لها أسباب متعددة ساعدت على انجازها منها التعبئة المتقنة والعمل الدائم ، والتنظيم المحكم ، وقد جمعت إلى ذلك سلامة التخطيط ، وحنكة القيادة ، ودقة الاتصالات ودومه بين ميادين الحرب ومراكز التجنيد والحشد والتوجيه في خراسان والكوفة ، فكان أبو سلمة الخلاّل كبير الدعاة ، مقيماً في الكوفة يهيئ شيعة بني العباس لاستقبال دولتهم ويعبئ المقاتلة لنُصرة ثورتهم(٥) ، وكان عيناً لقحطبة يستكشف له أماكن الجيوش الأموية ويرصد ما يأتيهم من امدادات ، ويراقب تحركاتهم ويسرب إليه الأخبار (٦) ، كما أن الطرق كانت مؤمنة من قبل الدولة عن طريق وضع المحارس والمناظر عليها ، وذلك ضمانا

---

(١) الطبري ، تاريخ ، ج٩،ص٥٨٥، ٥٨٦.

(٢) الطبري تاريخ ج٩ ، ص٦١٠ مسكوية: تجارب الأمم ، ج٦ ، ص ٤٥٦ ، النويري ، نهاية الأرب، ج٢٢ ، ص ٢٢٦

(٣) الطبري تاريخ ، ج٩ ، ص٨-٩ ، ص١٢ ، ص٥٢ ، مسكوية ، تجارب ، ج٦ ، ص ٤٧١ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١١ ، ص٤٢،ص٥٣ ، ٥٤ ، ص٧٦، ابن الأثير، الكامل ، ج٦ ، ص ١٦-١٩ .

(٤) مؤلف مجهول : اخبار الدولة العباسية ، ص ٢٢٨ ، ٢٣٠

(٥) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص٢٣٥.

(٦) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٢٣٧ .

لسلامة مرور البريد فيها ، وسرعة الاتصال وهذا ما فعله القائد قحطبة بن شبيب أثناء لقائه مع ابن ضبارة ، حيث وضع المسالح على الطرقات لتأمين الرسل والقوافل . (١)

والمعركة التي حدثت في سنة (١٣٧هـ/٧٥٤م) في نصيبين بين عبدالله بن علي وبين أبي مسلم الخراساني قائد الجيش العباسي ، حيث دامت ستة أشهر ، وكان الانتصار حليف جيش أبي مسلم بسبب اتخاذه المراكز الحصينة ، وتعبئته الجيدة ، وبفضل مهارة جواسيسه ودهائه الحربي خلال قيادته للمعركة (٢). وبلغ هذا التنظيم ذروته في المعركة الي قادها الافشين ضد بابك الخرمي في عهد الخليفة المعتصم سنة ٢٢٢هـ / ٨٣٦م وانتصر عليهم بفضل تنظيم الجيش ، وتأمين مواصلاته وبريده ، وتموينه في المناطق الجبلية (٣) ، كما أن وسائل البريد من خيول، وحمام ، وطبول، ومشاعل ، وسكك ، وخرائط وعمال قد عاونت الخليفة المعتصم معاونة صادقة في القضاء والانتصار عليهم ، وأخيراً معركة عمورية التي قادها المعتصم سنة (٢٢٣هـ / ٨٣٧ م) ضد الروم وانتصر عليهم (٤).

ومما هو جدير بالذكر أن صاحب البريد وأعوانه كان لهم دور بارز أثناء الحروب فكانوا يرافقون الجيوش ، وكان ترتيبه في صفوف الجيش في ميمنة القلب ، كما كان صاحب الشعاوذة – وهم رسل الامراء على البريد – إلى جانبه ، وكان كل من اصحاب الجنائب وأصحاب الجمازات، في ميسرة القلب ، أما الطلائع والجواسيس والفيوج فكانت في ميمنة الميمنة (٥).

---

(١) مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية ، ٢٤٢. ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص١٣٥

(٢) الطبري تاريخ ، ج٧، ص ٤٧٧–٤٧٨

(٣) الطبري تاريخ ، ج٩ ص٨ . ابن اعثم ، الفتوح ،ج٢، ص ٤٦٧ ، ابن الجوزي المنتظم، ج١١ ، ص٥٢–٥٤ ،

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٨–١٩.

ابن كثير البداية ، ج١٠ ، ص ٣١١

(٥) الهرثمي: مختصر سياسة الحروب ، ص ٣٧.

لسلامة مرور البريد فيها ، وسرعة الاتصال وهذا ما فعله القائد قحطبة بن شبيب أثناء لقائه مع ابن ضبارة ، حيث وضع المسالح على الطرقات لتأمين الرسل والقوافل . (١)

والمعركة التي حدثت في سنة (١٣٧هـ/٧٥٤م) في نصيبين بين عبدالله بن علي وبين أبي مسلم الخراساني قائد الجيش العباسي ، حيث دامت ستة أشهر ، وكان الانتصار حليف جيش أبي مسلم بسبب اتخاذه المراكز الحصينة ، وتعبئته الجيدة ، وبفضل مهارة جواسيسه ودهائه الحربي خلال قيادته للمعركة (٢). وبلغ هذا التنظيم ذروته في المعركة الي قادها الافشين ضد بابك الخرمي في عهد الخليفة المعتصم سنة ٢٢٢هـ / ٨٣٦م وانتصر عليهم بفضل تنظيم الجيش ، وتأمين مواصلاته وبريده ، وتموينه في المناطق الجبلية (٣) ، كما أن وسائل البريد من خيول، وحمام ، وطبول، ومشاعل ، وسكك ، وخرائط وعمال قد عاونت الخليفة المعتصم معاونة صادقة في القضاء والانتصار عليهم ، وأخيراً معركة عمورية التي قادها المعتصم سنة (٢٢٣هـ / ٨٣٧ م) ضد الروم وانتصر عليهم (٤).

ومما هو جدير بالذكر أن صاحب البريد وأعوانه كان لهم دور بارز أثناء الحروب فكانوا يرافقون الجيوش ، وكان ترتيبه في صفوف الجيش في ميمنة القلب ، كما كان صاحب الشعاوذة – وهم رسل الامراء على البريد – إلى جانبه ، وكان كل من اصحاب الجنائب وأصحاب الجمازات، في ميسرة القلب ، أما الطلائع والجواسيس والفيوج فكانت في ميمنة الميمنة (٥).

---

(١) مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية ، ٢٤٢. ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص١٣٥

(٢) الطبري تاريخ ، ج٧، ص ٤٧٧-٤٧٨

(٣) الطبري تاريخ ، ج٩ ص٨ . ابن اعثم ، الفتوح ،ج٢، ص ٤٦٧ ، ابن الجوزي المنتظم، ج١١ ، ص٥٢-٥٤ ،

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٨-١٩.

ابن كثير البداية ، ج١٠ ، ص ٣١١

(٥) الهرثمي: مختصر سياسة الحروب ، ص ٣٧.

لسلامة مرور البريد فيها ، وسرعة الاتصال وهذا ما فعله القائد قحطبة بن شبيب أثناء لقائه مع ابن ضبارة ، حيث وضع المسالح على الطرقات لتأمين الرسل والقوافل . (١)

والمعركة التي حدثت في سنة (١٣٧هـ/٧٥٤م) في نصيبين بين عبدالله بن علي وبين أبي مسلم الخراساني قائد الجيش العباسي ، حيث دامت ستة أشهر ، وكان الانتصار حليف جيش أبي مسلم بسبب اتخاذه المراكز الحصينة ، وتعبئته الجيدة ، وبفضل مهارة جواسيسه ودهائه الحربي خلال قيادته للمعركة (٢). وبلغ هذا التنظيم ذروته في المعركة الي قادها الافشين ضد بابك الخرمي في عهد الخليفة المعتصم سنة ٢٢٢هـ / ٨٣٦م وانتصر عليهم بفضل تنظيم الجيش ، وتأمين مواصلاته وبريده ، وتموينه في المناطق الجبلية (٣) ، كما أن وسائل البريد من خيول، وحمام ، وطبول، ومشاعل ، وسكك ، وخرائط وعمال قد عاونت الخليفة المعتصم معاونة صادقة في القضاء والانتصار عليهم ، وأخيراً معركة عمورية التي قادها المعتصم سنة (٢٢٣هـ / ٨٣٧ م) ضد الروم وانتصر عليهم (٤).

ومما هو جدير بالذكر أن صاحب البريد وأعوانه كان لهم دور بارز أثناء الحروب فكانوا يرافقون الجيوش ، وكان ترتيبه في صفوف الجيش في ميمنة القلب ، كما كان صاحب الشعاوذة – وهم رسل الامراء على البريد – إلى جانبه ، وكان كل من اصحاب الجنائب وأصحاب الجمازات، في ميسرة القلب ، أما الطلائع والجواسيس والفيوج فكانت في ميمنة الميمنة (٥).

---

(١) مؤلف مجهول: أخبار الدولة العباسية ، ٢٤٢. ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥ ، ص١٣٥

(٢) الطبري تاريخ ، ج٧، ص ٤٧٧-٤٧٨

(٣) الطبري تاريخ ، ج٩ ص٨ . ابن اعثم ، الفتوح ،ج٢، ص ٤٦٧ ، ابن الجوزي المنتظم، ج١١ ، ص٥٢-٥٤ ،

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج٦ ص ١٨-١٩.

ابن كثير البداية ، ج١٠ ، ص ٣١١

(٥) الهرثمي: مختصر سياسة الحروب ، ص ٣٧.

الفصل الرابع
وسائل نقل البريد وإستعمالاته

المبحث الأول : وسائل نقل البريد.

١ـ البريـد البـري:

- الخيـول
- البغـال
- الحميـر
- الجمـال
- الجمـازات

٢ـ الحمـام الزاجـل

٣ـ البريد المائي أو البحري

٤ـ وسائل بريدية مختلفة

كالمناور / الطبول / استعمال السهام / ورمي الحجارة

المبحث الثاني : استعمالات البريد وخدماته.

الفصل الرابع
وسائل نقل البريد وإستعمالاته

المبحث الأول : وسائل نقل البريد.

١ـ البريـــد البـــري:

- الخيـــول
- البغـــال
- الحميـــر
- الجمـــال
- الجمـــازات

٢ـ الحمـــام الزاجـــل

٣ـ البريد المائي أو البحري

٤ـ وسائل بريدية مختلفة

كالمناور / الطبول / استعمال السهام / ورمي الحجارة

المبحث الثاني : استعمالات البريد وخدماته.

- وسائل نقل البريــــد.

يمكن أن نميز بين أربعة أساليب لإيصال البريد: أولا : عن طريق البر وتتمثل بالخيول، البغال ، والحمير والجمازات ، وثانيا : عن طريق الجو ويتمثل بالحمام الزاجل ، وثالثا : عن طريق البحر أو الأنهار ، ورابعا : عن طريق النار والدخان ، المناور .

وقد عملت كل من هذه الوسائل على دفع عجلة البريد إلى الأمام ، فإذا كانت الدول المتقدمة في الشرق والغرب ، قد قطعت شوطاً بعيدا في إبتكار هذه الوسائل ، وتطويرها لتأمين أمنها القومي، واستخدمت من اجل ذلك التقنية الحديثه في مجال الموجات الأثيرية ، وشبكات الرادار وطائرات الاستكشاف وأقمار التجسس ، فإن مجتمعات العصور الوسطي قد عملت على تطوير هذه الوسائل ، بحيث كانت تتفق ومرحلة تطورها في ذلك الوقت ، وأدت بالتالي إلى تحقيق نفس الهدف والغاية .

فقد إتخذ المسلمون بدورهم في العصور الوسطي أجهزة ووسائل مختلفة لرصد تحركات اعدائهم ، وإفشال تحركاتهم وهجماتهم على الديار الاسلامية ، وهو أمر يدخل في صميم واجبات الدولة والجماعة المتعلقة بمواجهة الاعداء والتأهب الدائم لمجابهتهم . ومن الجديربالقول أن هذه الوسائل لم تكن وقفا على المسلمون وحدهم ، إذ كانت معروفة عند العرب قبل الاسلام ، وعند غيرهم من الأمم والشعوب ، وإن كان المسلمون قد طوروا هذه الوسائل وأفادوا منها على نطاق واسع بحكم خبرتهم ، وإتساع رقعة دولتهم وكثرة الميادين التي جاهدوا فيها اعدائهم في الداخل والخارج [١] .

أولا - عن طريق البر:

ونقصد به البريد الذي ينتقل بين أرجاء وأقاليم الدولة المختلفة ، وكانت تنتشر على طرقه المنازل أو محطات البريد ، وتتألف كل محطة في الغالب من خان ومسجد وسقاية [٢] ، وفيها عدد من دواب البريد، فقد كان عمال البريد يغيرون دوابهم ويستبدلونها بأخرى لمتابعة المسير والوصول بأقصى سرعة ممكنة .

---

(١) إحسان صدقي العمد : وسائل الانذار المبكر عند المسلمين، مجلة العربي، عدد ٣٠٢، ص ١٧١.

(٢) القلقشندي : صبح الأعشا ، ج١٤، ص ٤٢٣.

وقد تميز هذا النوع من البريد بالسرعة ، ولا سيما في حالات الازمات و الاخطار ، اذ أن الإهتمام بتنظيم البريد كوسيلة من وسائل الاتصال السريع ،(١) كان يرتبط بالازمات والحروب التى كانت تهدد أمن الدولة الاسلامية من الداخل والخارج ، ومما يؤكد ذلك كثرة الإشارات التاريخية ، ففي سنة ١٩٥ هـ إنتصر طاهر بن الحسين قائد المأمون على علي بن عيسى بالري، وقتل علي بن عيسى فكتب طاهر بن الحسين إلى المأمون على البريد فورد الكتاب مع البريد ، في ثلاثة أيام وبينهما نحو خمسين ومائتي فرسخ(٢).

فوصول البريد يحمل الإشارة بالنصر في ثلاثة أيام ، وبين الري ومرو ٢٥٠ فرسخا ، يشير بوضوح إلى مدى عناية الخليفة المأمون ، بطرق البريد وتزويدها بالرجال والخيول ، لضمان سرعة وصول الأخبار كما ويشير إلى العقلية العربية الفذة في تنظيم البريد.

وقد تبلورت هذه العبقرية الفذة في خلافة المعتصم خلال ثورت بابك الخرمي سنة ٢٢٢هـ/ ٨٣٦م، فقد كانت الخريطة البريدية تصل من عسكر الأفشين إلى سامراء في أربعة أيام أو أقل (٣) ، رغم الظروف الجوية والميدانية غير الملائمة احيانا.

كما أن ظروف الحرب سواء بين الدولة العربية ا لاسلامية والبيزنطيين ، أو عند القيام باخماد الحركات والفتن كانت تستلزم سرعة إيصال النجدات ، لذلك استخدم البريد في نقل الجنود فكان قطار البريد يتألف من دابة أ و اكثر ، حتى يبلغ في بعض الأحيان أربعين أو خمسين دابة (٤) .

أما مصلحة البريد الأعتيادية ، فكانت على درجة عالية من السرعة ايضا ، وبخاصة في نقل بعض الحاجيات إلى الخلفاء ، فعندما غزا المأمون بلاد الروم سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م اقام أياما بطرسوس على شاطئ البذندون (٥) ، واشتهي أن يأكل رطب أزاد (٦) فجلب إليه على بغال

---

(١) إحسان العمد : وسائل الإنذار المبكر عند المسلمين، مجلة العربي، عدد ٣٠٢ ، ص١٧١.

(٢) الطبري، تاريخ ، ج٨، ص ٣٩٤، الجهشياري، الوزراء، ص ٢٩٣، ابن العمراني الأبناء، ص ٩٠ ، ابن الأثير، الكامل ، ج٥، ص ٣٧١.

(٣) الطبري ، تاريخ ، ج٩، ص ٥٢، ابن اعثم ، الفتوح ، ح٣، ص ٤٦٧، ابن الأثير ، ج٦، ص٦٤٥، ابن تغير بردي ، النجوم، ج٢، ص٢٩٣.

(٤) جرجي زيدان ، تاريخ ، ج١، ص٢٠٠.

(٥) البذندون : قرية قريبة من طرسوس على مسافة ٣٨ميل، ياقوت معجم البلدان، ج١، ص٣٦١-٣٦٢.

(٦) أزاد : وهو نوع من التمر، الجواليقي، المعرب ، ص ٣٤.

البريد[١] ، وإن كانت القصة لا تخلو من طرافة ، الا انها تعبّر عن أهمية البريد ، ويعود ذلك للاهتمام بطرق البريد وتزويدها بما هو لازم للحركة السريعة فقد كان يجلب إليه البطيخ من خوارزم بالبريد [٢].

وفيما يتعلق بدواب البريد والتي تضم الابل ، والبغال ، والخيول ، والجمال ، والحمير ، فقد كانت متميزة بأن أذنابها كانت مقصوصة، لتفريقها عن غيرها من دواب الخدمة [٣]حيث انشد الجوهري لامرئ القيس:

على كلِّ مقصُوص الذُّنابي مُعاوِدِ بريد السرْى بالليْلِ من خَيْلِ بَرْبرا[٤]

كما تميزت أيضا بأنه كان يعلق في اعناقها جلاجل أو سلاسل ، فاذا ما تحركت سمعت لها قرقعة ،تعرف عندهم بقعقعة البريد . وكان لهذه القعقعة روعةو ورهبة ،فقد ذكر المغيرة بن شعبة في قوله :«أحب الإمره لثلاث :لرفع الاولياء ،ووضع الأعداء ،ولاسترخاص الأشياء ، وأكرهها لثلاث: لروعة البريد ، وذل العزل وشماتة الأعداء [٥].

ولابد من الاهتمام العظيم بدواب البريد ، والعمل على العناية بها كونها تستخدم في امور في غاية الأهمية ، كما أنه لا بد من توفير أعداد كبيرة من هذه الدواب ، خاصة إذا علمنا أن عدد السكك بلغت في الدولة العباسية ٩٣٠ سكة [٦] ، لذلك حرص الخلفاء العرب على تأمين الدواب للبريد والاهتمام بها ، يتم بطريقتين أولهما ربط الدواب والعناية بها في الاصطبلات ، التى كانت تعرف بالاصطبلات السلطانية[٧]. وثانيها ، إعطاء إقطاعات للعربان النازلة بالقرب من طرق البريد، وتكليفهم بتقديم ما يلزم من الخيل للبريد [٨] ، عُرِفَت باسم خيل الشهارة [٩].

---

(١) الطبري : تاريخ ، ج٨، ص٦٤٧، ابن الاثير ، الكامل، ج٦، ص٦٤٥، أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣١-٣٢، النويري، نهاية الأرب ، ج٢٢، ص٢٣٧.

(٢) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ٢٦٦.

(٣) جرجي زيدان : تاريخ ، ج١، ص ٢٠٠.

(٤) ابن منظور : لسان العرب، ج١ ، ص ٣٦٧، القلقشندي صبح ، ج١٤، ص ٤١٢.

(٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد، ج١، ص ٩٩.

(٦) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٥٣.

(٧) القلقشندي : صبح الأعشا ، ج١٤، ص ٤٢٢-٤٢٣.

(٨) القلقشندي ، المصدر السابق، ج١٤، ص ٤٢٢-٤٢٣.

(٩) سميت بخيل الشهارة لأنها كانت تحضر إلى محطة البريد في أول الشهر وتبقى حتى نهاية الشهر ، ثم تعاد إلى أصحابها ويؤتى بغيرها ، القلقشندي صبح، ج١٤، ص٤٢٢.

كما عمد الخلفاء العباسيون إلى توفير دواب البريد ، فعندما توفي الخليفة المعتضد بالله خلّف في بيوت الأموال من الدواب ، والبغال ، والجمازات ، والحمير ، والجمال اثني عشر ألف راس[١].

وسار الامراء وابناؤهم على هذا النهج في توفير دواب البريد ، فمما جاءنا عن الامير أحمد بن طولون اثناء ولايته على مصر انه خلف من الخيل الميدانية سبعة الاف رأس، ومن الجمال ثلاثة الاف جمل ، ومن البغال الف بغل ، ومن الخيل لركابه ثلاثمائة وخمسين فرسا[٢].

ومن شدة اهتمام الخلفاء بدواب البريد ، فقد كانت لهم اصطبلات خاصة في محطات البريد، من أجل العناية التامة بدواب البريد ، وكان على كل إصطبل وكلاء لهم الرزق السني والأموال المتسعة [٣] ، وهؤلاء الوكلاء الذين يقومون على خدمة هذه الدواب يمكن وضعهم في لائحة عمال البريد .

وكان يشترط عدم إجهاد هذه الدواب أو إرهاقها ، وضرورة الرفق ، بها فقد كان الخليفة عمر بن عبد العزيز يرفق بالحيوان ، كما انه نهى أن يجعل في طرف السوط حديدة ، ينخس بها الدابة ونهي عن اللجم الثقال [٤].

كما نصح السبكي أصحاب البريد ، حيث قال : « وحق على كل بريدي أن لايجهد الفرس ، بل يسوقها قدر طاقتها ، فقد كثر منهم سوق الخيل في السوق المزعج [٥].

ومن أجل ذلك فقد كان الخليفة المأمون ، يرسل من يتعرف له حال البريد ودوابه في سككه ، حيث بلغه إختلاط من حال البريد فوجه ثمامة بن أشرس ليتعرف له ذلك [٦].

ولنقل البريد لابد من توفر وسائل خاصة به، وتتمثل هذه الوسائل في قوله تعالى : «الخيل والبغال والحمير لتركبوها ....» [٧]، بالاضافة إلى الجمال وأخيرا الجمازات ولم تقتصر استخدام هذه الوسائل على البريد فقط إنما استخدمت في ميادين شتى:-

(١) المسعودي مروج ، ج٤، ص١٤٤ .

(٢) البلوي ، سيرة احمد، ص ٣٤٩، ابن تغري بردي ، النجوم، ج٩، ص ٢٦-٢٧ .

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٣، ص ٧١ .

(٤) ابو يوسف : الخراج، ص٣٧٢ .

(٥) السبكي : معيد النعم، ص ٣٣ .

(٦) الجاحظ ، القول في البغال ، ص ٥٦ .

(٧) سورة النحل ، أية ٨.

أولا الخيول:

وكانت الخيل من الحيوانات الشائعة الاستخدام منذ أقدم، العصور في نقل البريد حيث أنه أتخذ كوسيلة لتبادل المكاتبات السياسية ، بين أمم الشرق الادنى منذ القرن السادس عشرة[(١)]، حيث أكد القران الكريم والسنة النبوية على معرفة العرب للخيل بقوله تعالى « ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » [(٢)].وقال صلى الله عليه وسلم « الخيل معقود في نواصيها الخير»[(٣)].

وقال الجاحظ انه لم تكن أمة قط أشد عجبا بالخيل ولا أعمل بها من العرب ،ونسبت اليهم بكل مكان ،فقالوا فرس عربي ولم يقولوا هندي ولا رومي ولا فارسي [(٤)].

استخدم العرب الخيول في نقل البريد بين مختلف اقاليم الدولة،وقد تميزت باذنابها المحذوفة ،وكان المهلب بن أبي صفرة في خلافة معاوية بن أبى سفيان هو أول من حذفهامن المسلمين[(٥)] كما أن لها أنواعا وأشكالا مختلفة ،ويكفي الخيل شرفا وتكريما أن الله اقسم بها في كتابه الكريم فقال :«والعاديات ضبحا»[(٦)] وتتميز هذه الخيول محذوفة الاذناب بانها اسرع طلبا ، وأنجى مهربا ، وألين معطفا وأصبر في معترك الأبطال إقدامنا [(٧)] ، ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن امتهانها .[(٨)]

ولعبت هذه الخيول دورا مميزا في البريد العسكري ،فالمطلع على فترة الفتح الاسلامي يلاحظ بوضوح الدور المهم الذي قامت به الخيول ،ففي خلافة المعتصم با لله انقطع عن بغداد ماكان يحمل اليها من مدينة البصره ،بسبب تغلب الزط على منطقة البطائح ،فوضع المعتصم بين البطائح وبغداد خيلا مضمرة ،ومحذوفة الأذناب ،تركض إليه بالاخبار ،فكان الخبر يخرج من عند قائد الجيش في منطقة البطائح فيصير إلى المعتصم في يومه .[(٩)] وبلغ من اهتمام الخليفة المعتصم بتتبع أنباء بابك

---

(١) السعداوي : نظام البريد، ص ٧٨.

(٢) سورة الأنفال ، أية ٦٠.

(٣) مسلم ، صحصح البخاري ، ج٢، ص ٦٨٣.

(٤) الراغب الاصفهاني :- محاضرات الادباء ، ج٤ ،ص٣٨٩-٣٩٠

(٥) البلاذري : فتوح ، ص ٦٠٨

(٦) سورة العاديات ، ايه ١، -٥

(٧) عبد الحميد الكاتب :رسائل البلغاء،١٩٦

(٨) الدميري :حياة الحيوان ، ج١ ،٣٠٩

(٩) الطبري: تاريخ ،ج٩، ص٨-٩، ابن الاثير، مسكويه تجارب ج٦ ،ص٤٧١، ابن الجوزي،المنتظم،الكامل ،ج٦ ،ص١٦

الخرمي ، أنه نظم البريد بينه وبين قائد جيشه الأفشين ، فجعل من سامراء إلى من منطقة حلوان خيلا ومضمرة على رأس كل فرسخ ، كما أنه رتب في منطقة المرج - وهي منطقة وعره - عددا من الخيول يركض بها يوما أو يومين .[١] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ما تتميز به هذه الخيول من سرعة ولا سيما اوقات الحروب والأخطار.

وقد حرص الخلفاء العباسيون على العناية بالخيول بحيث عرف عن الخليفة المنصور بانه كان يجمع الخيل حتى اجتمع له من الخيل ما لم يعرف مثله في جاهلية ولا إسلام[٢].

وتختلف سرعة البريد باختلاف الطرق ،ونوع الدواب كونها إبلا أو خيلا أو بغال أو جمال ، ولكن لابد وأن تختار دواب سريعة الجري لاستخدامها في البريد. [٣] كما أن البريد بواسطة الخيل كان موجودا بين مصر والشام في عهد الفاطميين .[٤]

ثانيا :البغال :

وهي وسيلة من وسائل نقل البريد ،وخصوصا في المناطق الجبلية والبارده[٥] ، لعدم إمكانية استخدام الخيول أو الجمال ، وكذلك لما يتمتع به البغل من القدره على الهداية في كل طريق يسلكه مره واحده ، كما يتميز باحتماله الأثقال ، وصبره على طول الطريق[٦] وتعتبر الروم بأن البغال آلة من آلات السلاطين ،لانها موقوفة على إرسال رسائلهم من مركز ملكهم إلى اقطار سلطانهم .[٧]

كما أن الخلفاء العباسيين استعانوا بالبغال في البريد ،ففي عهد الخليفة هارون عهد إلى وزيره يحيى بن خالد البرمكي بوضع وترتيب البغال في المراكز ،وكان لا يجــهز عليه الا الرشيد أو صاحب الخبر[٨] وهناك إشارة في المصادر تفيد بأن الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك (١٠١ -١٠٥هـ/

(١) الطبري: ج٩، ص ٥٢، ابن الاثير، ابن أعثم، الفتوح ج٣،ص ٤٦٧، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١١،ص ٧٦.

(٢) صلاح المنجد، الخلفاء والخلعاء ، ص ١١٨.

(٣) السعداوي : نظام البريد، ص ٧٩.

(٤) عبد المنعم ماجد: - رسوم الفاطميين ص ٤٣.

(٥) الجنابي: - تنظيمات الجيش في العصر الأموي، ص ١٣٠.

(٦) الغزولي: مطالع البدور، ج٢،ص ١٨١، الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج١ ،ص ١٣٨.

(٧) الجاحظ: القول في البغال ، ص ٥٩، كما أورد الجاحظ في هذا الكتاب معلومات كثيرة عن البغال انظر:- ص٥٩، ٥٧، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٩، ٧٠ ، ٧٢.

(٨) القلقشندي: صبح ، ج١٤،ص ٤١٤، العمري، التعريف، ١٨٦.

٧٢٤-٧٢٠م) كان يشتغل بتجارة البغال،[١] التى كانت تجلب عادة من مصر،[٢] وارمينيا،[٣] إلى بلاد الشام .

ثالثا :الحمير:-

وتعتبر من أقدم الحيوانات التى استخدمها الانسان في أعماله ،فقد استخدمها للركوب و الحمل الخفيف والنقل [٤] .وهي على اصناف :صنف يصلح لحمل الاثقال ، وصنف لين الاعطاف سريع الحركة، ويوصف بالهداية لانه لا يضل عن طريق سلكه ولو مره واحده ،[٥] ولا يخطئه فان ضل راكبه هداه إلى الطريق وحمله على المحجة ،وربما غاب عن الموضع الذي كان فيه لسنين عديده ،فاذا مر بالزقاق الذي فيه الموضع تعرف عليه. كما يتصف بحدة السمع إذ أنه ينذر صاحبه بما يتوقع خوفه فيحذر منه [٦].

ويقول الغزولي بأن أجود الحمير هي المصرية ،وأهلها يعتنون بتربيتها والقيام عليها ،لما يجدونه من الفراهة والسرعة والنجابة ، ويبالغون باثمانها بحسب فراهتها ،حتى بلغ ثمنها في بعض السنين مائة وعشرة دنانير [٧]. ويبدو أن استخدام الحمير يكون في المناطق الوعره المسلك والضيقة ، لما يتميز به من الصبر على طول الطريق وما من شك أن الحمار احتل مرتبه أدنى من الجمل والبغل في عملية نقل البريد ، ومن هنا لا يمكن أن يقارن الحمار بالجمل أو الخيل

رابعا :الجمال :-

للجمل تأثير واضح في حياة البدو الصحراوية، وقد اشتهرت جزيرة العرب بالنجائب . وهي الجمال ذات السنام الواحد [٨] .

---

(١) الجاحظ: القول، ص ٢٠.

(٢) الاصطخري المسالك : - ص ٥٥، ابن حوقل، صورة ، ص ١٥١-١٥٢.

(٣) ابن حوقل، صورة ، ق ٢، ص ٢٩٧.

(٤) الجاحظ: القول ، ص ٣٠.

(٥) الدميري حياة الحيوان ، ص ٢٣٨، الغزولي، مطالع، ج٢،ص ١٨٢، الابشهي، المستطرف من كل فن مستظرف، ص٣٤٩.

(٦) الغزولي، مطالع، ج٢،ص ١٨٢- ١٨٣.

(٧) الغزولي مطالع : ج٢،ص ١٨٢.

(٨) أحمد عبد الباقي : معالم الحضارة الإسلامية في القرن الثالث عشر، ص ١١٩.

ومن الخصائص التى يتميز بها الجمل ، الاهتداء إلى الطريق التى اعتاد أن يسلكهاولا يضل فيـها ليلا ولا نهارا، والعرب تضرب به المثل في ذلك ، فيقولون أهدى من جمل . ومن طباعه أيضاالصبر على الحمل الثقيل [١].

وهذه الخصائص والمميزات المجتمعة جعلت العرب يعولون على استخدام الجمال في نقل البريد ،ولا سيما في قطع القفار واجتياز الصحاري ،فليس هناك حيوان يتحمل السير والعطش في المناطق الصحراوية اكثر من الجمل . [٢] كما انه كان الواسطة، في نقل متطلبات القوات العربية الاسلامية، من المؤن والذخيرة وإيصالها إلى مناطق القتال . وكان يتولي الاشراف عليها وقيادتها أعداد كبيرة من الرجال. [٣]

ومن الطبيعى أن تستخدم الجمال السريعة الجري ، لنقل البريد عبر الاراضي الصحراوية والتى لا يستطيع قطعها غير الجمل ومن هذه الانواع التى اشتهرت بسرعة الجري ، الجمال الناجية [٤] والجمال المهرية [٥] واخيراً البختية ،[٦] والتي توصف بالصبر على السير وسرعة الخطو.

وهكذا فقد كان الجمل محور العملية التجارية ليس في بلاد الشام فحسب ،بل في كل البيئات المتشابهة .

ومن و سائل نقل البريد ، والتي شاع استخدامها في القرن الرابع الهجري الجمازات [٧] حيث عدلت الدولة عن استخدام الخيول ،الى استخدام الجمازات والتي استخدمت في نقل البريد أثناء الحروب والأزمات والتنقلات السريعة وذلك لسرعتها .

والاشارات التاريخية الدالة على ذلك كثيرة فيشير عريب بن سعد في حوادث سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م ، الى استعمال الجمازات في نقل البريد ، من مصر إلى حاضرة الخلافة أثناء هجوم

---

(١) الدميري ، حياة الحيوان، ج١، ص ١١٤-١١٥ ، القزولي ، ج٢، ص ١٨٥ .
(٢) الجنابي ، تنظيمات الجيش في العصر الأموي ، ص ١٣٠ .
(٣) الجنابي ، المصدر السابق ، ص ١٣٠ .
(٤) الدميري ، حياة الحيوان ، ج ١ ، ص ١٥ .
(٥) الهمذاني ، مختصر ، ص ٢٥٢ .
(٦) الادريس ، نزهة المشتاق في احتراق الافاق ، ق ١ ، ص ٤٧ .
(٧) الجمازات ، الجمز العدو السريع . والجمازات ، ابل بختية تدرب على نوع من السير السريع ، ويرتاح إليه الركب ويأنس به وأول من اتخذ الجمازات أم جعفر زبيدة وذلك انها امرت الرحالين أن يزيدوا من سير البختية التي تحتها ، حيث خافت فوت الرشيد فلما حركوها مشت ضروريا من المشي فجمزت خلال ذلك فوجدت لذلك النوع من السير راحة وامرتهم ان يدربوها على الجمزة .
انظر : الجاحظ ، الحيوان ، ص ٨٣ ، العسكري ، الاوائل ، ص ٢٧٦ ، الثعالبي ، المعارف ، ص ٢٠-٢١ .

الفاطميين على مصر وخروج القائد التركي مؤنس بجيشه لصد هذا الهجوم فيقول: -

وتقدم على بن عيسى بترتيب الجمازات من مصر إلى بغداد ليروّح عليه الاخبار في كل يوم فورد الخبر بأن جيش عبد الله الخارج مع ابنه ، ومع قائده حباسة انهزموا ، وبشر علي ابن عيسى الخليفة المقتدر بذلك فتصدق من يومه بمائة الف درهم [١]

وفي حوادث نفس السنة أي ٣٠٢هـ/٩١٤م وبعد انصراف الفاطميين من مصر ، كتب محمد بن علي الماذرائي يذكر ضيق الحال بمصر ، وكثرة الجيوش بها وما يحتاج إليه من الاموال ، فانفذ له المقتدر مائتي بدرة دراهم على مائتي جمازة [٢]

وفي سنة ٣٠٥هـ/ كتب ابن الفرات إلى علي بن أحمد بن بسام المتقلدلاعمال الشام في المسير إلى مصر والقبض على الحسين بن احمد المعروف بابن زنبور وعلى ابن أخته أبى بكر محمد بن علي وحملهما إلى مدينة السلام على جمازات [٣]

وفي سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠ م عزم بجكم على محاربة البريدي ، حيث أخذ ما يحتاج إليه من الميرة للخروج إلى واسط ، ووجه بجماعة على الجمازات ليتعرفوا له خبر الطريق ، وفي كم يوم يصلون ، ليأخذ من الزاد على قدر ذلك فعادوا على وجه السرعة وعرّفوه صعوبة الطريق وتعذر المياه [٤]وفي سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣ م أنفذ ابي الحسين بن بوبة رسولا على الجمازات سرا إلى الخليفة المستكفي في بغداد يطلب الأمان ، ويضمن له القيام بخدمته [٥] وقد استخدم الجمازات التماسا لسرعة وصوله .

وفي العهد البويهي شاع استخدام الجمازات بشكل كبير ففي سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤ م نجد ابن العميد يتخذ الجمازات وعددها مائة عندما أراد اللحاق بركن الدولة في فارس [٦] .

ولم يقتصر استعمال هذه الجمازات اثناء الحروب إنما استخدمت في استقدام أشخاص معينين تطلبهم السلطة بل تعدي الأمر إلى تهريب بعض الاشخاص على هذه الجمازات ومما روى بهذا الصدد ،انه كان بسجستان قاض يعرف بأبي يوسف البزاز مقبول القول بين الرعية فاستدعاه

---

(١) عريب بن سعد ، صلة الطبري ، ص ٥٢ .
(٢) عريب بن سعد ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .
(٣) عريب بن سعد ، المصدر السابق ، ص ٦٢ .
(٤) مجهول ، الحدائق والعيون ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٣٤٢ .
(٥) النويري ، نهاية الارب ، ج ٢٦ ، ص ٢٠٠-٢٠١، مسكويه ، تجارب ، ج٢ ، ص ٣٤١، الطبري تاريخ ، ص ٣٥٢.
(٦) مجهول ، الحدائق والعيون ، ج ٤ ، ص ٤٢٨ .

أحمد بن خلف المعروف بابن بنت عمرو بن الليث الصفار والي سجستان ايام معز الدولة سنة (٣٨١ هـ) واخرجه رسولا إلى استاذ هرمز وضم إليه رجلا من الصوفية يعرف بالحلبي كالمؤانس له وسلم المتصوف سماً على أن يضعه في طعام يحمل إليه من دار استاذ هرمز ثم رتب للصوفي جمازات وطلب منه الهرب عليها بعد أن يتم الامر (١) .

كما أن الفتح بن خاقان بن احمد ، وزير المتوكل عندما أمره على الشام نجده قد قدم إلى دمشق على جمازه (٢) التماسا للسرعة واختصارا للوقت .

ثانيا : الحمام الزاجل (٣)

لم يكتف الخلفاء العرب بما وصل إليه نظام البريد البري ، ولكنهم خطوا خطوات واسعة في تنظيم نقلة وسرعة وصوله ، مستعملين في ذلك الحمام الزاجل الذي لعب دورا مهما وكبيرا في التبليغ والتحذير ، وتبادل المعلومات الخطيرة وبخاصة ابان الفتن والحروب والازمات .

فقد اشار القران الكريم على استخدام الهدهد في نقل الاخبار إذ نقل إلى سليمان خبر مملكة سبا ونقل إلى بلقيس رسالة من سليمان ، يدعوها فيها إلى الاسلام (٤) كما اشار على الدور المهم الذي قام به الطائر الهدهد من الجاسوسية والاستطلاع ما لم يستطع عامل البريد في عصر من العصور التاريخية أن يؤديه وعلى مقدرته لنقل الاخبار .

على أن أول من استخدم الحمام الزاجل بعد الانبياء والرسل ، كانوا الفرس الذين أخذ عنهم الاغريق طريقة تدريبه على حمل الرسائل فاستخدموه في نقل انباء الالعاب الاولمبية لاذاعة اخبار المباريات بين البلاد اليونانية (٥) ، ويبدو ان الرومان نهجوا ذلك السبيل ،إذ بلغ من إهتمامهم باخبار سباق العجلات في روما ، انهم جعلوا معهم حماما زاجلا ،يذيعون به أخبار السباق إلى سائر المدن الرومانية (٦). وأول إشارة تاريخية لاستخدام الحمام الزاجل في الحروب هي سنة ٣٤ ق. م عندما حاصر انطونيوس مودينا بإيطاليا ،الحالية، إذ تبادل القنصل بروتس حاكم مودينا الرسائل مع زميلة

---

(١) ابي شجاع ، ذيل تجارب الامم ، ج ٣ ، ص ١٩٢-١٩٣ .

(٢) الكتبي ، فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ١٧٧ .

(٣) الزجل ، الرمي بالشيء تأخذه بيدك فترمي به ، والزجل ارسال الحمام الهادي من مزجل بعيد ، وقد زجل بني يزجله ، وزجل الحمام يزجلها زجلا ارسلها على بعد وهي حمام الزاجل ، انظر لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٣٢، مادة زجل .

(٤) سورة النمل : آية ١٩-٣١.

(٥) سيد امير علي، مختصر تاريخ العرب، ص ٢٦٠.

(٦) سيد امير علي : المرجع السابق ، ص ٢٦٠.

هريتوس خارج المدينة بواسطة الحمام الزاجل (١).

وتقيض كتب الادب المعاصره لفترة البحث بذكر الحمام الزاجل وأوصافه، وتدريبه فقد اسهب الجاحظ في كتابه الحيوان في الحديث عن الحمام وتدريبه وما وصل إليه فن تدريبه من رقي (٢).

ويقسم الحمام إلى نوعين حمام عادي ، وحمام رسائلي - وهو الزاجل - وكان يختار حسب أسس وأوصاف معروفة وتراعى في تدريبه اساليب مقرره فكان يشترط في ذلك النوع من الحمام اعتدال العنق ، واستداره الراس ، من غير عظم أو صغر ولحوق بعض الحوافي بعضها ببعض وقعر الساق والذنب ، كذلك كان يراعي في الحمام الزاجل صفاء وثبات النظر ، وشدة الحذر ، وحسن التلفت ، وخفة النهوض في الطيران والعلو في الجو مع مد العنق وقلة الاضطراب ، وحسن القصد في غير دوران ، وقد أتقن معرفة ذلك كله اناس في العراق لانتقاء أجود أنواع الحمام الزاجل واحسنها أصولاً وانسابا (٣).

أما تدريب الحمام فكان يبدا ـبعد اختياره ، بحيث يكون أبيض مطوق لكونه افطن أنواعه(٤) ويدجن بسرعة ويتعلم في وقت قريب ولكونه اكثر أنواع الحمام تعلق بوطنه واحرصها على الإبقاء عليه والعوده سريعا إليه (٥) ثم تحمل الفراخ جائعة إلى إحدى الدور في منتصف النهار وينثر الحب على السطح حول سار عليه علم ، ويشترط معلم الحمام أن يكون لون العلم واضحا حتى يمكن الاهتداء إليه وفي اغلب الاحيان كان اطلاق الفراخ بعد مده من قص ريشها ، على أن تطلق مثنى أي زوجين ، بحيث تكون إحداها أحدث قصالريشها من صاحبتها ،ثم يطلق المدرب الحمامة التى نما ريشها فلا تلبث أن تعود حنينا إلى صاحبتها ، وبذا يضمن المدرب تآليف الحمام ـوعودته إلى أمكنة تدريبه وهي المزاجل ولم يقتصر الامر على المزاجل فوق الدور بل استخدمت السفن احيانا لذلك الغرض تدريبا للحمام على الطيران عبر البحار وكان من أهم أركان التدريب للحمام ان تصبح الحمامة وحدها قادرة على الرجوع إلى مصدرها وهو الذي اصطلح الجاحظ على تسميته

(١) سيد امير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٦١.

(٢) الجاحظ : الحيوان ، ج٣، ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٣) إبراهيم العدوي الحمام الزاجل في العصور الوسطى ، مجلة المقتطف ، ج٢، عدد ٢ ، سنة ١٩٤٩، ص ١٣٤.

(٤) الجاحظ : الحيوان ، ج٣، ص ٢٦٩-٢٧٢، العمري : التعريف، ص ٣٥٥.

(٥) ميخائيل بن الصباغ : مسابقة البرق والغمام ، مجلة المورد ، ج١٢ـ ٤ ، سنة ١٩٧٣، ص ١٤٩.

"الغاية" (١).

ومن خصائص وطباع الحمام الزاجل بانه يطلب وكره ويحمل الاخبار ويأتي بها من البلاد البعيده في المده القريبه ومنه ما يقطع ثلاثة الالف فرسخ في يوم واحد وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فاكثر وهو على ثبات عقله وقوة حفظه ونزوعه إلى وطنه حين يجد فرصه فيطير إليه (٢) ومن خصائصه أيضا حسن الاهتداء وجودة الاستدلال وثبات الحفظ والذاكره وقوة النزاع إلى اربابه والحنين لوطنه (٣).

وكما أنه كان يلزم بطون الاودية التى يمر بها مهتديا بانحدار الماء وإذا أعيته بطون الأودية ولم يدر أمصعد هو أم منحدر كان يستدل بالريح ومواضع الشمس في السماء نهارا والنجوم ليلا (٤)

على ان تربية الحمام الزاجل لم تقتصر على العراق فحسب بل اشتهر الاقليم ا لشمالى من الشام كذلك بتربيته وإستخدامه في نقل الرسائل في القران الثالث الهجري وتوضح هذه الاشاره ان العناية بالحمام الزاجل بشمال الشام اقدم بكثير من زمن نور الدين والقرن السادس الهجري فكان حصن الحجر الذي يقع في جبل اللكام قرب انطاكيا واقليم الثغور الشاميةحيث تقع المصيصة وطرطوس واذنه تحفل برجال مهروا في تدريب الحمام وتكلفوا في سبيل ذلك التكاليف الكثيره ايام الزجل اي تدريب الحمام في الانتقال من مكان إلى آخر وكانوا يدربون الحمام جماعات أو فرادى حسب الحاجة (٥) وكانوا يعهدون في فترة زجل الحمام إلى اشخاص موضع الثقة والامانة والصدق والبعد عن الكذب والرشوة لمراقبة اعلام الغاية (٦) وتسجيل خطوات التدريب .

نستنتج مما سبق ان الحمام الهدي وهو المعروف بالحمام الزاجل معروف بارض الشام والعراق ويشترى بالأثمان الغالية ويرسل من الغابات البعيده وتكتب بالاخبار فيؤديها ويعود بالاجوبة عنها (٧) . وقال الجاحظ: لولا الحمام الهدي التى تجعل بردا لما جاز أن يعلم أهل الرقة والموصل وبغداد ، ما كان بالبصرة وما حدث بالكوفة في يوم واحد حتى ان الحادثة لتكون بالكوفة عنده

---

(١) الجاحظ : الحيوان، ج٣ ، ص ٢٧٢.

(٢) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ج١، ص ١٨٢ .

(٣) الجاحظ : الحيوان، ج١، س ٢١٤-٢١٥.

(٤) الجاحظ المصدر السابق، ص ٢١٥.

(٥) الجاحظ المصدر السابق، ص ٢١٣.

(٦) الجاحظ المصدر السابق، ص ٢١٤.

(٧) الثعالبي : ثمار القلوب ، ص ٤٦٨.

ويتناقلهاأهل البصره عشية ذلك اليوم [١].

والمعروف عن الحمام الزاجل انه يطير بسرعة فائقة ، وأسرع أنواعه يقطع المسافة بين ٤٠ و٥٠ ميلا واقل أنواعه من ٢٥ إلى ٣٠ ميلا ، والمعدل المتوسط لطيرانه ٣٥ميلا في الساعة . وتختلف سرعة الحمام والمسافات التى يجتازها ، باختلاف عمر الحمامة وصنفها فالحمامة التى يزيد عمرها على سنة واحده ، هي أقل سرعة من الحمامة التى يزيد عمرها على ذلك [٢] .

كما أن للاحوال الجوية تأثيرا كبيرا على سرعة الحمام ، ومدى المسافات التى يجتازها ففي الاجواء البارده أو عندما تكون السماء ملبده بالغيوم تقل سرعة الحمام إلى حد بعيد جدا واذاكانت الريح تهب بشده قلما تستطيع ان تطير بالجهة المعاكسة وقد لا تزيد سرعته في بعض الاحيان على بضعة اميال في الساعة [٣]

وقد حاز حمام العراق الشهرة بين انواع الحمام المستعمل لحمل الرسائل لانه يدجن سريعا ويتعلم في وقت قريب [٤].

اما كيفية التراسل بالحمام فكانت العاده ان تجعل البطاقة تحت جناحيها .لعدة امور: منها حفظها من الخطر ولقوه الجناح [٥]وجرت العاده لزيادة الاطمئنان والثقة ان تكتب الرسالة في صورتين وتؤرخان ساعة كتابتهما من النهار وترسلان مع حمامتين ، تطلق احداهما بعد ساعتين من اطلاق الاخرى حتى إذا ضلت إحداهما أو قتلت أو افترسها الجوارح امكن الاعتماد على الاخرى[٦]. وقد جرت العاده أيضا إلا يطلق الحمام في الجو الممطر ولا قبل تغذيته الغذاء الكافي [٧].

وكان التراسل عن طريق الحمام يتم بأسلوب خاص ، فالأخبار تكتب على بطائق من ورق خفيف يسهل حمله وهو نوع من الورق الحريري[٨] ، وبخط دقيق يسمى الغبار لدقته [٩]. وامتازت

---

(١) الجاحظ : الحيوان ، ج١، ص ٩٦-٩٧ ، البيهقي : المساوئ والمحاسن ، ص١١٠.
(٢) ميخائيل صباغ : مسابقة البرق والغمام في سعاة الحمام، مجلة المورد، ج٢، ١-٤، ١٩٧٣، ص١٤٣.
(٣) ميخائيل صباغ مسابقة البرق، مجلة المورد، ج٢، ١-٤ ، ١٩٧٣، ص ١٤٣.
(٤) السعداوي : نظام البريد، ص ١٤٥.
(٥) السيوطي: حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة، ص ١٨٦.
(٦) القلقشندي صبح : ج١، ص ١٥٤.
(٧) أنور الرفاعي، الإنسان العربي والحضارة، ص ٢٣١.
(٨) ميخائيل صباغ: مسابقة البرق، مجلة المورد ، المجلد الثاني ، ١-٤ ، ١٩٧٣، ص ١٥٠.
(٩) القلقشندي : صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٢.

رسائل الحمام بالايجاز فيستغنى فيها عن البسلمة ، والمقدمات الطويلة والالقاب الكثيرة مما كانت تحفل به الرسائل في العصور الاسلامية ، ويكتفي فقد بذكر التاريخ والساعة وايراد المطلوب بصيغة مختصرة . كالتى تستعمل في البرقيات في وقتنا الحاضر، وجرت العاده أن يكتب في اخرها وحسبنا الله ونعم الوكيل. (١).وذلك حفظا لها.

كما أن الكتب الرسمية والتي تصدر من حاضره الخلافة أو من قبل الامراء والخلفاء والولاة تميزت بالايجاز والاختصار ، فقد حث جعفر بن يحيى البرمكي كتابه على الايجاز والاختصار، كان مما قاله في ذلك "ان استطعتم ان تكون كتبكم كالتوقيعات ففعلوا "(٢)

وكانت تلك الكتب تختم وتعنون ثم تؤرخ وبعدها ترسل في الخريطة البريدية إلى ديوان البريد الرئيسي .ومن ثم يقوم صاحب البريد بارسالها إلى أصحابها (٣).

وفيما يتعلق باثمان الحمام الزاجل فمما لا شك فيه ان ادارة بريد الحمام الزاجل قد كلفت خزانة الدولة اموال كثيره وبخاصة إذا ادركنا ان الخلفاء العباسين وكبا ر رجال دولتهم ورؤساء الناس ، ولا سيما في البصره البعيده عن مركز الخلافة بغداد إقتنوا الحمام الزاجل لاغراضهم وتنافسوا في اقتنائه (٤) حتى من الفقهاء ورجال الدين انفسهم لم يمتنعوا عن المنافسة فيه والاخبار عنها . ومن طريف ما يذكر ان اهل البصرة وجهوا إلى بكار بن شيبه البكراني قاضي مصر وكان من فضله وعقله ومن دينة وورعه ما لم يكن عليه قاض بحمامات لهم مع ثقات ، وكتبوا إليه ان يتولى إرسالها بنفسه ففعل(٥).

وكان لهذا التنافس اثره الملموس في ارتفاع اثمان الحمام ، حيث بيعت حمامة في بغداد في عهد العباسيين بسبعمائة دينار ، وبيعت اخرى حملت إليها من القسطنطينية بألف دينار ، وكانت تباع بيضة الطائر المشهور بالفراهة بعشرين دينار (٦) .

---

(١) السيوطي: حسن المحاضرة ، ج٢ ، ص ١٨٦-١٨٧ .

(٢) الصولي، أدب الكتاب، ج٢، ص ١٣٤ .

(٣) قدامة بن جعفر ، الخراج، ص ٥٦-٥٧، ابن الطقطقي، الفخري، ص١٠٧ .

(٤) الغزولي: مطالع البدور، ج٢، ص ٢٦٠ .

(٥) القلقشندي صبح، ج١٤، ص ٤٣٥ .

(٦) القلقشندي صبح، ج١٤، ص ٤٣٥، السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ١٨٦ .

رسائل الحمام بالايجاز فيستغنى فيها عن البسلمة ، والمقدمات الطويلة والالقاب الكثيرة مما كانت تحفل به الرسائل في العصور الاسلامية ، ويكتفي فقد بذكر التاريخ والساعة وايراد المطلوب بصيغة مختصرة . كالتى تستعمل في البرقيات في وقتنا الحاضر، وجرت العاده أن يكتب في اخرها وحسبنا الله ونعم الوكيل. (١).وذلك حفظا لها.

كما أن الكتب الرسمية والتي تصدر من حاضره الخلافة أو من قبل الامراء والخلفاء والولاة تميزت بالايجاز والاختصار ، فقد حث جعفر بن يحيى البرمكي كتابه على الايجاز والاختصار، كان مما قاله في ذلك "ان استطعتم ان تكون كتبكم كالتوقيعات ففعلوا "(٢)

وكانت تلك الكتب تختم وتعنون ثم تؤرخ وبعدها ترسل في الخريطة البريدية إلى ديوان البريد الرئيسي .ومن ثم يقوم صاحب البريد بارسالها إلى أصحابها (٣).

وفيما يتعلق باثمان الحمام الزاجل فمما لا شك فيه ان ادارة بريد الحمام الزاجل قد كلفت خزانة الدولة اموال كثيره وبخاصة إذا ادركنا ان الخلفاء العباسين وكبا ر رجال دولتهم ورؤساء الناس ، ولا سيما في البصره البعيده عن مركز الخلافة بغداد إقتنوا الحمام الزاجل لاغراضهم وتنافسوا في اقتنائه (٤) حتى من الفقهاء ورجال الدين انفسهم لم يمتنعوا عن المنافسة فيه والاخبار عنها . ومن طريف ما يذكر ان اهل البصرة وجهوا إلى بكار بن شيبه البكراني قاضي مصر وكان من فضله وعقله ومن دينة وورعه ما لم يكن عليه قاض بحمامات لهم مع ثقات ، وكتبوا إليه ان يتولى إرسالها بنفسه ففعل(٥).

وكان لهذا التنافس اثره الملموس في ارتفاع اثمان الحمام ، حيث بيعت حمامة في بغداد في عهد العباسيين بسبعمائة دينار ، وبيعت اخرى حملت إليها من القسطنطينية بألف دينار ، وكانت تباع بيضة الطائر المشهور بالفراهة بعشرين دينار (٦) .

---

(١) السيوطي: حسن المحاضرة ، ج٢ ، ص ١٨٦-١٨٧ .

(٢) الصولي، أدب الكتاب، ج٢، ص ١٣٤ .

(٣) قدامة بن جعفر ، الخراج، ص ٥٦-٥٧، ابن الطقطقي، الفخري، ص١٠٧ .

(٤) الغزولي: مطالع البدور، ج٢، ص ٢٦٠ .

(٥) القلقشندي صبح، ج١٤، ص ٤٣٥ .

(٦) القلقشندي صبح، ج١٤، ص ٤٣٥، السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ١٨٦ .

وقد وصلت أسعار بعض الحمام ، ان بيعت الواحده منها بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك شيء من الطير ومن دخل بغداد والبصرة عرف ذلك ، كما وتباع البيضة بخمسة دنانير والفرخ بعشرين ديناراً (١) الامر الذي جعلهم يعتنون بإدارته، وتعين موظفين عندهم دفاتر بأنساب الحمام، وبعد المسافات فكما أن العرب اعتنوا بالخيل والابل والفوا الكتب بانسبها ، كذلك الامر بالنسبة للحمام فالف بعضهم كتبا تبحث في أصلها وميزاتها وخصائصها ونظموا الاشعار فيها(٢).

ويعد الحمام الزاجل واحدا من اهم وسائل نقل البريد ولا سيما البريد العسكري فقد عني العباسيون به عناية خاصة وأتقنوا إستخدامه في نقل الاخبار بشكل منظم ، فقد وردت الأخبار بأن الخليفة هارون الرشيد استعان بالحمام الزاجل للتعرف على اخبار اقاليم الدولة المختلفة، حيث أنه كان لا يشتهي شيئا من معرفة أخبار الامصار والبلدان إلا وخط فيه كتاباً ، يامر بإيصاله حيث شاء من الاماكن فيأتيه الجواب من يومه من ميسرة شهر ونحوه على أجنحة الحمام(٣) ، ومن شده اهتمامه بالحمام الزاجل أمر الموكلون بالحمام بان لا يهتموا بغير ما قلدوا ولا يتشاغلون بغير ما حمّلوا إنما يوجهوا عنايتهم واهتمامهم بمراقبة الحمام الزاجل (٤). وهذا يعني ان اول اشاره إلى استخدام الحمام ترجع إلى عهد الخليفة هارون الرشيد .

كما استعمل الحمام الزاجل في عهد الخليفة المأمون ، ومما روى بهذا الصدد "ان المأمون نظر إلى جارية أم جعفر سكر، وقال لها أحره أنت أم مملوكه ؟ فقالت له لا ادري ، إذا غضبت عليّ أم جعفر قالت: انت مملوكة وإذا رضيت قالت :انت حره فقال لها اكتبي اليها الساعة فاسأليها عن ذلك، فكتبت كتابا وصلته بجناح طائر من الهدي (٥). وهذه اشارة واضحة على انتشار استعمال الحمام الزاجل في نقل الرسائل.

---

(١) الجاحظ ، الحيوان ، ج٣، ص ١١٨.

(٢) السعداوي : نظام البريد، ص ١٤٥.

(٣) ابن قتيبة المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٣.

(٤) ابن قتيبة المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٣.

(٥) الجاحظ، رسائل ، ج٢، ص ١٥٧.

وفي خلافة المعتصم ، عندما انتصر قائده الأفشين على بابك الخرمي سنة ٢٢٢هـ ٨٣٧م وقضى عليه اطلقت الطيور ، إلى المعتصم وكتب إليه بالفتح (١) كما راج هذا النوع من البريد عند فرقة الباطنية ، فقد استعان عبد الله بن ميمون بالطيور في نقل الاخبار إلى أنصاره ، فكان له مرتبون في مواضع مختلفة يرغبهم ويحسن إليهم ، ويعاونوه على نواحيه ومعهم طيور يطلقونها من المواضع المتفرقة إلى الموضع الذي هو فيه (٢).

وفي القرن الثالث الهجري استخدمت احدى الفرق السياسيه في الدولة الاسلامية الحمام الزاجل ، إذ نظم رئيس فرقة القرامطة في العراق الحمام الزاجل واستخدمه على نطاق واسع لنقل الاخبار من جميع النواحي بالعراق قبل اذاعتها بين الناس وهكذا استعان هذا الرئيس القرمطي بالشعوذه وايهام الناس بعلم الغيب وتقدير المقادير(٣) .

وفي خلافة المعتمد سنة ٢٥٦هـ ٨٦٩ م ولي دمشق وال يقال له ماحوز و كان صارما شجاعا لا يقطع في عمله الطريق ،حيث وجه فارسا إلى اذرعات فمرّ باليرموك ، فصادفه أعرابي فنتف خصلتين من شعره فلما عاد الفارس اخبر ماحوز بما فعله الأعرابي ، فطلب ماحوز معلما ليعلم الصبيان ،لكي يتمكن من رصد الاعرابي واعطاه كتابا ليدفعه لاهل القرية واعطاه طيورا وطلب منه ارسال هذه الطيور تحمل الاخبار بالقبض على الاعرابي فلما قبض المعلم على الاعرابي اطلق الطيور إلى دمشق بالخبر (٤) .

وفي اوائل القرن الرابع الهجري نجد أخبار كثيرة عن استعمال الحمام بالعراق فمن ذلك أنه لما تولى الوزير حامد بن العباس الوزاره عام ٣١٠هـ ٩١٨م وروسل بالقدوم إلى الخليفة فكتب على عدة أطيار بخروجه في يومه (٥) .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب، ج٤، ص ٥٦.

(٢) ابن النديم : الفهرست ، ٣٢٨،٣٢٩.

(٣) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج٢، ص ٤١٦.

(٤) الحميري : الروض المعطار ، ص ١٩-٢٠.

(٥) مسكويه : تجارب الأمم ج١، ص ٥٧.

وحكى عريب في حوادث سنة ٣١١هـ/٩٢٣م أن القرامطة لما دخلوا البصرة أخبروا الناس بعزل ابن الفرات وولاية حامد بن العباس قبل أن يجيء الخبر إلى البصرة بأربعة أيام ولما جاء الخبر بعد ذلك لاهل البصرة وعلموا ما أرادت القرامطة بذلك وان الخبر اتاهم من وقته في جناح طائر (١) .

وعندما قرب القرامطة من الأنبار تشوق الخليفة إلى معرفة أخبار أبى طاهر القرمطي فلما عرف أبو علي بن مقلة ذلك طلب اطيارا وانفذها إلى الانبار وكتب عليها أخبار القرمطي (٢) .

ويظهر أن الأخبار والرسائل التى يحملها الحمام الزاجل ، كان يعتمد عليها اعتمادا كاملا أثناء الحرب مع القرامطة ، ففي سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م اشتد خطر القرامطة فرتب الوزير على بن عيسى بين بغداد وبين مقرهم في نهر زبارا المرتبين ، وسلم إليهم مائة طائر إلى مائة رجل يكتبون له على أجنحتها كتبا بخبر العدو في كل ساعة (٣).

وفي سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م استطاع ابن قرابة ان يحمل إلى الوزير ابن مقلة اخبار سلامه الكوفة من القرمطي ، لأن أطيار جاره ، وكان من اهل الكوفة حملت إليه انباء اصدق مما حملته اطيارأصحاب المعونة المعين في الكوفة من قبل الوزير، فتعجب ابن مقلة من ان يكون ابن قرابة اعرف باخبار الكوفة من صاحب المعونة (٤).

وذكر مسوكيه عند كلامه على حوادث سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م أن البريديين كانوا يستخدمون الحمام في البريد ففي هذه السنة عندما قتل ياقوت اطلق بالخبر على جناح الطائر إلى البريدي حيث امره ان يجمع بين راسه وجثته ويدفن بالموضع الذي قتل فيه (٥).

وفي سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م ورد كتاب الطائر إلى تكريت من بغداد بظهور ابن رائق بمدينة السلام ، في الجانب الغربي ، ومعه القرامطة حيث خاف الخليفة الراضي من ابن رائق والقرامطة ، فتوجه إلى الموصل وبقي فيها قلقاً من ابن رائق (٦) .

---

(١) عريب بن سعد : صلة الطبري، ص ٩٧.

(٢) ابن الأثير الكامل من التاريخ ، ج٧، ص ٤٠، الصابي: الوزارة ، ص ٣٤٨،٣٤١.

(٣) مسكويه : تجارب الامم ، ج١، ص ١٧٨ .

(٤) مسكويه : تجارب الامم ، ج١، ص ٢٦٢.

(٥) مسكويه : تجارب ، الامم ، ج١، ص ٣٤٨، الهمذاني، تكملة ، ص ٣٠٣.

(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٢ ، ص ٢٢٣ .

ومن غريب أخبار سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م أن بجكم كان له كاتب على امر داره وحاشيته ، وكان معه في السفينة عند انحداره إلى واسط ، واثناء ذلك سقط طائر على ظهر السفينة ، فاخذه غلمان بجكم احضروه إليه ، فوجد على ذنبه كتابا ، ففتحه فاذا هو من هذا الكاتب إلى أخ له مع البريدي يخبره بخبر بجكم وما هو عازم عليه (١).

ووصلت الرسائل في ذلك العصر من الرقة والموصل إلى بغداد وواسط والبصرة والكوفة بواسطة الاطيار في يوم وليلة (٢).

ومما تجدر الاشارة إليه هو أن الحمدانيين استعملوا الحمام في رسائلهم ، ومما روى بهذا الصدر «أن ابا يعلي محمد بن يعقوب البريدي الكاتب قصد سيف الدولة الحمداني ، وجلس بحضرته ، واثناء ذلك جاء براج الموكل ببرج الحمام الزاجل ، بكتاب طائر عرف سقوطه من بغداد ويذكر فيه قتل أبى عبد الله البريدي أخاه ابا يوسف واستيلائه على البصرة (٣).

كذلك استعان الامراء البويهيون بالحمام الزاجل في نقل البريد ، ففي سنة ٣٤٥هـ سقطت أطيارا في حضرة معز الدولة بالاهواز على نسخة واحده ، بوقوع فتنة روز بهان وانجلائها عن الظفر بروزبهان وأخذه أسيرا (٤).

كما أن الامير البويهى بختيار بن معز الدولة البويهي ، استعان بالحمام الزاجل من اجل القبض على سبكتكين حيث أن بختيار اتفق مع والدته واخوته أنه إذا كتب اليهم بالقبض على الاتراك ، يظهرون أن بختيار قد مات ويجلسون للعزاء فإذا حضر سبكتكين ، عندهم قبضوا عليه فلما قبض على الأتراك كتب إليهم على أجنحة الطيور بذلك (٥).

---

(١) مسكوية : تجارب، ج١، ص ٤١٤، ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ١٤٨-١٤٩، ابن كثير، البداية ، ج١١، ص ٢٠٣ .

(٢) الثعالبي : ثمار القلوب ص ٤٦٨ .

(٣) التنوخي: نشوار المحاضرة ، ج٢، ص ٤٨٤ .

(٤) مجهول: الحدائق والعيون : ج٢، ص ٤٨٤ .

(٥) النويري : نهاية الارب في فنون الأدب، ج٢٦، ص ١٩٩-٢٠٠ .

ومن غريب أخبار سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م أن بجكم كان له كاتب على امر داره وحاشيته ، وكان معه في السفينة عند انحداره إلى واسط ، واثناء ذلك سقط طائر على ظهر السفينة ، فاخذه غلمان بجكم احضروه إليه ، فوجد على ذنبه كتابا ، ففتحه فاذا هو من هذا الكاتب إلى أخ له مع البريدي يخبره بخبر بجكم وما هو عازم عليه (١).

ووصلت الرسائل في ذلك العصر من الرقة والموصل إلى بغداد وواسط والبصرة والكوفة بواسطة الاطيار في يوم وليلة (٢).

ومما تجدر الاشارة إليه هو أن الحمدانيين استعملوا الحمام في رسائلهم ، ومما روى بهذا الصدر «أن ابا يعلي محمد بن يعقوب البريدي الكاتب قصد سيف الدولة الحمداني ، وجلس بحضرته ، واثناء ذلك جاء براج الموكل ببرج الحمام الزاجل ، بكتاب طائر عرف سقوطه من بغداد ويذكر فيه قتل أبى عبد الله البريدي أخاه ابا يوسف واستيلائه على البصرة (٣).

كذلك استعان الامراء البويهيون بالحمام الزاجل في نقل البريد ، ففي سنة ٣٤٥هـ سقطت أطيارا في حضرة معز الدولة بالاهواز على نسخة واحده ، بوقوع فتنة روز بهان وانجلائها عن الظفر بروزبهان وأخذه أسيرا (٤).

كما أن الامير البويهى بختيار بن معز الدولة البويهي ، استعان بالحمام الزاجل من اجل القبض على سبكتكين حيث أن بختيار اتفق مع والدته واخوته أنه إذا كتب اليهم بالقبض على الاتراك ، يظهرون أن بختيار قد مات ويجلسون للعزاء فإذا حضر سبكتكين ، عندهم قبضوا عليه فلما قبض على الأتراك كتب إليهم على أجنحة الطيور بذلك (٥).

---

(١) مسكوية : تجارب، ج١، ص ٤١٤، ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ١٤٨-١٤٩، ابن كثير، البداية ، ج١١، ص ٢٠٣ .

(٢) الثعالبي : ثمار القلوب ص ٤٦٨.

(٣) التنوخي: نشوار المحاضرة ، ج٢، ص ٤٨٤.

(٤) مجهول: الحدائق والعيون : ج٢، ص ٤٨٤.

(٥) النويري : نهاية الارب في فنون الأدب، ج٢٦، ص ١٩٩-٢٠٠.

ومن طريف ما يروى أنه في منتصف القرن الرابع الهجري ، جهز الخليفة المقتدر جيشا إلى إحدى الجهات ، وكان شديد التطلع إلى أخبار هذا الجيش ، فأرسل أحد رجال الحاشية ويدعى أبو العباس أحمد بن الخصيب ، طيورا بصحبة بعض ثقاته مع الجيش ، وقال لصاحبه سرح كل يوم طيورا وعليها الأخبار، فكانت الأخبار ترد على ابن الخصيب ، كل يوم فيعرضها على الخليفة المقتدر ساعة بعد ساعة ، حتى أن الخليفة لم يفته من امر الجيش شيئا فتعجب المتقدر من ذلك وعندما علم ذلك أنه من حسن تدبير احمد الخصيب استنوره (١). وهكذا فقد استخدم الحمام الزاجل في شؤون البريد في جميع مناطق الدولة العباسية .

كما كان التجار والأمراء يمكلون حماما للبريد خاص بهم (٢) . فقد تمكن هؤلاء التجار الاستفادة من الحمام الزاجل في نقل الرسائل والصكوك ، (٣)والعقود التجارية (٤).

وفي عهد الدولة الطولونية (٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) استخدم الحمام الزاجل على نطاق واسع،(٥) الا أن استخدام الحمام في نقل المراسلات ، بلغ درجة كبيرة من التقدم والرقي في عهد الفاطميين ، الذين استخدموا الحمام في نقل الأخبار من سفن الاستطلاع التى كان يوكل إليها مراقبة حركة الأساطيل النورمانية ، التى دابت على الاغارة على شواطيء افريقية في أواخر العهد الفاطمي(٦).

واشار ابن الأثير إلى ما وصلت إليه البحرية الفاطمية من تقدم في استخدام الحمام لربط الاسطول بقواعد د البرية والحصول على معلومات من اجل الدفاع واتخاذ الاحتياطات اللازمة(٧).

وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على أن استخدام الحمام في المراسلات البحرية ، ماهو الا نتيجة لتطور في أساليب تدريب الحمام في نقل المراسلات البرية ، وما يتطلبه ذلك من محاولات ترجع

---

(١) ابن طباطبا : الفخري، ص ٢٧٠.

(٢) Ali , Mazaheri , Orta Cagda Musulmanlarin yasayisl p.g. 631.

(٣) الصك : وهو الكتاب، ، وهو كلمة فارسية معربة، وهو الذي يكتب للعهدة ، ويجمع صكاكاً وصكوكاً وكانت الأرزاق تسمى صكاكا ، لانها كانت تخرج مكتوبة، وكان الناس يتسلمون ارزاقهم واعطياتهم بموجب هذه الصكوك. ابن منظور، ج٧، ص ٣٧٩، مادة صكك . أدي شير، الألفاظ ، ص ١٠٨ .

(٤) صبحي الصالح، النظم الإسلامية ، ص ٣٩٧.

(٥) انظر البلوي : سيرة أحمد بن طولون، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٦) ابن الأثير : الكامل، ج٩، ص ٣٥٠.

(٧) ابن الأثير : المصدر السابق، ج٩، ص ٣٥٠-٣٥١.

منطقيا إلى فترة سابقة لاخر عهد الفاطميين ، فقد اشرت سابقا إلى أن اهل العراق كانوا يدربون الحمام برا وبحرا على نقل المراسلات .

وكان اهتمام الفاطميين بأمر البريد بين مصر والشام أمرا طبيعا .لحدوث الاضطرابات السياسية بالشام ، ولتعرض الشام لغزوات البيزنطيين بين الحين والاخر ولذلك استخدم الفاطميون في هذا المجال الحمام الزاجل ، وهناك العديد من الاشارات التاريخية التى تؤكد مدى الاتصالات بين مصر وسائر انحاء الشام بوساطة الحمام .

ومن هذه الاشارات ما ذكره المقريزى ضمن احداث سنة ٣٨٢ هـ/٩٩٢م ، عندما أمر الخليفة العزيز بالله منجوتكين والي دمشق بإنتزاع ، حلب من بنى حمدان فيقول : «وفي جمادى الأولى ورد الخبر إلى القاهرة على جناح الطائر ، بان سعد الدولة شريف بن سيف الدولة بذل لمنجوتكين الف الف درهم ...ليرحل عنه» (١) . ثم قال في مكان اخر :« وسقط الطائر بعده بان منجوتكين، غنم غنيمة عظيمة من الاموال والرجال والدواب من البيزنطيين ».(٢)

كما استخدم الحمام الزاجل لنقل الهدايا من الشام إلى مصر وقال الانطاكي ضمن احداث سنة ٤١١هـ / ١٠٢٠م« وصل إلى القاهره من طرابلس الشام حمايم تحمل هدية من فاكهة يابسة ورطبة وغير ذلك من الماكولات » (٣) . كما نقلت الفاكهة القراصية البعلبكية ، إلى الخليفة العزيز بالله من دمشق ايضا بواسطة الحمام الزاجل، حيث ذكر الخليفة العزيز الفاطمي ٣٦٥هـ -٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) لوزيره يعقوب بن علي أنه ما رأى القراصية البعلبكية (الكرز)، وإنه يحب أن يراها، ويوجد بدمشق حمام من مصر وبمصر حمام من دمشق فكتب الوزير لوقته بطاقته يامر فيها من هو تحت أمره بدمشق أن يجمع ما بها من الحمام المصري ويعلق في كل طائر حبات من القراصية البعلبكية ، ويرسلها إلى مصر ففعل وانطلق الحمام صوب العاصمة ، فوصلت ابراجها ثم قام الوزير بجمع الحبات وتقديمها إلى العزيز فكان من أغرب الغرائب لديه(٤).

---

(١) المقريزي : اتعاظ الحنف، ج١، ص ٢٧٥.

(٢) المقريزي : المصدر السابق، ج١، ص ٢٧٥.

(٣) الانطاكي: تاريخه ، ص ٢٠٠، .

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشا، ج١٤، ص ٤٣٦.

من الرواية السابقة نستنتج أنه كان يوجد خط بريد يربط الشام بمصر بواسطة الحمام مما أدى الى وصول القراصية البعلبكية في نفس اليوم .

وبلغت العناية بالحمام ذروته في عهد المماليك بأن أعدت له أبراج في كل ثلاثة عشر ميلا كما اقاموا لها نظارا وحراسا، يراقبون وصول الحمام نهارا وليلا ، خوفا من أن يمر عليهم وهم عنه غافلون(١).

وبلغ من إهتمام الفاطميين بالحمام أن أفردوا له ديوانا وجرائد بأنساب الحمام (٢) وأقاموا له أبراجا خاصة فيها عمال يراقبون قدوم الحمام وسفره ، وكان عليهم أن يراعوا عدم السماح للحمام بالمغادره الا في ظروف مناسبة . (٣) فقد كانت في مدينة دمشق في العصر الفاطمي أبراج خاصة بالحمام الزاجل من حمام مصر ، وفي مصر حمام من دمشق لحمل الرسائل (٤).

وفي خلافة الحاكم بامر الله استخدم الحمام الزاجل لنقل الأخبار بين دمشق والقاهره(٥) وغالبا ما كانت وظيفة الحمام نقل الأخبار الهامة جداً والتى تستدعي سرعةكبيرة، وسرية متناهية كما انه استخدم لنقل أخبار الحروب ، وبعض الشؤون السياسية ، والتجارية ، بين دمشق والقاهره(٦).

كما أن جواسيس الحسن بن عمارة استخدموا الحمام الزاجل لايصا ل أخبار والي دمشق منجوتكين إلى سيدهم في القاهره بعد وفاة العزيز بالله سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م (٧).

وبهذا كان الخلفاء الفاطميون يضمنون وصول أخبار الولايات إلى القاهره ، سواءً كان ذلك عن طريق أصحاب البريد أو عن طريق الحمام الزاجل .

---

(١) القلقشندي : المصدر السابق، ج١٤، ص ٤٣٧-٤٣٨، ابن شاهين زبدة كشف الممالك ، ص ١٧١ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشا، ج١٤، ص ٤٣٥ ، ابن شاهين الظاهري، زبدة الممالك، ص ١١٦.

(٣) السعداوي ، نظام البريد ، ص ١٤١ .

(٤) حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٢٩٥.

(٥) القلانسي، تاريخ دمشق، ص ٧٧.

(٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ج١، ص ٢٧٥-٢٧٦.

(٧) ابن القلانسي ، تاريخ دمشق، ص ٧٧.

ثالثا : البريد المائي أو البحري .

لا تتوفر معلومات كافية لرسم صورة واضحة عن تنظيم البريد المائي ، لذا سيكون الحديث عنه موجزا لافتقارنا لماده خصبة لتغطيته ، إذ اننا لا نجد له ذكرا في مؤلفات المؤرخين والجغرافيين العرب .

وكانت تستخدم فيه المراكب البحرية لذلك يذكر الحسن بن عبد الله واذا كانت البلاد بحرية فليكن لصاحب الخبر مراكب خفيفة سريعة (١).

وقد استفاد العباسيون من المجاري والانهار المائية في نقل الأخبار ، أو إيصال الرسائل والكتب والأوامر فاستخدموا سفن البريد لإيصال الرسائل والأخبار عبر المجاري المائية (٢) .كما أن الرسائل كانت توضع في بعض الاحيان في قصبة ، وتربط بحزمة من الحشيش وترمى في النهر وذلك إذا كان المرسل إليه عن طريق المجرى المائي (٣).

ولكن الاعتماد على هذا النوع من النقل كان ضعيفا (٤) واكثر تعرضا للخطر من غيره فقد يتنبه العدو له ، فيراقب مجاري الانهار كما أن الرسالة قد يعترضها صخرة في النهر ، أو حيوان نهري ، أو سفينة ، فيعوق سيرها مع التيار فتضطر أن تركن (٥).

وكان يوجد في كل من نهري دجلة والنيل سفن البريد السريع وهذه السفن كانت تقطع في اليوم ستين فرسخا أو ١٨ ميلا وكان بوسع المسافرين أن يركبوا هذه السفن (٦).

ومما تجدر إليه الملاحظة هو أن القوة البحرية التى بناها العرب في العصور الاسلامية الوسطى ولا سيما في عهد الدولة الفاطمية . لا يمكن أن تبسط جناحها في ربوع البحار بهذه السرعة المدهشة الا إذا كانت متكئة على بريد بحري محكم الإدارة والتنظيم حتى يضمن لها سلامة خطوط تموينها الخلفية ، وخطوط دفاعها وقد اشرت سابقا إلى ما وصلت إليه البحرية الفاطمية من تقدم في استخدام الحمام لربط الأسطول بقواعده البرية.

---

(١) عبد الله بن الحسن : آثار الدول، ص ٨٥.

(٢) خالد جاسم الجنابي : البريد العسكري في العصرالعباسي، مجلةالمؤرخ العربي، ج١٤، عدد٣٥، ١٩٨٨، ص٥٩.

(٣) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج١، ص٢٠١.

(٤) عطية القوصي ، الحضارة الإسلامية ، ص ٣٨.

(٥) السعداوي : نظام البريد ، ص ٢٥٧ .

(٦) Ali . Mazahier p. 360.

ثالثا : البريد المائي أو البحري .

لا تتوفر معلومات كافية لرسم صورة واضحة عن تنظيم البريد المائي ، لذا سيكون الحديث عنه موجزا لافتقارنا لماده خصبة لتغطيته ، إذ اننا لا نجد له ذكرا في مؤلفات المؤرخين والجغرافيين العرب .

وكانت تستخدم فيه المراكب البحرية لذلك يذكر الحسن بن عبد الله واذا كانت البلاد بحرية فليكن لصاحب الخبر مراكب خفيفة سريعة (١).

وقد استفاد العباسيون من المجاري والانهار المائية في نقل الأخبار ، أو إيصال الرسائل والكتب والأوامر فاستخدموا سفن البريد لإيصال الرسائل والأخبار عبر المجاري المائية (٢) .كما أن الرسائل كانت توضع في بعض الاحيان في قصبة ، وتربط بحزمة من الحشيش وترمى في النهر وذلك إذا كان المرسل إليه عن طريق المجرى المائي (٣).

ولكن الاعتماد على هذا النوع من النقل كان ضعيفا (٤) واكثر تعرضا للخطر من غيره فقد يتنبه العدو له ، فيراقب مجاري الانهار كما أن الرسالة قد يعترضها صخرة في النهر ، أو حيوان نهري ، أو سفينة ، فيعوق سيرها مع التيار فتضطر أن تركن (٥).

وكان يوجد في كل من نهري دجلة والنيل سفن البريد السريع وهذه السفن كانت تقطع في اليوم ستين فرسخا أو ١٨ ميلا وكان بوسع المسافرين أن يركبوا هذه السفن (٦).

ومما تجدر إليه الملاحظة هو أن القوة البحرية التى بناها العرب في العصور الاسلامية الوسطى ولا سيما في عهد الدولة الفاطمية . لا يمكن أن تبسط جناحها في ربوع البحار بهذه السرعة المدهشة الا إذا كانت متكئة على بريد بحري محكم الإدارة والتنظيم حتى يضمن لها سلامة خطوط تموينها الخلفية ، وخطوط دفاعها وقد اشرت سابقا إلى ما وصلت إليه البحرية الفاطمية من تقدم في استخدام الحمام لربط الأسطول بقواعده البرية.

---

(١) عبد الله بن الحسن : أثار الدول، ص ٨٥.

(٢) خالد جاسم الجنابي : البريد العسكري في العصرالعباسي، مجلةالمؤرخ العربي، ج١٤، عدد٣٥، ١٩٨٨، ص٥٩.

(٣) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج١، ص٢٠١.

(٤) عطية القوصي ، الحضارة الإسلامية ، ص ٣٨.

(٥) السعداوي : نظام البريد ، ص ٢٥٧ .

(٦) Ali . Mazahier p. 360.

رابعا : وسائل بريدية مختلفة.

الى جانب البريد البري المتمثل بالخيول والابل والجمال والجمازات والبريد الجوي المتمثل بالحمام الزاجل والبريد المائي كان هناك العديد من الوسائل التى استخدمت لنقل الأخبار ، ولا سيما في البريد العسكري كالمناور والطبول واستعمال السهام ورمي الحجارة ، واستخدمت النار كوسيلة في نقل الأخبار وخاصة في الجهات الواقعة في اسيا الصغري وبلاد الشام والتي كانت خاضعة للدولة البيزنطية (١) لان هذه الدولة كانت تستعملها وتدعى هذه النار بنار الحرب وهي النار التي كانوا يوقدونها إذا أرادوا حربا .وتوقعوا جيشا وأرادوا الاجتماع أوقدوا ليلا على جبلهم نارا ليبلغ الخبر أصحابهم (٢) .

وبمرور الزمن حظيت هذه النار بنصيب وافر من العناية في ظل الدولة الاسلامية ، فوضع نظام لاشعالها، وخصص عمال لمراقبتها ، ورصدت لها الاموال في بيت المال (٣) وعرفت الأماكن التى تشتعل فيها النار بالمناور وهي عبارة عن مواضع رفع النار في الليل والدخان في النهار ، وتكون تاره على رؤوس الجبال وتاره تكون في أبنية عالية ومواضعها معروفة (٤).

وتعتبر المناور من أسرع وسائل الانذار والتحذير المبكر التى استخدمها المسلمون في العصور الوسطى، وهي تشبه في سرعتها وسائل الاتصال اللاسلكية الحديثه ، من حيث فعاليتها في سرعة نقل اشارات الانذار والتنبيه .

وقد أتقن المسلمون العرب بدورهم استخدام المناور ، منذ موجة الفتوح الأولى ، إذ يروي البلاذري أن « عمر بن الخطاب ، كتب إلى معاوية بن أ بى سفيان في إقامة الحرس على مناظر بلاد الشام ، واتخاذ المواقيد لها (٥) ، وشاع استخدام هذه الوسيلة السريعة الناجحة في التحذير والإنذار ابان العهد الاموي لتتبع أخبار الفتن الكبرى ، والفتوح الكثيره ، ورصد تحركات اعداء الدولة على الحدود .

---

(١) ادم متز، الحضارة الإسلامية ، ج٥، ص ٤١٥-٤١٦.

(٢) الجاحظ : الحيوان، ج٢، ص ٤٧٤ ، القلقشندي صبح، ج٤، ص ٤٩٧، الغزولي: مطالع البدور، ج٢.ص ١٨.

(٣) المقريزي : الخطط، ج١، ص ١٥٧، السعداوي، نظام البريد، ص ١٥١ .

(٤) العمري: التعريف، ص ٢٨٧، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١٤، ص ٤٤٥ .

(٥) البلاذري، فتوح، ١٧٥.

فقد عزز الحجاج بن يوسف الثقفي جهاز البريد ، بنظام سريع من المراسلات في المنارات والمناظر بين واسط والثغور النائية، فتدل إشارتها الضوئية في الليل والدخان المنبعث عنها في النهار على الوضع في الأقاليم المتاخمة للاعداء وحاجتها إلى المدد (١).

وخلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، استخدمت هذه المناور استخداما حسنا على طول سواحل الشمال الافريقي ، وكانت القوافل والتجار تسير في الطرق وهي آمنة لكثرة الحصون وا لمحارس على ساحل البحر حتى أن النار كانت توقد من مدينة سبتة إلى الاسكندرية فيصل الخبر منها إلى الاسكندرية في ليلة واحدة وبينهما مسيرة شهر (٢). كما أن الخبرمن طرابلس الغرب إلى الاسكندرية ينقل خلال ثلاث أو أربع ساعات .(٣).

ويذكر المقريزي أنه كان في مناره الاسكندرية قوم مرتبون لإيقاد النار طوال الليل فيقصد ركاب السفن تلك النار على بعد . فاذا رأى اهل المناره ما يريبهم أشعلوا النار من جهة المدينة، فاذا راها الحرس ضربوا الأبواق والأجراس ، فيتحرك عند ذلك الناس لمحاربة العدو (٤).

وكان يختار لهذه المناور والمناظر في بلاد الشام المواقع الاستراتيجية ، وساعدهم على ذلك طبيعة البلاد وكثرة الجبال فيها ، فكانت مناور الثغور والرباطات على طول سواحل بلاد الشام متصلة بمنارات من الداخل ، تنتهي عند المنطقة المسؤولة عن الدفاع عن ذلك الثغر أو الرباط (٥).

ب - الطبول والابواق والاعلام :-

كانت هذه الوسائل بمثابة اشارة أو علامة ا خبارية بين القائد والجيش في المعارك والحروب وقد استخدمت هذه الوسائل في ثورة بابك الخرمي عام٢٢٢هـ/٨٣٦م ، وذلك عندما تعذر على الأفشين قائد المعتصم الاتصال بجنده في ميدان القتال، وذلك لكثرة الدروب وتشعب الطرقات بين جبال أذربيجان العظيمة الارتفاع ، وكثيرة الالتواء ، فاستعان الأفشين بالطبول لإعلام قواته بحركات سيره

(١) العمد ، الحجاج، ص ٣٨٦،٣٨٥.

(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج١ ، ص ١٧٤.

(٣) ابن تغري بردي : المصدر السابق ج١، ص ١٧٤.

(٤) المقريزي : الخطط ج١، ص ١٥٧.

(٥) احسان صدقي العمد : وسائل انذار مبكر عند المسلمين، مجلة العربي، عدد ٣٠٢، ١٩٨٤، ص ١٧٥.

ووقوفة (١) . كما أنه كـان يحمل اعلاما سوداء كبارا عددها اثنا عشر علما يحملهـا اثني عشر بغلا (٢).

وعندما عزم الموفق على لقاء صاحب الزنج ، استعان بالأعلام السوداء والابواق كي تكون اشارات بينه و بين قواته في ساحات القتال وذلك لكثرة عدد العساكر وبعد المسافة بينهم وامر الناس وجموع العساكر أن لا يزحفوا حتى يحرك علما اسود كان قد نصبه على إحدى الدور ، أو حتى ينفخ في بوق بعيد الصوت (٣). وقد استمر استخدام الأبواق والمشاعل في العهد البويهي(٤).

ففي عام٣٤٧هـ/٩٥٨م. حاصر جوهر الصقلي قائد المعز الفاطمي مدينة فاس ، ثم أرسل أحد قواده مـع جماعة من الجند ليعبروا إلى داخل المدينة ، وامرهم بعد اداء المهمة أن يقوموا بضرب الطبول واشعال المشاعل ، إذا كانت هذه هي الاشارة المتفق عليها كـي يتمكن من إقتحام مدينة فاس(٥).

جـ - السهام ورمي الحجارة :-

وقد استخدمت هاتان الوسيلتان في الحالات التي يتعذر ويصعب وصول البريد إليها، وخاصة في حالة الحصار، فقد ذكر الهرثمي بانه في حالة الحصار جرت العاده أن يكتبوا الأخبار على السهام ثم يرمون بها إلى داخل الحصن (٦).

كذلك استعين بالحجارة من اجل إيصال المعلومات والأخبار إلى من بداخل الحصار (٧).

ولئن دلت وسائل البريد وانواعه السالفة الذكر على شيء فا نما تدل في المقام الاول على يقظة الخلفاء وادراكهم للاخطار المحدقة بهم ووقوفهم دائماعلى اهبة الاستعداد لتلافي حدوث اي عارض يؤدي إلى اخلال الموازين في دولتهم كما يدل بوضوح على تطور العقلية العربية من الناحيتين العسكرية والادارية .

---

(١) الطبري : ج٩ ، ص ٣٤ ، ٣٦، ٤٢، ٤٣.
(٢) الطبري : ج٩، ص ٣٢-٤٣.
(٣) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٥، ص١٨٨.
(٤) مجهول : العيون والحدائق ، ج٤، ص ٤٤٩.
(٥) ابن الأثير : الكامل، ج٧، ص ٢٦١- ٢٦٢.
(٦) الهرثمي: مختصر سياسة الحروب ، ص ٦٤.
(٧) الطبري تاريخ : ج٥، ص ٤٤٩ ، جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج١، ص ٢٠١.

ووقوفة (١) . كما أنه كـان يحمل اعلاما سوداء كبارا عددها اثنا عشر علما يحملها اثني عشر بغلا (٢).

وعندما عزم الموفق على لقاء صاحب الزنج ، استعان بالأعلام السوداء والابواق كي تكون اشارات بينه و بين قواته في ساحات القتال وذلك لكثرة عدد العساكر وبعد المسافة بينهم وامر الناس وجموع العساكر أن لا يزحفوا حتى يحرك علما اسود كان قد نصبه على إحدى الدور ، أو حتى ينفخ في بوق بعيد الصوت (٣). وقد استمر استخدام الأبواق والمشاعل في العهد البويهي(٤).

ففي عام٣٤٧هـ/٩٥٨م. حاصر جوهر الصقلي قائد المعز الفاطمي مدينة فاس ، ثم أرسل أحد قواده مـع جماعة من الجند ليعبروا إلى داخل المدينة ، وامرهم بعد اداء المهمة ان يقوموا بضرب الطبول واشعال المشاعل ، إذا كانت هذه هي الاشارة المتفق عليها كي يتمكن من إقتحام مدينة فاس(٥).

جـ - السهام ورمي الحجارة :-

وقد استخدمت هاتان الوسيلتان في الحالات التي يتعذر ويصعب وصول البريد إليها، وخاصة في حالة الحصار، فقد ذكر الهرثمي بانه في حالة الحصار جرت العاده أن يكتبوا الأخبار على السهام ثم يرمون بها إلى داخل الحصن (٦).

كذلك استعين بالحجارة من اجل إيصال المعلومات والأخبار إلى من بداخل الحصار (٧).

ولئن دلت وسائل البريد وانواعه السالفة الذكر على شيء فا نما تدل في المقام الاول على يقظة الخلفاء وادراكهم للاخطار المحدقة بهم ووقوفهم دائماعلى اهبة الاستعداد لتلافي حدوث اي عارض يؤدي إلى اخـلال الموازين في دولتهم كما يدل بوضوح على تطور العقلية العربية من الناحيتين العسكرية والادارية .

---

(١) الطبري : ج٩ ، ص ٣٤ ، ٣٦، ٤٢، ٤٣.
(٢) الطبري : ج٩، ص ٣٢-٤٣.
(٣) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٥، ص١٨٨.
(٤) مجهول : العيون والحدائق ، ج٤، ص ٤٤٩.
(٥) ابن الأثير : الكامل، ج٧، ص ٢٦١- ٢٦٢.
(٦) الهرثمي: مختصر سياسة الحروب ، ص ٦٤.
(٧) الطبري تاريخ : ج٥، ص ٤٤٩، جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج١، ص ٢٠١.

ب - استعمالات البريد وخدماته :-

تنوعت الخدمات التي يؤديها البريد ، فكثيرا ما كان خلفاء بني العباس يستخدمون خيل البريد لخدمتهم وقضاء مصالحهم .(١) اذن فقد قام البريد باكثر من مهمة زمن الدولة العباسية فبالإضافة إلى مهمة نقل الأخبار من قصر الخلافة إلى اقاليم الدولة المختلفة وبالعكس ، أصبح يقوم بعدة أعمال في آن واحد ضمن اختصاصات ديوان واحد (٢) .

فقد استعمل البريد لنقل المسافرين في الحالات الطارئة الملحة ، كما هي الحال عندما سمع الخليفة بخبر وفاة المهدي – وكان في جرجان – اسرع بالمجيء على دواب البريد (٣) كما يذكر عن رسول لعضد الدولة البويهي أنه استاجر جملا في قافلة البريد من الموصل إلى بغداد (٤) .

وكانت الكتب ترد على البريد تحمل أخبار وفاة الخلفاء أو تحمل أسماء بعض الاشخاص المطلوبين من قبل السلطة ، والإشارات التاريخية على هذا الأمر كثيرة ففي سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م نفذت الكتب بالبريد تحمل خبر وفاة المنصور ومبايعة ابنه المهدي بالخلافة (٥) . وعندما توفي الرشيد كان البريد مسرعا في إذاعة الخبر وإعلان النبأ ومبايعة الأمين بالخلافة (٦). وفي سنة (٢٣٦هـ/٨٥٠م) ورد كتاب صاحب البريد بمدينة السلام على الخليفة المتوكل يذكر فيه وفاة اسحاق بن ابراهيم . كما ورد كتاب ابراهيم بن عطاء متولي الأخبار في سامراء، يذكر فيه وفاة الحسن بن سهل (٧) إذ تأثر المتوكل على وفاتهما .

---

(١) الطبري : تاريخ، ج٨، ص ٦٤٧، الأصفهاني، الاغاني ، ج٢٣، ص ٢٩٠-٢٩١، مؤلف مجهول، الحدائق ج٣، ص ٣٢١.

(٢) المسعودي، مروج ، ج٣، ص ٣٣٤، الأصفهاني، الأغاني، ج٢٣، ص ٢٩٠-٢٩١، النويري، نهاية الأرب ج٢٢، ص ٢٣٧.

(٣) الطبري، تاريخ ، ج٨، ص ٢١٤، المسعودي، مروج ، ج٣، ص ٣٣٤، التنوخي، الفرج ، ج٣، ص ٣٢٨، مؤلف مجهول، الحدائق، ج٣، ص ٢٨٣، أبو الفداء، المختصر ، ج٢، ص ١٠، ابن خلدون، تاريخ العبر ، ج٣، ق٣ ، ص ٤٥٤، ابن تغري بردي ، النجوم، ج١، ص ٧٤.

(٤) مسكوية، تجارب، ج٢، ص ٦٣.

(٥) ابن كثير، البداية ، ج١٠، ص ٣٢٩.

(٦) الطبري، تاريخ ، ج٨، ص ٣٦٥، ابن الجوزي ، المنتظم، ج٥، ص ١٦٣، ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص ٣٥٩، ابن خلدون، تاريخ ، ج٣، ص ٤٩٠، السيوطي، تاريخ، ص ٢٩١.

(٧) الطبري،و تاريخ ، ج٧، ص ١٨٤-١٨٥.

وتتابع استعمال البريد في العهد البويهي لنقل أخبار الوفيات من أمراء أو أشخاص لهم علاقة بالدولة إذ وردت الكتب على خيل البريد سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م تحمل خبر وفاة الامير البويهي شرف الدولة (١) . كما ورد كتاب صاحب البريد خلال امارة عميد الجيوش سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م يذكر فيه وفاة أبي العباس العلوي ، وكان مطلوبا من قبل السلطة إذ بذل عميد الجيوش المبالغ الطائلة من اجل الفتك به واثناء ذلك وردت الكتب على خيل البريد تحمل خبر وفاته (٢). كما كان للبريد دور في تسليم شارات الخلافة للخليفة الجديد ففي سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م عندما بويع لموسى الهادي بالخلافة توجه نصير مولى هارون الرشيد إلى الهادى بالخاتم والقضيب والبردة على بريد الناحية (٣). ومما يذكر في هذه المجال أن عامة الناس لم يسمح لهم باستعمال البريد للنقل والسفر إلا إذا دفعوا أجرا باهظا (٤)، وذلك لأن البريد وضع أصلا لخدمة مصالح الحكومة الرسمية .

وكثيرا ما كان خلفاء بني العباس ، يستخدمون خيل البريد لحمل بعض الناس إلى الخليفة أو الأمير التماسا لسرعة قدومهم ، وبخاصة هؤلاء الذين تحدثهم نفوسهم بالخروج على طاعة السلطان ، كما أنه استخدم لحمل عمال الامصار إلى مقار وظائفهم واعمالهم (٥).

فعندما توفي الخليفة أبو العباس السفاح طلب أبو جعفر المنصور من أبي مسلم الخراساني أن يرد إلى الانبار على البريد لضبط العسكر فيها (٦) . وفي عهد الخليفة المنصور رفع إليه أن رجلا عنده ودائع وأموال لبني أمية فأمر بإحضاره على البريد (٧) ، كما امر بإحضار احد الأشخاص ويدعي عبد الرحمن بن أبي الموالي على البريد من أجل سؤاله عن أبناء الحسن بن عبد الله (٨).

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد رفع إليه أن رجلا من بني أمية ، عظيم المال والجاه كثير الخيل

---

(١) أبي شجاع ذيل تجارب الأمم، ج٣، ص ١٥٨.

(٢) أبي شجاع، المصدر السابق، ج٣، ص ٤٣٩-٤٤٠.

(٣) الطبري، تاريخ ص ١٨٧ ، الجهشياري، الوزراء، ص ١٩٧ ، الثعالبي، لطائف، ص ١٣١ ، ابن الاثير ، الكامل، ج٥، ص ٢٦٤، ابن كثير، البداية ج١٠، ص ١٣٨.

(٤) فيليب حتي، تاريخ العرب المطول، ٣٩٩.

(٥) الطبري، تاريخ ، ج٨، ص ٤٢٠-٤٢١، الشابشتي، الديارات، ص ٧٠٦، إبن تغري بردي النجوم، ج٤، ص١١.

(٦) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣٧٨.

(٧) التنوخي، المستجاد في فعلات الأجواد ، ص ١٨٤-١٨٥.

(٨) الأصفهاني، مقاتل الطالبين ، ص ١٩٢.

والجند يخشى على المملكة منه ، فطلب من خادمه أن يحضره على البريد إلى دمشق (١).

وفي خلافة المتوكل هرب محمد بن البعيث بن جليس ، وكان قد جيء به أسيرا من أذربيجان سنة (٢٣٤هـ/٨٤٨م) ، وحبس وكان الوالي بأذربيجان محمد بن حاتم بن هرثمة مقصرا في طلبه فولى المتوكل حمدوية بن علي أذربيجان ، ووجه من سر من رأى على البريد (٢). كما استخدم البريد من قبل كل من المهدي والأمين والمأمون ، وغيرهم في استقدام بعض الاشخاص (٣).

كما كانت بعض الحاجيات والمواد الخاصة تنقل على البريد ففي عهد الخلافة الاموية استخدم الخليفة الوليد بن عبد الملك البريد لنقل الفسيفساء من القسطنطينية إلى دمشق ، ليصفح منها حيطان المسجد الجامع بها ، ومساجد مكة والمدينة والقدس (٤). وبهذا يكون البريد قد استخدم في أمور الدين والدنيا .

وفي سنة (١٦٠هـ/٧٧٦م) ، حمل محمد بن سليمان ، الثلج للخليفة المهدي على البريد(٥). إلى جانب ذلك كان البريد ينقل البضائع احيانا فقد اعتاد المأمون أن يجلب البطيخ الممتاز من خوارزم إلى بغداد في البريد كما كان البريد يجلب إلى الواثق قوالب من الرصاص معباة في الثلج (٦). وكذلك كان الخليفة المأمون يهادي أخاه الأمين ويبعث إليه من طرف خراسان ويواصله بكتبه على البريد (٧) . وعندما اشتهى الخليفة أكل رطب آزاد اثناء جلوسه على نهر البذنذون في طرسوس ، جاءته بغال البريد تحمله إليه (٨) .

واستمر استخدام البريد في نقل البضائع للامراء والسلاطين في العهد البويهي ، فكانت بواكير الفواكه تصل إلى قصور السلاطين طيبة سليمة ، إذ كان يحمل المرتبين بواكير الفواكة

---

(١) الابشيهي ، المستطرف، ص ٤٦٤٥.

(٢) مؤلف مجهول الحدائق، ج٢، ص ٥٣٩.

(٣) الطبري، تاريخ، ج٩، ص ٥٣٤، البيهقي، المحاسن، ص ٢٠٢، التنوخي، المستجاد، ص ٥٣، التنوخي، الفرج، ج٢، ص ٢٦. ص ٢٥٣ ابن خلكان، ج١، ٣٣٧.

(٤) القلقشندي ، صبح ، ج١٤، ٤١٣، العمري، التعريف، ج١، ص ٢٦٥.

(٥) الطبري ، تاريخ ، ج٨، ص ١٣٤، ابن الجحوزي، المنتظم، ج٨، ص ٢٣٩، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٨.

(٦) الثعالبي، لطائف ، ص ٢٦٦.

(٧) مؤلف مجهول ، الحدائق، ج٢، ص ٣٢١.

(٨) ابن طيفور، الطبري، تاريخ، ج٨، ص ٦٤٧، ابن العمراني انباء ، ص ١٠٢، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٦٤٥، أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٣٢،٣١، مؤلف مجهول، الحدائق، ج٣، ص ٣٧٨، النويري، نهاية الأرب، ج٢٢، ص ٢٣٧، الحنبلي، شذرات، ج٢، ص ٢٧١.

والمشموم من نواحي فارس وخوزستان فتصل طرية (١) ، وهذا إن دل على شيء فانما يدل على ما يتصف به البريد من السرعة في النقل ، وعلى ما تميزت به طرق البريد من تطور وتقدم في عهد الامراء البويهين .

ولم تقتصر إستعمالات البريد على ذلك ، بل أستخدم في مجال التسلية والترفيه، فعندما اشتهت جواري الخليفة المهدي أن يسمعن ربيعة الرقي ، وجه إليه المهدي طلبا ليأتي ، حيث حُمل على البريد (٢) . كما أن الخليفة هارون الرشيد كان يحب جارية له تدعى مادة وعندما اشتاق اليها أنفذ خادمه على البريد لإحضارها(٣) ، كما أرسل الرشيد إلى فارس بريدا ، عندما سمع عن ضراب العود المبدع (٤) .

واستخدم البريد في النواحي الادبية والعلمية والطبية ، فمن الناحية الأدبية استخدم في جلب الشعراء والأدباء إلى الخلفاء (٥) . أما فيما يتعلق بالناحية الطبية فقد احضر بعض الاطباء البارعين لمعالجة الخلفاء الذين ألّم بهم مرض معين . ففي سنة١٤٨هـ/٧٦٥م أصيب الخليفة المنصور بمرض فسدت فيه معدته ، وانقطعت شهوته للطعام، وكلما عالجه الأطباء إزداد مرضه، فأشير عليه بجورجيوس بن جبرائيل، رئيس أطباء جند سابور ووصف بالمهارة في الطب، فأنفذ المنصور في وقته من يحمله على البريد (٦).

وفي سنة ١٧١هـ/١٨٧م مرض الخليفة هارون الرشيد ، وكان يعاني من صداع لحقه أعجز الأطباء ، ولم يستطيعوا معالجته ، ولم يهتدوا إلى معرفة سبب أله، فطلب من يحيى بن خالد أن يحضر له طبيبا ماهراً ، فأرسل يحيى بن خالد بريدا إلى بختيشوع بن جورجيس وحمله إلى الرشيد حيث أكرمه (٧).

وكان يوجد بديار مضر طبيب مشهور حاذق بالطب ، يعرف بلطيان وكان نصرانيا ، فأرسل الخليفة هارون الرشيد في طلبه لمعالجة جارية له ، كان عبيد الله بن المهدي قد اهداها إلى الرشيد عندما ولاه مصر ، وأحبها الرشيد حبا شديدا ، فحمل إليه بالبريد (٨).

(١) ابي شجاع (ذيل) ج٣، ص ٤٠.
(٢) الأصفهاني، الأغاني ، ج٢٣، ص ١٩٠-١٩١.
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص ٥٢-٥٣، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٨٤.
(٤) الجاحظ، التاج ، ص ٤٠.
(٥) الأصفهاني، الأغالني، ج٢٣، ص ٢٩٠ - ٢٩١.
(٦) ابن ابي أصيبعة، عيون الأنباء ، ج١، ص ١٨٣.
(٧) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ١٨٦، القفطي، أخبار العلماء، ص ٧١.
(٨) ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص ٥٤٠.

كما كان لكل من العلماء والفقهاء، نصيب في استخدام البريد، من أجل الإنتقال من مكان لآخر، فقد سمع الخليفة المتوكل عن ذي النون بن ابراهيم - أحد الوعاظ والعلماء في مصر - فأحب أن يستمع إليه، ويأخذ عنه كلامه، فأمر بحمله على دواب البريد (١).

كما أن بعض الفقهاء والأئمة كانت لهم أراء في مسألة الانتقال على البريد. فقد روي أن الليث بن سعد بن عبدالرحمن إمام أهل مصر في الفقه والحديث، كتب من علم محمد بن شهاب الزهري علماً كثيراً، ثم طلب ركوب البريد إليه - إلى الرصافة - ولكنه خاف ألا يكون ذلك لله تعالى ، فترك ذلك (٢).

على أن المهمة الأساسية للبريد، كانت أشبه بجهاز المخابرات للدولة ، وكان دورها مراقبة عمال الولايات ، والتجسس والاستخبار عن الشعب وتحركاته، ضماناً لأمن الدولة واستقرارها.

---

(١) السيوطي، تاريخ ، ص ٣٥٠.

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص ١٢٧.

الفصل الخامس
طرق البريد ومحطاته

- عوامل وشروط قيام الطـرق.
- إهتمام الدولة الإسلامية بطرق المواصــلات والبريــد.
- تأمين طرق المواصلات من هجمات اللصوص وقطاع الطرق.
- طرق البريد في بلاد الشــام.
  ١. الطرق البريــة.
  ٢. الطرق الداخلية في بلاد الشــام.
  ٣. الطريق من الشام إلى بلاد الروم.
  ٤. الطريق إلى مصــــر وإفريقيا.
- الطرق البريــة في العــراق.
  ١. الطرق الداخلية في العراق.
  ٢. الطرق الخارجيـــــة:
    - طريق بغداد إلى مكــة.
    - الطريق الشمالي الغربي.
    - الطريق من بغداد إلى المشرق ونواحيه.
    - الطريق بين العــــراق والشـــام.
- محطات البريد.
- أثر طرق البريد ومحطاته على النواحـي السياسيـــة والعسكرية والإدارية والإقتصادية.
- سكك البريد في العراق.

طرق البريد ومحطاته:-

هناك علاقة وطيدة بين طرق المواصلات ونظام البريد، فمنذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) استفاد العباسيون من أنظمة البريد التي كانت معروفة منذ القدم في سوريا وبلاد ما بين النهرين، والتي كان الفرس والرومان قد استخدموها لإيصال رسائل الدولة، وزاد إهتمام الرومان بالبريد وانشأوا له طرقاً جديدة في بلاد الشام، فبنوا فيها المحطات ووضعوا فيها الحاميات وكانت هذه الخدمات البريدية في الغالب مرافقة للخدمات العسكرية والتجارية ولم تنفصل عنها. ونظراً لتوحيد بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين في الدولة الإسلامية، فقد انتعشت خطوط المواصلات ما بين هذين الإقليمين ، وأصبحت الطرق تقطع الصحراء الفاصلة بينهما. ومع هذه الوحدة بدات الخدمات البريدية الصحراوية مع بداية قيام التنظيمات في الدولة العباسية[١].

كما وجه الخلفاء العرب إهتماماً بالغاً بتنظيم طرق المواصلات وصيانتها والمحافظة عليها، مما ساعد على تذليل العقبات والصعوبات أمام القوافل الواردة والصادرة، وأمام حركات الجيوش المندفعة عبر الأقاليم الشاسعة .

وكان هناك شروط وعوامل لا بد أن تتوافر في أي مركز أو مرحلة من الطريق، حتى تكون مأمونة أو صالحة . ومن هذه الشروط :- توافر الماء العذب في الطريق [٢] ، كأن يكون قرب بحيرة ماء، أو في مسارات الأودية والأنهار للاستفادة من العشب حول مصاب الأنهار ومن المياه [٣] ، أو أن تكون بها برك ماء مصنوعة [٤] ، ومما يعزز أهمية الموقع ليكون طريقاً للبريد أو للتجارة أو للحجج طبيعة الموقع من حيث ، السهولة والصعوبة (أي يجب أن تبتعد طرق المواصلات عن المناطق الجبلية والصخرية الوعرة المسالك ، وذلك لتسهيل التنقل، ومن ثم المقدرة على الوصول إلى مصادر المياه كالواحات والأودية مثل مدينة دمشق [٥] ، حمص [٦] ، الرملة [٧] ، بغداد [٨] ،

---

(١) صالح درادكه ، البريد وطرق المواصلات في بلاد الشام، المؤتمر الدولي الخامس لبلاد الشام، ١٩٩٢، ص ١٩٧،١٩٨.

(٢) الاصطخري المسالك ، ص ٥٨، ابن حوقل صورة ق٢، ص ١٦٠،١٦٢،١٦٦،١٦٧،

(٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٤١،٢٥٢،٢٥٣.

(٤) سعد الراشد ، الحجاز وشمال غرب الجزيرة، المؤتمر الدولي الرابع لبلاد الشام، ١٩٨٧، مجلد الثاني، ص٤٧٣.

(٥) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٦١،١٦٢ .

(٦) ابن حوقل: المصدر السابق، ص ١٦٢،١٦٣ .

(٧) المقدسي : احسن التقاسيم، ص ١٦٥.

(٨) ابن حوقل: صورة الأرض، ق٢ ص ٢١٥،٢١٦.

والبصرة ، [١] كانت في بسطة من الأرض إذ أن الانتقال منها وإليها يكون سهلاً على دواب الحمل. كما يجب أن تتوافر فيها الحصون والقلاع والمواقع المحمية من العاديات، مثل صور[٢] الساحلية التي تعتبر من أحصن الحصون على شاطئ البحر المتوسط، وكذلك مدينة الجحفة التي بناها عمر بن عبد العزيز على طريق المدينة من مكة [٣] ، ومدينة تكريت المشهورة بقلعتها الحصنة المطلة على نهر دجلة [٤] ، وآمد التي وصفها المقدسي بقوله «لا أعرف للمسلمين اليوم بلداً أحصن ولا ثغر أجل منها في تخوم المسلمين بوجه عام» [٥]. وكانت الرقة وهي من الجزيرة محصنة بحصن عريض يسير على متنه فارسان[٦].

وهكذا نلاحظ أن هذه المراكز والمدن قد حافظت على نفسها، كمواقع تجارية ومرورية ، بسبب ما فيها من حصون وقلاع [٧].

ويعتبر وجود السوق دلالة ومؤشر على فعالية هذا الطريق ، كما هو الحال في منبج التي وصفها ابن حوقل.[٨] «بأنها كثيرة الأسواق» بالاضافة إلى مدينة دمشق ، التي اشتهرت بأسواقها[٩] وكان المقدسي قد أبدى اعجابه بحسن أسواق الموصل ، فأثنى عليها وعلى سعة محالها وفنادقها التي أعدت سكناً للتجار الغرباء[١٠]. ومن أسواق مدن العراق، أسواق مدينة واسط ومدينة الأبلّة، والتي تميزت بحسنها وسعتها[١١].

وقد يكون لتوفر المنتجات الزراعية في المنطقة أثر في أن تصبح مركزاً تجارياً، كما هي الحال بالنسبة لحمص التي كانت خصبة الأراضي، وشيزر وحماة اللتان كانتا كثيرتي الشجر والزرع

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض ، ص ٢١٢.

(٢) ابن حوقل صوره ص ١٦٢.

(٣) مؤلف مجهول : الحدائق والعيون ، ج٣، ص ٦٣، سعد الراشد : الحجاز وشمال غرب الجزيرة العربية ، وصلتها ببلاد الشام في صدر الإسلام، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، الندوة الثانية ، مجلد الثاني، ١٩٨٧، ص٤٧٣.

(٤) الاصطخري ، المسالك ، ص٥٤، ابن بطوطه رحلة ،ج١، ص ٢٥٤ .

(٥) المقدسي ، أحسن التعاليم ، ص ١٤٠.

(٦) المقدسي ، أحسن التقاسيم، ج١، ص ١٤١.

(٧) المقدسي ، احسن ، ج١ ، ص ١٤١،١٤٦، ابن بطوطه ، رحلة، ج١، ص٢٠٤.

(٨) ابن حوقل، صورة ق١، ص ١٦٣.

(٩) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ق١، ص ٢٢٧-٢٣٠.

(١٠) المقدسي: أحسن التقاسيم ، ص ١٢٨.

(١١) المقدسي: المصدر السابق، ص ١١٧-١١٨.

والفواكهة والخضر[١]. ومدينة واسط وهي من مدن العراق الكبرى ، وكانت أراضيها وفيرة الخصب كثيرة البساتين والأشجار ، تمد بغداد بالميرة إذا أصابها القحط [٢]. ونصيبين كانت كثيرة الفواكه [٣]. وكانت الأبلّة مدينة عظيمة يقصدها تجار الهند وفارس [٤]. والقادسية على شفير البادية ، وهي قرية ذات نخل ومياه وزروع ليس بالعراق بعدها ماء جارٍ ولا شجر[٥].

كما كان هناك شرط لا بد من توافره لبقاء المراكز أو المنزل منزلاً متميزاً، ويأخذ صفة الإستمرارية ، وهو وجود المنازل والحمامات والفنادق والخانات التي بقدر ما يتوفر فيها الراحة والخدمات بقدر ما يكون المركز قادراً على الإستمرارية والبقاء. ومن اشهر المدن التي توافرت فيها المنازل هي :- حلب التي يقول عنها ابن حوقل [٦] « كان لها أسواق حسنة، وحمامات وفنادق كثيرة ، ومحال عراض فسيحة» . في حين كانت الرملة قصبة فلسطين ذات فنادق رشيقة وحمامات أنيقة وأطعمة نظيفة ومنازل فسيحة [٧] . كما اشتهرت بغداد بكثرة حماماتها[٨]. ووصف المقدسي مدينة نصيبين بقوله « هي أنزه وأرحب من الموصل كثيرة الفواكه وبها حمامات حسنة[٩] . ويقال بأن عمر بن عبدالعزيز هو أول من اتخذ دار ضيافة وخانات للمسافرين فبنى الجحفة على طريق الشام ومكة [١٠].

اهتمام الدولة الإسلامية بطرق المواصلات والبريد.

عندما استقرت الأوضاع السياسية في الجزيرة العربية على يد خليفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ انطلق العرب ، في حركة فتوح إلى أطراف الجزيرة وخارجها فشملت الشام والعراق ، وإيران ، والقسم الشرقي في آسيا الصغرى ومصر وشمال افريقيا، وما أن قارب القرن الأول

---

(١) ابن حوقل : صورة الارض، ص ١٦٢-١٦٣.
(٢) ابن بطوطة ، رحلة ، ج١، ص ٢٠٤.
(٣) المقدسي: ج١، ص ١٤٠.
(٤) ابن بطوطة ، رحلة ، ج١، ص٢١٠.
(٥) الاصطخري، المسالك والممالك ، ص٥٠.
(٦) ابن حوقل: صورة الارض ، ص ١٦٣.
(٧) المقدسي . احسن التقاسيم ، ص ١٦٤.
(٨) ابن بطوطة ، رحلة ، ج١، ص ٢٤٢.
(٩) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٤٠.
(١٠) مؤلف مجهول، الحدائق والعيون ، ج٣، ص ٦٣.

الهجري/السابع الميلادي على الإنتهاء ، حتى كانت كل هذه المناطق قد خضعت لدولة الإسلام، ومن هنا بدأت الدولة الإسلامية بالإهتمام بطرق المواصلات بشكل عام وبطرق البريد والتجارة بشكل خاص.

ومن مظاهر إهتمام الخلفاء بطرق المواصلات ما قام به الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك من بناء وإعمار (٨٦ - ٩٦هـ / ٧٠٥ - ٧١٥م)، إذ كان محبوباً عند أهل الشام لأنه صاحب عمارة وبناء ، إذ عمّر الضيّاع ، ووضع المنار في الطرقات من أجل تحسين الطرق والبريد[(١)] . كما أنه حفر آبار المياه في طريق مكة إلى الشام [(٢)] ، بالإضافة إلى أنه وضع علامات تبين المسافات بالأميال على الطرق [(٣)]، كما ان الوليد كتب إلى عمر بن عبدالعزيز سنة ٨٨هـ/٧٠٦م « بتسهيل الثنايا وحفر الآبار بالمدينة وخرجت كتبه إلى البلدان بذلك» [(٤)] ، وتابع الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧ - ٧٢٠م) أعمال الوليد في إصلاح الطرق ، وتوفير أسباب الراحة فيها، وهو من الأوائل الذين بنو الخانات في الطرق، وأول من اتخذ دار ضيافة [(٥)] . فقد كتب إلى والي خراسان سليمان بن أبي السري، ليبني البيوت بالطرقات ويطعم المسافرين ، ويقوم بخدمة المرضى منهم ويدفع النفقات لتأمين سفرهم إلى أهلهم إذا اقتضى الأمر ذلك [(٦)].

ويعتبر الخليفة هشام بن عبدالملك (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٤-٧٤٣م) من أعظم الخلفاء في مجال الإهتمام بالطرق ، إذ بنى عليها القصور والحدائق المزودة بالماء والمنافع ، كالسدود والمخازن والأقنية والآبار[(٧)] . وأبنية أخرى لا يزال بعضها مشاهداً في الأردن والبادية السورية وقد أولى هذا الخليفة بنفسه عناية فائقة بالطريق بين سوريا ومكة [(٨)].

كما أكدت الإكتشافات الأثرية في بلاد الشام، على إهتمامات خلفاء بني أمية بطرق المواصلات ولا سيما طرق البريد ، فأول هذه المكتشفات ، ما عثر عليه بفلسطين في نهاية القرن التاسع عشر

---

(١) مؤلف مجهول ، الحدائق والعيون ، ج٣، ص١١.

(٢) مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ج٣، ص ١٢.

(٣) مؤلف مجهول، المصدر السابق ، ج٣، ص٥. Al. Rashid , Darb Zubayda. p.96.

(٤) الطبري ، تاريخ ، ج٦، ص ٤٣٧، مؤلف مجهول ، المصدر السابق، ج٣، ص٤. مؤلف مجهول،ج٣، ص٦٣.

(٥) مؤلف مجهول ، ج٣، ص ٦٣.

(٦) ابن الأثير ، الكامل، ج٥، ص٦٠، مجهول ، الحدائق ، ج٣، ص٦٣.

(٧) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٢٠٥.

(٨) Al. Rashid, Darb Zubada. p.g.p.

الميلادي ، من أحجار ميلية تحمل إسم الخليفة عبد الملك بن مروان ، وهذه الاحجار يبدو أنها سلسلة من علامات المسافة التي وضعت على الطريق الواصل بين دمشق وبيت المقدس [١] . كما أنه عثر في منطقة الجليل سنة ١٩٦١ م ، على حجر تذكاري يحمل إسم الخليفة عبد الملك بن مروان ومؤرخ في سنة ٧٣هـ/٦٩٢م . ويفيد النص المنقوش على الحجر أن الخليفة عبد الملك بن مروان ، أمر يحيى بن الحكم بتسهيل منطقة وعرة تعترض مسار الطريق [٢] . وهذه المكتشفات، تؤكد بأن الفضل في الاهتمام بالطرق يعود الى الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م) ، الذي أمر بصنع الأميال . وهي مسح الاراضي لوضع حدود على كل مسافة قدرها ميل -وبعمارة أربعة طرق تخرج من ايليا ومن دمشق [٣] .

ومن ثم سار الخلفاء الأمويين على نهجه ، وبذلك تمكن بنو أمية من تأمين طرق المواصلات والتي كانت من أهم عوامل ازدهار التجارة .

وبعد إنتقال الخلافة من الامويين إلى العباسيين تنبه العباسيون إلى أهمية الطرق ، وليس من الناحية الاقتصادية فحسب ، بل من حيث دورها الإداري والعسكري . إذ تابعت دولة بني العباس الإهتمام بالطرق وصيانتها والمحافظة عليها ، وذلك لعدة اسباب منها [٤]: حركات الجيوش المستمرة ، حيث إستفاد الجنود من طرق البريد كما استخدموا قوافل البريد وسعاته كادلاء نظراً لخبرتهم الجيدة في معرفة الطرق ، وكذلك استدعت الحاجات الإدارية ، وبخاصة بعد اتساع رقعة الدولة وذلك من أجل ربط العاصمة بغداد باقاليم الدولة المختلفة ، وللحفاظ على استمرارية صدور المعلومات من العاصمة(بغداد) الى الامصار المختلفة وبالعكس ، إذ أن تمرير المعلومات العسكرية والادارية ، والمالية ، بحاجة إلى طرق جيدة ومأمونة ، لذلك اعتني بطرق البريد بشكل زائد ، وقد وصل الأمر إلى أن تكون هناك طرق خاصة بالمصدقين ، بالاضافة إلى حركة التجارة وما يترتب عليها من نقل السلع

---

(١) سعد الراشد ، الحجاز وشمال غرب الجزيرة العربية ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، المجلد الثاني ، ١٩٨٧، ص٤٧٣.

(٢) سعد الراشد ، الحجاز وشمال غرب الجزيرة العربية ، ص ٤٧٣-٤٧٤.

(٣) سيد كاشف ، الوليد بن عبد الملك ، ص١٨١-١٨٢ حول اهتمام خلفاء بني امية بالطرق انظر.
Al Rashid , Darb Zubaydah , p. g 1.6.

(٤) صالح العلي ، طرق المواصلات القديمة في بلاد العرب ، مجلة العرب ،ج١١ ، مجلد ٢ ، لعام ١٩٦٨، ص٩٧٠-٩٧١.

من مكان الى اخر ، وأخر العوامل هو الحج لما للحج من مكانة كبيرة في الدين الاسلامي ، ولأثر الحج في جلب الناس والدعاية . وحرص الخلفاء على الاستفادة منه لأغراض سياسية مما جعلهم يهتمون بكل ما يتعلق بالحجاج ، وتوفير الراحة لهم ومن ذلك إهتمامهم بالطرق التي يسلكها الحجاج ، فعنوا بها من حيث إزالة العقبات ووضع العلامات . وكان من مهام أمير الحج توفير الامن والراحة والتموين ، وتأمين الطعام والماء للركب ، وتحديد منازل الراحة والإقامة (١) .

ومن مظاهر اهتمام الخلفاء العباسين بطرق المواصلات والبريد ما قام به الخليفة ابو العباس السفاح سنة (١٣٤هـ/٧٥١ م) ، من ضرب المنائر والاميال من الكوفة الى مكة (٢) ، بالإضافة إلى بناء القصور والمنازل من القادسية إلى زبالة (٣) . ولما تولى المنصور الخلافة إهتم بطرق البريد ، فخصص المبالغ الطائلة لتهيئة وسائل النقل السريعة كالخيول والجمال ، كما أمر بإصلاح الطرق، وبناء الجسور ، والمنازل ، والقناطر ، وانشاء السكك والمحطات (٤) . فقد ذكر الاصبهاني أن المنصور كان يقول : « لاأبيت على تضيع الطريق فهو قوام الملك» (٥) .

وفي عهد الخليفة المهدي ، حدثت تنظيمات بريدية مختلفة فقد إهتم بطريق الحج إلى مكة ، كما أنه أمر في سنة (١٦١ هـ /٧٧٧ م) ببناء القصور من القادسية إلى زبالة ، فامر بالزيادة في المصانع (٦) وبتجديد الاميال والبرك وحفر الركايا (٧) ، وجعل لذلك عاملاً خاصاً يقوم به(٨) .

وهكذا أصبح الطريق من القاد سية إلى بغداد إلى مكة من طرق المواصلات المهمة وصالحاً لاجراء الحركات العسكرية ،وبهذا يتسنى لمختلف الأصناف العسكرية أن تسلكه ، لما في مراحله من

---

(١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص١٠٩ ، الجزيري ، درر الفرائد ، ص٨٧-٩١ .

(٢) الطبري تاريخ ، ج٧ ، ص٤٦٥ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١ ،ص٣٢٥ ، ابن الاثير الكامل ، ج٦ ، ص٤٦ ، مجهول الحدائق، ج٣ ، ص٢١٠، ،النويري نهاية الأرب ، ج٢٢ ، ص٧٣.

(٣) الطبري تاريخ ج٨ ، ص١٣٦ . زبالة : منزل معروف بطريق مكة في الكوفة ، وهي قرية عامرة بها اسواق ياقوت ، معجم ،ج٣ ص١٢٩ .

(٤) ابن أعثم ، الفتوح ج٣ ص٢٨٣

(٥) ،الاصبهاني محاضرات الادباء ،ج١ ،ص١٦٩ .

(٦) المصانع ، هي احوض تبنى وتملا من مياه الابار حتى تكون الاستفادة سهلة على رجال القوافل ، الزبيدي ، ج١٢. ص ٣٧٣ صنع

(٧) الركايا : جمع ركية ، وهي البئر التي تحفر ، ابن منظور ، ج٥ ،ص٣٠٦ . ركية

(٨) الطبري ، تاريخ ،ج٨ ، ص١٣٦ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٨ ، ص ٢٤٧ ، ابن الاثير ، ج٥ ، ص ٢٤٠. ،ابو الفداء ، المختصر ، ج٢ ، ص٨ . ابن خلدون ،تاريخ ق٣ ، ج٣ ،ص٢٤٤، ابن تغري بردى ، النجوم ج٢ ، ص٤٩ . السيوطي، تاريخ ، ص ٢٧٣ ، الجزيري ، درر الفرائد ، ص ٢١٦ . ابن عماد الحنبلي شذرات ، ج٢ ، ص٢٧١.

المعسكرات التي توفرت فيها المياه [١] .

وفي عام ١٦٦هـ/٧٨٢م أمر الخليفة المهدي ، بإقامة البريد بين مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبين مكة واليمن بغالا وإبلا [٢] .

وتواصل الاهتمام بطرق البريد في عهد الخليفة هارون الرشيد ، حيث أمر بحفر الآبار والبرك والمصانع والقصور ، بطريق مكة [٣] .

ولم يقتصر الاهتمام بالطرق على الخلفاء فحسب ، بل إمتد إلى الولاه على الاقاليم فعندما شخص الفضل بن يحيى إلى خراسان والياً عليها سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م أحسن السيرة بها ، فبنى الحياض والمساجد والرباطات [٤] ، كما أن الوالي صالح بن العباس (ت ٢٠٩هـ/٨٢٤ م) إستأذن الخليفة المأمون (١٩٨-٢٠٨هـ/٨١٣-٨٣٣م)باقامة البرك وبناء المحطات ، وحفر الآبار وإصلاح القديم منها [٥].

ومما تجدر إليه الملاحظة هو أن النساء في العصر العباسي ، كان لها دور في الاهتمام بالطرق وصيانتها والمحافظة عليها ، فهذة أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور تبدي إهتماما ببناء الدور وإتخاذ المصانع والبرك بمكة ، كما أنها أمرت بإنشاء مراكز للراحة في الثغر الشامي في طرسوس ، وأوقفت عليها الوقوف الكثيرة [٦] . بالإضافة إلى حفرهالعين المشاش ، بالحجاز أيام الخليفة هارون الرشيد [٧] .

أما في عصر التسلط التركي، فإننا نلاحظ عدم إهتمام الخلفاء بطرق البريد ومحطاته ، ويبدو أن السبب في ذلك هو كثرة الاضطرابات والفتن التي لحقت بالدولة في ذلك العصر . وبخاصة في الفترة ما بين (٣٢٤ - ٣٣٤هـ/٩٣٥-٩٤٥ م) حيث طرأ تغير كبير على نظام البريد وطرقه .

---

(١) نعمان ثابت ، العسكرية في الدولة العباسية ص٢٢٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص١٦٢، ابن الجوزي ، المنتظم ،ج٨ ، ص٢٤٧، إبن الاثير ، الكامل ج٥ ، ص٢٥٢ ،ابن كثير ، البداية ج١٠ ، ص١٤٣ ،ابن تغري بردى ، النجوم ج٨ ،ص ١٦٢ .

(٣) المسعودي ، مروج ،ج٤ ،ص٢٢٤، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٨٤.

(٤) الطبري ، تاريخ ج٨ ، ص٢٥٧، الجهشياري ، الوزراء ص١٩١ ، مؤلف مجهول ، الحدائق ج٣ ، ص٢٩٦ ، ابن خلكان ، الوفيات ج٤ ، ص٢٩.

(٥) الجزيزي ، درر الفرائد ، ص٢٢٦ .

(٦) المسعودي ، مروج ،ج٤ ،ص٢٢٤ ، إبن خلكان ، وفيات ، ج٢ ، ص٣١٤.

(٧) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٣٤ ، المسعودي ، مروج ،ج٤ ، ص٢٢٤ .

المعسكرات التي توفرت فيها المياه [1] .

وفي عام ١٦٦هـ/٧٨٢م أمر الخليفة المهدي ، بإقامة البريد بين مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبين مكة واليمن بغالا وإبلا [2] .

وتواصل الاهتمام بطرق البريد في عهد الخليفة هارون الرشيد ، حيث أمر بحفر الآبار والبرك والمصانع والقصور ، بطريق مكة [3] .

ولم يقتصر الاهتمام بالطرق على الخلفاء فحسب ، بل إمتد إلى الولاه على الاقاليم فعندما شخص الفضل بن يحيى إلى خراسان والياً عليها سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م أحسن السيرة بها ، فبنى الحياض والمساجد والرباطات [4] ، كما أن الوالي صالح بن العباس (ت ٢٠٩هـ/٨٢٤ م) إستأذن الخليفة المأمون (١٩٨-٢٠٨هـ/٨١٣-٨٣٣م)باقامة البرك وبناء المحطات ، وحفر الآبار وإصلاح القديم منها [5].

ومما تجدر إليه الملاحظة هو أن النساء في العصر العباسي ، كان لها دور في الاهتمام بالطرق وصيانتها والمحافظة عليها ، فهذة أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور تبدي إهتماما ببناء الدور وإتخاذ المصانع والبرك بمكة ، كما أنها أمرت بإنشاء مراكز للراحة في الثغر الشامي في طرسوس ، وأوقفت عليها الوقوف الكثيرة [6] . بالإضافة إلى حفرهالعين المشاش ، بالحجاز أيام الخليفة هارون الرشيد [7] .

أما في عصر التسلط التركي، فإننا نلاحظ عدم إهتمام الخلفاء بطرق البريد ومحطاته ، ويبدو أن السبب في ذلك هو كثرة الاضطرابات والفتن التي لحقت بالدولة في ذلك العصر . وبخاصة في الفترة ما بين (٣٢٤ - ٣٣٤هـ/٩٣٥-٩٤٥ م) حيث طرأ تغير كبير على نظام البريد وطرقه .

---

(١) نعمان ثابت ، العسكرية في الدولة العباسية ص٣٢٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، ج٨ ، ص١٦٢، ابن الجوزي ، المنتظم ،ج٨ ، ص٢٤٧، إبن الاثير ، الكامل ج٥ ، ص٢٥٢ ،ابن كثير ، البداية ج١٠ ، ص١٤٣ ،ابن تغري بردى ، النجوم ج٨ ،ص ١٦٢ .

(٣) المسعودي ، مروج ،ج٤ ،ص٢٢٤، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٢٨٤.

(٤) الطبري ، تاريخ ج٨ ، ص٢٥٧، الجهشياري ، الوزراء ص١٩١ ، مؤلف مجهول ، الحدائق ج٣ ، ص٢٩٦ ، ابن خلكان ، الوفيات ج٤ ، ص٢٩.

(٥) الجزيزي ، درر الفرائد ، ص٢٢٦ .

(٦) المسعودي ، مروج ،ج٤ ،ص٢٢٤ ، إبن خلكان ، وفيات ، ج٢ ، ص٣١٤.

(٧) اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص٣٣٤ ، المسعودي ، مروج ،ج٤ ، ص٢٢٤ .

كما وجه الطولونيون في بلاد الشام ومصر ولاسيما خمارويه بن احمد بن طولون عنايته للطرق ، ففي سنة (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م) أمر بإعداد الطريق ما بين بغداد والقطائع ، فبني على رأس كل منزل منزلاً ، فيه قصر فخم مابين مصر وبغداد ، وذلك من أجل تسهيل انتقال إبنته (قطر الندى) عند زواجها من الخليفة المعتضد[1].

وعندما إستقرت الامورللبويهين (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥م) ، أظهروا اهتماما بالغاً بطرق المواصلات ولا سيما طرق البريد ، فعملوا على تعبيد الطرق وإصلاحها وتقسيمها الى مراحل[2] ، وحفر الآبار والعيون على طول هذه الطرق، فكانت بواكير الفواكه تحمل من نواحي فارس وخوزستان ، الى قصورالسلاطين فتصل طرية وسليمة [3] . وهذا دليل واضح على إهتمام وعناية البويهين بطرق البريد وتمهيدها ، وبناء الخانات عليها ، مما أدى إلى وصولها بهذه السرعة .

ولم تقتصر حماية الدولة على طرق العراق التجارية ، وإنما شملت كافة الطرق وخاصة طرق بعض الولايات الخاضعة لسيادتها ، وظهر ذلك واضحاً في عهد الخليفة الطائع لله إلى الحسن بن ركن الدولة الملقب فخر الدولة ، حين قلده أعمال همذان والدينور واذربيجان ، فقد طلب منه «حراسة السكك والطرق، وان لا تتناولها الايدي المفسدة »[4].

وفي عهد الامير البويهي عضد الدولة ، كان يسود طرق المواصلات في العراق الأمن والاستقرار ، فما أن ولى هذا الامير إمارة البويهيين سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م حتى «حمى البلاد من كل مفسدة وحفظ الطرق من كل عائث ، وهابه من في الحواضر والبوادي »[5].

كما أنه أظهر عنايته بالطرق فمهدها ، وأصلح الطريق من بغداد الى مكه وحفر الانهار[6] ، وخصص ولاته الأموال الكثيرة لحراسة الطرق وخفارتها ، وخاصة بدر بن حسنويه الذي اهتم بتنظيم

---

(١) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج٣، ص٢٧٧ .

(٢) مسكويه ، تجارب الامم ، ج٢ ، ص٤٦ ، الزبيدي ، العراق في العصر البويهي ، ص١٨٢ ..

(٣) مسكويه ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٦ . ابو شجاع ، ذيل تجارب الامم ، ج٣ ص٤٠ .

(٤) الصابي : المختار من رسائل الصابي ، ص١٦٥ .

(٥) ابو شجاع ، ذيل تجارب الامم ، ج٣ ، ص٥٤ .

(٦) مسكويه ، تجارب ج٢ ، ص٤٦، ابن الاثير ، ج٧ ، ص٢٨٧ ، النويري ، نهاية الأرب ج٢٦ ، ص٢١٨ ،ابن كثير ، البداية ج١١ ، ص٢١٥ .

الطريق الذي يربط بغداد بالحجاز وأنفق عليه اموالاً كثيرة [١] .وأما طريق خراسان فقد قام بدرين حسنويه سنة (٣٨٦هـ/٩٩٦ م) بالإنفاق عليها وتنظيمها ، فقد حمل خمسة الاف دينار مع وجوه القوافل الخرا سانية لتصرف على خفارة الطريق [٢] ، وأنفق أموالا طائلة لإنشاء مصانع المياه على الطريق ، وإقامة القناطر وشق الطرق لتذليل السير فيها ، وإختصارها للقوافل الواردة والصادرة . كذلك إهتم البويهيون ببناء الربط [٣] لنزول المسافرين ، كما عنوا بحفر الآبار والعيون على طول الطرق التجارية وبناء القناطر والجسور لتسهيل السفر والتنقل وتعمير الطرق وصيانتها [٤] .

تامين طرق المواصلات من هجمات اللصوص وقطاع الطرق :

كثيرا ما كانت طرق المواصلات سواء البرية أو النهرية تتعرض إلى خطر اللصوص والمتمردين وقطاع الطرق ، لهذا كانت مشكلة الامن من أهم المشكلات التي واجهتها الدولة الاسلامية لتأمين هذه الطرق ، والحد من خطر قطاع الطرق . وقد إستطاع أهل مكة معالجة هذه القضية بالطرق الدبلوماسية ، حيث عقدوا سلسلةمن الاتفاقيات مع القبائل التي تقع على طرق التجارة ، ليضمنوا بها سير قوافلهم دون اي اعتداء ، وتدعى هذه الاتفاقيات " الإيلاف " الذي ورد ذكره في القرآ ن الكريم [٥] . بالاضافة إلى إرسال الولاة والقواد لمعاقبة قطاع الطرق والتخلص منهم . والأمثلة التاريخية على ذلك كثيرة ، ففي عام (١٣٨هـ/٧٥٥م) وأثناء خروج الوليد بن طريف الى شاطئ الفرات ،

---

(١) ابي شجاع ، ذيل ، ج٣ ، ص ٢٩٠ ، ابن الجوزي ، سبط مراة الزمان (خ) ق٣، ج٣ ، ص١٣٣ .

(٢) ابي شجاع ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٨٧ ، ابن كثير ، البداية ج١١ ، ص٣٨٠.

(٣) الرباط : دور الزهاد وكان في كثير منها إذا نزل النازل اقيم علف دابته وطعامه إن إحتاج الى ذلك ، وتقوم هذه الرباطات بعمل السكك تماما ، في الجهات التي لم يكن بها سكك حيث يوجد فيها اماكن للاستراحة وخزانات للمياه، كما انها قامت بالمحافظة على الامن ومراقبة الطرق ، وهذا كله يساعد بطبيعة الحال عمال البريد على اجتياز الجهات الموحشة لتادية وظائفهم . ويظهر انها كانت شائعة في الجهات الصحراوية وعلى الحدود الشمالية والشرقية . وقد كثر عددها بنوع خاص في بلاد ما وراء النهر انظر المقدسي ، احسن التقاسيم ص٦٦ ، ابن حوقل ، صورة ج٢ ص٢، ٢٨٦ . اما في البلاد النصرانية فقد كانت الاديرة تقدم ضيافة للمجتازين ، وكان كبار المسافرين ينزلون بها طلبا للراحة ، فكان بدير يوحنا على مقربة من تكريت على نهر الفرات اماكن خاصة لتضيف المسافرين ، الشابشتي ، الديارات ص٢٨٩.

(٤) ابن الاثير ، الكامل ج٧ ، ص١١٥ ، ص١٨٣ .

(٥) سورة قريش الأيات من (١-٤).

تعرض بعض التجار في منطقة نصيبين للقتل .[١] ويذكر ابن حوقل [٢] ، بأن الخناصرة حصن يحاذي قنسرين الى ناحية البادية ، وكان في وقتها مغيثا للمجتازين عليها ، لأن الطريق انقطعت في داخل الشام على التجار ، لاعتراض الولاة سبيلهم من ناحية، وضعف هؤلاء الولاة احيانا عن رد الروم وحماية الطرق من ناحية اخرى ». وتعطل حجاج الشام في سنتي (٣٥٦هـ/٩٦٦م - ٣٥٧هـ/٩٦٧م)، بسبب هلاك كثير من الحجاج القادمين من خراسان بالعطش، كما أنه لم يحج أحد من الشام ومصر لخطر الطريق ، وقطع الاعراب لها .[٣] وعاث عسكر الفاطميين سنة (٣٦٣هـ / ٩٧٣ م) بدمشق ، فلما كان بعض الايام خرج قوم من المغاربة ، يطلبون الطريق فضفروا برفقة قافلة في طريق الحُرجُلة [٤] ، قد اقبلت من حوران ، فاخذوها وقتلوا منها ثلاثة نفر[٥] . ولكن كان هناك ولاة نهضت هممهم لمواجهة الاعتداء على الطرق ، فهذا بكجور والي حمص من قبل سعد الدولة ابي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان ، عندما اشتد الغلاء بدمشق سنة (٣٧٠هـ/٩٨٠م) أوصل اليها الغلة مع العرب ، وعمّر الطرقات ، وجعل فيها من يخفر سالكيها ، وكانت العرب قد طمعت في عمل دمشق ، فعمل بجكور على حمايتها من العرب والحرامية ، فحسنت حال دمشق لذلك[٦] .

مما سبق نلاحظ أن الاعتداء على الطرق أو تهديدها قد اقترف في عصور الفوضى السياسية في بلاد الشام في القرنين الرابع والخامس الهجريين (العاشر والحادي عشر الميلاديين) . على أن هذا لايعني أنه لم يكن هناك اعتداء على الطرق قبل ذلك .

وقد أولى العباسيون طرق المواصلات الداخلية ، برية كانت أم نهرية اهتماما كثيرا من حيث تنظيمها وتأمينها ، من أخطار اللصوص وقطاع الطرق ، وكانت الدولة تقوم بإنشاء الطرق وصيانتها وحمايتها ، فإذا كانت الدولة حازمة ، كانت المواصلات آمنة . ولم يطالب التجار بدفع المكوس داخل

---

(١) الطبري تاريخ ، ج٨ ، ص٥٤١، الوليد بن طريف الشيباني الخارجي من بني شيبان ثارسنة ١٧٧هـ في خلافة هارون الرشيد ، ولقب نفسه بامير المؤمنين . الزركلي: قاموس الاعلام ،ج٨ ،ص١٢٠ .

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ، ق١ ، ص١٦٤-١٦٥ .

(٣) الجزيري درر الفرائد ، ص٢٤٤ .

(٤) الحرجلة : من قرى دمشق ، ياقوت، ج٢، ص ٢٣٩ .

(٥) ابن القلانسي ، تاريخ : من ص١٠-١١ .

(٦) القلانسي : المصدر السابق ، ص ٤٨-٥٠ .

المملكة [١] . وكثيرا ما كان هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق يعترضون طرق المواصلات القادمة الى بغداد ، فقد كثر اللصوص في المناطق الجنوبية من العراق وازداد نشاطهم خلال القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي ، على الرغم من يقظة الدولة وسهرها على الامن . ولهذا السبب أنشأت في هذه المناطق ، ولا سيما منطقة البطائح مراكز على هيئة أكواخ يقيم فيها خمسة اشخاص من المسلحين ، للمحافظة على الامن في هذه المنطقة [٢] . حيث كانت ملجأ للصوص والثوار. ولنا في اخبار الزط (اوائل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) . وثورة الزنج (اواسط القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) . وتمرد عمران بن شاهين (القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) . وابن حمدون في(القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)امثلة واضحة على ذلك [٣].

كما ان الطريق الشمالي الذي يربط بغداد بالموصل ، تعرض دوما لحركات العيارين وقطاع الطرق [٤] .

وفي عهد الدولة البويهية في العراق ، إستمر الاهتمام بطرق المواصلات من عبث المفسدين، وبذلوا جهوداً كبيرة في سبيل استتباب الامن والطمأنينة ، وقطع دابر اللصوص ، فعينوا حراسا يتناوبون العمل ليلاً ونهاراً ، وبذلوا لهم العطاء بسخاء وطلبوا منهم أن يتتبعوا المفسدين وأهل الريب . فقد ذكر عن الخليفة المطيع أنه كان حريصاً على تامين المواصلات من أخطار اللصوص . وجاء في عهد الخليفة المطيع لأبي تغلب الحمداني سنة (٣٦٦هـ/٩٧٦ م) حين ولاه أمر الجزيرة ما يلي :." وأمره بأن يوكل بالطرقات من الخيل والرجال من يتقصاها ليلاً ونهاراً ، ويستقر بها سهلاً وجبلاً ، ويسير في برها وبحرها .... ويقلد عليهم أهل النجدة والبسالة وذوي الشدة والجزالة ، ويوعز إلى من يواليه أن يتبعوا مظان أهل الريب فيشردوهم عنها ، ومكا من أهل العيث فيبعدوهم منها .... وأن يسيروا مع السابلة ، ويصحبوا من يسلك الطرق من المارة ويحموا النفوس والاموال ، ويحوطوا الذراري والتجارات ، ويقفوا على من تخلف ، ويسيروا بمسير من ضعف ، حتى لا يلحق أحد من

---

(١) عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ص١٤١.

(٢) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ص١٨٥ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ص ٨-٩ التنوخي ، الفرج ج٢ ص١٠ ، مسكوية تجارب ، ج٨ ، ص١٧١ ، ابن الجوزي، المنتظم، ج١١ ، ص٤٢ ، ابن الاثير الكامل ،ج٩ ،ص ١١٦ ، ج٨ ، ص٣٦٢. النويري ، نهاية الارب ،ج٢٥، ص١٨٥.

(٤) المسردي تجارة العراق في العص العباسي ص١٩١ .

المملكة [١] . وكثيرا ما كان هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق يعترضون طرق المواصلات القادمة الى بغداد ، فقد كثر اللصوص في المناطق الجنوبية من العراق وازداد نشاطهم خلال القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي ، على الرغم من يقظة الدولة وسهرها على الامن . ولهذا السبب أنشأت في هذه المناطق ، ولا سيما منطقة البطائح مراكز على هيئة أكواخ يقيم فيها خمسة اشخاص من المسلحين ، للمحافظة على الامن في هذه المنطقة [٢] . حيث كانت ملجأ للصوص والثوار. ولنا في اخبار الزط (اوائل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) . وثورة الزنج (اواسط القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) . وتمرد عمران بن شاهين (القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) . وابن حمدون في(القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)امثلة واضحة على ذلك [٣].

كما ان الطريق الشمالي الذي يربط بغداد بالموصل ، تعرض دوما لحركات العيارين وقطاع الطرق [٤] .

وفي عهد الدولة البويهية في العراق ، إستمر الاهتمام بطرق المواصلات من عبث المفسدين، وبذلوا جهوداً كبيرة في سبيل استتباب الامن والطمأنينة ، وقطع دابر اللصوص ، فعينوا حراسا يتناوبون العمل ليلاً ونهاراً ، وبذلوا لهم العطاء بسخاء وطلبوا منهم أن يتتبعوا المفسدين وأهل الريب . فقد ذكر عن الخليفة المطيع أنه كان حريصاً على تامين المواصلات من أخطار اللصوص . وجاء في عهد الخليفة المطيع لأبي تغلب الحمداني سنة (٣٦٦هـ/٩٧٦ م) حين ولاه أمر الجزيرة ما يلي :-« وأمره بأن يوكل بالطرقات من الخيل والرجال من يتقصاها ليلاً ونهاراً ، ويستقر بها سهلاً وجبلاً ، ويسير في برها وبحرها .... ويقلد عليهم أهل النجدة والبسالة وذوي الشدة والجزالة ، ويوعز إلى من يواليه أن يتبعوا مظان أهل الريب فيشردوهم عنها ، ومكا من أهل العيث فيبعدوهم منها .... وأن يسيروا مع السابلة ، ويصحبوا من يسلك الطرق من المارة ويحموا النفوس والاموال ، ويحوطوا الذراري والتجارات ، ويقفوا على من تخلف ، ويسيروا بمسير من ضعف ، حتى لا يلحق أحد من

---

(١) عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ص١٤١.

(٢) ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ص١٨٥ .

(٣) الطبري ، تاريخ ، ص ٨-٩ التنوخي ، الفرج ج٢ ص١٠ ، مسكوية تجارب ، ج٨ ، ص١٧١ ، ابن الجوزي، المنتظم، ج١١ ، ص٤٢ ، ابن الاثير الكامل ،ج٩ ،ص ١١٦ ، ج٨ ، ص٣٦٢، النويري ، نهاية الارب ،ج٢٥، ص١٨٥ .

(٤) المسردي تجارة العراق في العص العباسي ص١٩١ .

السالكين عيب ، ولا يغوله دون مقصد غول . ولا يلزموا احداً من المجتازين مؤونه ، ولا يحملوه ثقلا ولا كلفة ، لتؤمن السبل ، وتحمى المسالك ، وتدر للرعية المتاجر ، وتستقيم لها الاسباب العيش وتكون الطرق مظبوطة والامال محوطة» [١].

وكان صاحب ديوان البريد يتولى الإشراف على الطرق ، ويفترض فيه أن يكون عارفاً بمسالك الطرق معرفة جيدة [٢] .

وما أن تولى الامير البويهي عضد الدولة إمارة البويهين سنة (٣٧٢ هـ/٩٨٢م) حتى كان الامن والاستقرار يسود طرق المواصلات ، حيث حفظ البلاد من كل مفسدة ، وحفظ الطرق من المتمردين [٣] .

ومن شدة إهتمام الأميرعضد الدولة بالمحافظة على أمن الدولة ، أحدث نظام مراقبة الابواب، إذ منع الدخول إلى مدينة شيراز عاصمة بلاده او الخروج منها إلا لمن كان يحمل جوازاً [٤]. وذلك من أجل معرفة اللصوص وقطاع الطرق والمشبوهين .

وفي الوقت الذي عملت فيه الدولة على توفير الهدوء والسكينة والاستقرار داخل الدولة، فانها وفي الوقت نفسه أولت أهمية قصوى لتأمين كافة الثغور والحدود البرية والبحرية والنهرية، على مر العصور خاصة في الفترة التي أعقبت الفتوحات الاسلامية الكبرى في المشرق والمغرب ، فكان من مهام صاحب ديوان البريد أن يوعز إلى عماله بحفظ الطريق وصيانتها من القطاع والسراق ، ومنع انسلال الجواسيس من البر أو البحر [٥] . وإرسال تقارير بصفه دورية ومنتظمة عن حالة الثغور وما يجري فيها من أمور .

---

(١) الصابي ، المختار من رسائل الصابي ص١٩٤-١٩٥.

(٢) قدامه بن جعفر ، الخراج ، ص٧٧ .

(٣) ابن الاثير الكامل ج٧، ص١٨٣.

(٤) المقدسي ص٤٢٩ ، كما أن الامير احمد بن طولون استحدث نظاماً خاصاً باستعمال جوازات السفر في كل من بلاد الشام ومصر . البلوي ص١٢٤-١٣٨ . ويحتمل ان يكون هذا النظام موجودا في بعض انحاء الدولة العباسية، في عهد الخليفة المعتضد بالله ، انظر التنوخي ، نشوار ج١ ، ص٣١٩.

(٥) الحسن بن عبدالله ، آثار ، ص٨٥.

وهكذا نلاحظ اهتمام الدولة الاسلامية بعمارة الطرق وإصلاحها ، علاوة على جهود الرومان وغيرهم في عمارة الطرق وتسهيلها في الأصل ، حيث أن الطرق لم تكن من إنشاء العباسيين ولا من بناء الأمويين بل كانت في أكثرها طرقاً عرفتها قوافل التجارة والرحالة والجيوش، قروناً طويلة قبل أن يعنى بها العباسيون . ويرجع الاهتمام بطرق المواصلات لاكثر من سبب أهمها : تسهيل حركة الحجاج والرحالة والتجار والجيوش وضمان سرعة وصول البريد [(١)]. وأخبار الأقاليم .

طرق البريد في بلاد الشام والعراق :

لقد اعتنى الجغرافيون العرب بتصنيف هذه المسالك عناية فائقة ، حيث زودونا بقوائم للطرق والمنازل ، والمسافات ومن الذين الفوا في مسالك البلاد الاسلامية ابن خرداذبة (ت ٢٧٢ هـ/٨٨٥ م) ، الذي كان رئيس ديوان البريد في اقليم الجبال . وقدامة بن جعفر (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م) . ومن الرواد الذين تخصصوا في الطرق والمسافات وقوائم المحطات والمنازل : اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧ م) وابن رسته (ت٢٩٠هـ/٩٠٣ م) وهؤلاء الاربعة من جغرافي (القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) . ثم

حدث تطور في علم الطرق وظهر في (القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) الجغرافيون العباسيون الذين اعطونا الابعاد بالاميال ومن مشاهير هؤلاء: الاصطخري (ت في النصف الاول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) وابن حوقل (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧ م) والمقدسي البشاري (ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م) .

ومما تجدر اليه الاشارة هو انني سوف اعتمد في الحديث عن طرق البريد ومحطاته على ما أورده كل من ابن خرداذبة ، وقدامة بن جعفر وذلك بحكم عملهم في الإدارة العباسية ، والاول كان صاحب ديوان البريد في إقليم الجبال في ايران على عهد الخليفة المعتضد (٢٥٦هـ-٢٧٩هـ/٨٦٩-٨٩٢م)[(٢)] ، واما قدامة بن جعفر فقد شغل منصب صاحب البريد في أواخر أيامه من جانب الخليفة المكتفى [(٣)] .

الأمر الذي أكسبهما معرفة دقيقةبالطرق ، ولا سيما طرق البريد وسككه .بالإضافة الى المقدسي الذي توسع في الحديث عن إقليم الشام بحكم معرفته به وسياحته فيه .

---

(١) قدامة بن جعفر، الخراج ، ص ٧٧-٧٨.

(٢) ابن النديم الفهرست، ص ٥٦١، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب ، ج١، ص ١٦٥ .

(٣) كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب، ج١، ص١٥٦.

طرق البريد في بلاد الشام :

احتلت بلاد الشام موقعاً جغرافياً مهماً [١]. على شبكة المواصلات العالمية ، إذ كشفت النقوش القديمة أن بعض الطرق في بلاد الشام كانت مستعملة منذ ايام الفينيقين[٢] ، والرومان [٣]، الذين قاموا بتطوير الطرق في أنحاء بلاد الشام كافة ، وبنوا فيها طرقاً جديدة رئيسة ، ورفعوا مستواها عما هو محيط بها . وهي معلمة جيداً بالاحجار الميلية "Milestones" ، كما أنهم رصفوها وجعلوا الخدمات الضرورية على طولها[٤]. بالاضافة الى اهميتها زمن البيزنطيين ، ولا تزال معالم هذه الطرق ماثلة للعيان دون تبديل ، ومن ابرز الطرق الرومانية في بلاد الشام ، الطريق الذي يخترق سوريا من الشمال إلى دمشق ثم إلى بصرى ودرعا ، حيث تخرج فروع من دمشق إلى البحر المتوسط ، وكذلك من درعا إلى البحر الابيض غربا ، وجنوبا إلى جرش ، ومن بصرى إلى عمان ومنها الى مؤاب وبترا والبحر الاحمر ، وكان يطلق عليه طريق تراجان [٥] وتتشعب من هذا الطريق فروع كثيرة تربط معظم مدن بلاد الشام .

١- الطرق البرية :

لقد عرفت الطرق البرية التي تربط بين مدن ومناطق بلاد الشام منذ القدم ، وأهم هذه الطرق طريق دمشق –بصرى ومنها الى أيله ، وطريق اللجون ،نابلس ،القدس ، بئر السبع ومنها إلى البتراء، وأخيراً الطريق الذي يربط قيسارية باللد ثم غزة ومنها الى رفح ، [٦] بالاضافة الى مجموعة من الطرق العرضية[٧] التي تقطع بلاد الشام ، وتربط بين المدن الداخلية والصحراوية والموانئ الساحلية ، ومنها الطريق الذي يخرج من منبج إلى حلب ثم الى قنسرين وانطاكية والإسكندرونة على ساحل البحر

---

(١) لويس لومبارد ، ص٢٨.

(٢) Grant, The Syrian Desert , p. 35.

(٣) محمد كرد علي ، خطط ،ج٤، ص٢٣٥.

(٤) صالح درادكه ، البريد وطرق المواصلات في بلاد الشام في العصر العباسي ، المؤتمر الدولي الخامس لبلاد الشام ، ١٩٩٢، ص٢٠١.

(٥) Grant, The Syrian Desert , p. 33-72.

(٦) نقولا زيادة ، التطور الاداري لبلاد الشام بين بيزنطة والعرب ، المؤتمر الدولي الرابع لبلاد الشام ، ١٩٧٦، ص١٢ .

(٧) Grant, The Syrian Desert , p.g.37.

المتوسط [١] ولا تزال بقايا هذه الطرق واضحة المعالم ، في اجزاء كثيرة من بلاد الشام [٢] .

الطريق من دمشق الى مكة :

هنالك العديد من الطرق التي سلكتها القوافل من الشام إلى الحجاز قبل الإسلام ، ومن هذه الطرق طريق دمشق – بصرى – عمان – أيله الذي يستمر بمحاذاة الساحل حتى مكة [٣] .

وهناك طريق أخر يبدأ من اللجون فنابلس فالقدس إلى بئر السبع إلى البتراء ومنها إلى أيله بمحاذاة الساحل حتى مكة ، ويتابع سيره جنوباً حتى عدن على بحر العرب [٤] .

أما الطريق من دمشق الى مكه وهو المعروف بطريق الحج الشامي ،يتبع طريق تراجان الروماني وقد عرف بالتبوكيه[٥] . حيث سلكته جيوش الفاتحين لتحرير الشام من الدولة البيزنطية ، ويبدأهذا الطريق من دمشق الى ذات المنازل الى سرغ (المدورة الحالية) إلى تبوك إلى المحدثة إلى الأقرع إلى الجنينة إلى وادي القرى إلى الرحيبة إلى ذي المروة إلى السويداء إلى ذي خشب ثم إلى المدينة ، ومنها إلى مكة[٦] ، والطريق من المدينة إلى مكة مقسم إلى منازل ، تتوفر فيها المياه سواء من البرك المتجمعة من الأمطار والسيول أو من الآبار والعيون عذبة المياه [٧] ، ويبلغ طول هذا الطريق ٢٥٣ ميلا ثم يتابع الطريق مسيره نحو الجنوب حتى يصل عدن [٨] .

وقد وجهت الدولة الإسلامية عنايتها ، إلى طرق الحج الرئيسة من العراق والشام ومصر وهذه العناية كانت تشمل حراسة الطرق وتأمينها ، وإنشاء أماكن يستريح فيها المسافرون أو تيسير المياه فيها لهم على الأقل[٩] فمنذ عهد الخلفاء الراشدين وطرق الحج تلقى العناية من الخلفاء والمسؤولين

---

(١) Grant, The Syrian Desert p.37.

(٢) Grant , p. 40-41.

(٣) زيادة نقولا ، التطور الاداري لبلاد الشام بين بيزنطة والعرب، المؤتمر الدولي الرابع لبلاد الشام، ١٩٧٦، ص١٢٠.

(٤) زيادة نقولا ، التطور الإداري لبلاد الشام بين بيزنطة والعرب والمؤتمر الدولي الرباع لبلاد الشام ، ١٩٧٦ ، ص١٢٠

(٥) الطبري تاريخ ، ج٣ ، ٣٨٧ ، ٣٩١ ، ٤٠٥

(٦) قدامة بن جعفر : الخراج ،ص٨٥

(٧) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ، ص١٧٧–١٧٨ ، الإدريسي : نزهة المشتاق حج ١، ص١٤١–١٤٢

(٨) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص١٥٠

(٩) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، ج٢، ٤٠٥–٤٠٦

والوجهاء والموسرين ، فيحرصون على إنشاء المنازل وإصلاح الطرق ، ثم تابع بنو امية الإهتمام بالطرق بعامة وطريق الحج الشامي بخاصة ، ذلك أن القوافل المنظمة والمحمية والمشمولة برعايتهم ، بدأت تخرج من دمشق عاصمة دولتهم ، ولما استتبت الخلافة للعباسيين أولّوا طرق الحج اهمية خاصة[١] وكان مرد هذا الإهتمام من قبل الخلفاء والولاة من أجل وصول الحجاج إلى مكة والمدينة ، والأمر الذي لا بد أنه خدم سعاة البريد والسالكين لهذا الطريق من تجار ورحالة وغيرهم .

٢- الطرق الداخلية في بلاد الشام :

ترتبط مدينة دمشق بشبكة كبيرة من الطرق الجيدة والمنظمة التي ربطت بين المدن الداخلية والموانيء الساحلية .

الطريق العمراني [٢] والذي يبدأ من الرقة - والتي تعتبر معلما بارزاً في الطريق السورية الصحراوية نتيجة اتصالها بالعراق عن الطريق الذي يتبع شاطيء الفرات الأيمن المتجه نحو الشمال إلى الرصافة وقدره أربعة وعشرون ميلا، ثم إلى الزراعة (ولعل هذه الزراعة في سوريا اليوم شرقي جوبر [٣] ، أربعون ميلا ، ثم إلى القسطل [٤] ، ستة وثلاثون ميلا، ثم إلى السلّمية ثلاثون ميلا ثم إلى حمص - وهي مدينة على نهر العاصي في أرض مستوية خصبة من أصلح بلاد الشام تربة ، ولها مياه وأشجار وزروع كثيرة ، وعامة طريقها مفروشة بالحجارة [٥] ، أربعة وعشرون ميلا ، ثم إلى شمسين ثمانية عشر ميلاً ، ثم إلى قارا - وهي قرية كبيرة على قارعة الطريق ،

---

(١) صالح درازكة : طرق الحج الشامي في العهد الأموي ، المؤتمر الدولي الرابع لبلاد الشام ١٩٨٩ ، ص٤٣٧-٤٤١ .

(٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص٩٨- ٢١٨-٢٢٨ ، وهنالك ثلاثة طرق بريد اخرى تتجه من الرقة نحو الجنوب والغرب وكلها تمر من المدينة البيزنطية القديمة الرصافة ، وكان بإمكان ساعي البريد أن يسافر راسا من الرصافة إلى حمص او إلى دمشق إلى اي مكان اخر بواسطة الطريق الروماني المسمى ستراتا ديو كليتيانا strata Diocletiana سواء إلى دمشق او إلى بصرى اسكشام ، عن طريق الطيبة ، والسخنة وتدمر ، انظر Grant, the Syrian Desert . p. 237. ، صالح درادكة ، البريد وطرق المواصلات في بلاد الشام في العصر العباسي ، المؤتمر الدولي الخامس لبلاد الشام ، ١٩٩٠ ، ص٢٠٥.

(٣) عبدالرؤوف جبر: معجم البلدان الأردنية والفلسطينية، ص ١٢٢.

(٤) القسطل : بلدة تقع إلى الجنوب من عمان في وسط الطريق المؤدي إلى مطار الملكة علياء الدولي، ولا يزال هذا الموقع يحتفظ بإسمه حتى اليوم. محمود العبادي: اثارنا في فلسطين والأردن ص ٢٠٢.

(٥) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٤٦ ، ابن حوقل صورة الأرض ، ص ١٦٢.

وفيها عيون ومياه جارية يزرعون عليها [١] - إثنان وعشرون ميلا ثم إلى النبك إثنا عشرة ميلا، ثم إلى القطيفة عشرون ميلا، ثم إلى دمشق - وهي من أجمل مدن الشام، في مستواه من الأرض وتحيط بها الجبال وبها مياه كثيرة وأشجار وزروع متصلة، وتسمى تلك البقعة الغوطة، ويجري الماء في عامة دورهم وسككهم وحماماتهم [٢] - أربعة وعشرون ميلا.

الطريق البري الصحراوي: الذي يبدأ من الرصافة إلى الخربة خمسة وثلاثون ميلا ثم إلى العذيب أربعة وعشرون ميلا ثم إلى نهيا عشرون ميلا ثم إلى القريتين عشرون ميلا ثم جرود ستة وثلاثون ميلا، ثم إلى دمشق ثلاثون ميلا. وهناك طريق يبدأ من سليمة إلى دمشق ويعرف بالطريق الأوسط [٣]، يبدأ من سليمة إلى فرعايا ثمانية عشر ميلا ثم إلى ماء شريك عشرون ميلا، ثم إلى صدد ثمانية عشر ميلا ، ثم إلى النبك خمسة وثلاثون ميلا.

وهناك طريق بين دمشق وبعلبك يعرف بطريق البريد [٤]: ويبدأ من حمص إلى جوسيّة ثلاثة عشر ميلا ثم إلى إيعاث عشرون ميلا ثم إلى بعلبك - وهي مدينه حصينة، كثيرة الخير والغلات ، وافرة الفواكه ، تحيط بها البساتين وتخترق أراضيها الأنهار الجارية [٥] ثلاثة اميال ثم إلى طبرية – مدينة الأردن الكبرى وقصبتها وهي في سفل جبل على بحيرة جليلة ، يخرج منها نهر الأردن المشهور . وفيها مياه حارة تفور في فصلي الصيف والشتاء [٦] ، وأما بحيرة طبرية – فهي عذبة [٧] الماء خمسة عشر ميلا ، وعند طبرية يفترق الطريق إلى فرعين أحدهما يتجه إلى الرملة – قصبة فلسطين وهي مدينة حسنة عامرة بها أسواق وفنادق وحمامات أنيقة ، ومنازل فسيحة وشوارعها واسعة – وأما الآخر فيتجه من طبرية إلى بيسان ستة عشر ميلا ، ثم يتجه إلى اللجون ثمانية عشر ميلا ومنها إلى قلنسوة ، ثم إلى الرملة ، ثم إلى أزدود (أسدود) [٨] اثنا عشر ميلا ، ثم إلى غزة – وهي مدينةكثيرة

---

(١) لسترنج ، فلسطين في العهد الاسلامي ، ص ٤٢٦ .

(٢) الاصطخري ، المسالك ، ص ٤٥ ،ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٦٠-١٦١ .

(٣) ابن خرداذبة ، ص ٧٦ ، ص ١١٨ .

(٤) ابن خرداذبه ، المصدر السابق ، ص ٩٨ ، ص ١١٧ .

(٥) اليعقوبي ، البلدان ص ٧٢٣ .

(٦) ابن حوقل ، صورة ، ص ١٦٠ ، الاصطخري ، المسالك ، ص ٤٤ .

(٧) المقدسي ، احسن ، التقاسيم ص ١٦٥ .

(٨) ازدود (أسدود) وهي بلدة على الساحل الفلسطيني جنوب يافا ، قد ذكرها ابن خراداذبة ، كمحطة على طريق البريد بين مصر والشام وتقع بين محطتي الرملة وغزة ، يحيى عبدالرؤوف جبر ، معجم البلدان الأردنية والفلسطينية ، ص ١١ .

الخير ولها ربض [١] – عشرون ميلا ، ثم إلى رفح عشرة اميال ، ثم إلى العريش – مدينة ذات جامعين مفترقة المباني والغالب على أراضيها الرمال [٢] – أربعة وعشرون ميلا ، ومنها يفترق الطريق إلى طريقين أولهما يعرف بطريق الجفار [٣] ، والذي يبدأ من العريش إلى الورادة – وهي منزل قرب البحر – ثماني عشر ميلا ، ثم إلى قرية البقارة عشرون ميلا ، ثم إلى الفرما – وهي مدينة تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، عامرةبالأسواق ، وفيها ابار ونخيل إلا أن السير فيها صعب نتيجة العواصف الرملية [٤] – أربعة وعشرون ميلا. أما الطريق الآخر فهو الطريق الساحلي [٥] ويبدأ من العريش إلى المخلصةواحد وعشرون ميلا إلى قصر حصن النصارى أربعة وعشرون ميلا ، إلى الفرما أربعة وعشرون ميلا ، إلى مدينة جرجير ثلاثون ميلا إلى الغاضرة أربعة وعشرون ميلا ، إلى مسجد قضاعة ثمانية عشر ميلا ، إلى بلبيس واحد وعشرون ميلا ومنه إلى الفسطاط اربعة وعشرون ميلا [٦] ، وأمّا اخر الطرق فيبدأ من دمشق إلى الكسوه اثنا عشر ميلاً ، ثم إلى جاسم أربعة وعشرون ميلاً ثم إلى فيق أربعة وعشرون ميلاً ثم إلى طبرية ستة أميال ثم إلى اللجون عشرون ميلا ،ثم إلى قلنسوة عشرون ميلا ، ومنها إلى الرملة عشرون ميلا [٧] . كما أن هنالك طريقا اخر يعرف بطريق الجزيرة إلى الساحل الشامي : ويبدأ من الرقة إلى دوسر إلى جسر منبج – وهي مدينة نزهة ذات زروع ومياه كثيرة [٨] – إلى حلب – وهي عامرة بالسكان ، على مدرج طريق العراق إلى الثغور وسائر الشامات ولها أسواق حسنة وحمامات وفنادق كثيرة [٩] – إلى الأثارب إلى العمق إلى أنطاكية وهي مدينة على نهر العاصي وهو يشطرها شطرين [١٠] ، وعليها سور من صخر يحيط بها وجبل مشرف عليها فيه

---

(١) ابن حوقل ، صوره ، ص ١٣٥ .

(٢) ابن حوقل ، صوره ص ١٣٥ ، الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مج ص ٣٥٧ .

(٣) ابن خرداذبة ، المسالك ص ٨٠ ، قدامه بن جعفر الخراج ص ١١٨-١١٩ ، الجفار ، تطلق على الرمال الممتدة شمالي سيناء إبتداءا من رفح وهي أرض من مسيرة سبعة أيام بين فلسطين ومصر أولها رفح من جهة الشام وهي الآن جزء من مصر ، يحيى عبدالرؤوف ، ص ٦٥ .

(٤) المقدسي ، احسن ، ص ١٦٥ .

(٥) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٨٠ ، قدامة بن جعفر ، ص ١١٨ – ١١٩ .

(٦) ابن خرداذبة ، المصدر السابق ص ٨٠ ، قدامه ، المصدر السابق ، ص ١١٨-١١٩ .

(٧) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ص ٧٨ ، قدامه بن جعفر، الخراج ص ١١٨ .

(٨) ابن حوقل ، صورة ص ٦٦ ، الاصطخري ، المسالك ص ٤٦ .

(٩) ابن حوقل ، صوره ص ٣٦١ ، الاصطخري ، امسالك ص ٤٦ .

(١٠) جورج افندي ، تاريخ سوريا ص ٣٢٣ .

مزارع وأشجار وبها ضياع وقرى ونواح خصبه جدا [١] ثم إلى اللاذقية مدينة على ساحل البحر الشامي [٢] ، ثم إلى جبلة ، ثم إلى طرابلس ثم إلى بيروت - مدينة تقع على ساحل البحر ، تميزت بمناعة حصنها ويتوفر فيها الغلات الكثيرة ، وكان بها مقام الاوزاعي [٣] . ثم إلى صيداء - وهي مدينة كبيرة عامرة الأسواق محدقة بالبساتين والأشجار ، غزيرة المياه واسعة الكور - ثم إلى صور مدينة من أحسن الحصون على البحر عامرة خصبة[٤] . ثم إلى قدس ثم إلى قيسارية - بلد كبير له ربض عامر وحصن منيع - ثم إلى يافا ثم إلى عسقلان - مدينة حسنة لها أسواق ولا يحيط بها بساتين وليس بها شيء من الشجر [٥] ومنها إلى غزه [٦] .

وهكذا نلاحظ أن بلاد الشام تمتاز بوجود شبكة واسعة من طرق المواصلات التي تربط بين المدن الداخلية والموانيء الساحلية ، فضلا عن كونها سهلت الإنتقال بين المدن الشامية .

كما أبدت الدولة الاسلامية إهتماما بالغا بمنطقة الثغور ليس لأهميتها الاستراتيجية والدفاعية فحسب ، بل لأهمية موقعها ، إذ كانت ثغور الشام والجزيرة تشغل موقعا مهما بين الشام والعراق وبلاد الروم ، وقد ارتبطت مع هذه الجهات بشبكة من الطرق ، يسرت اتصالها بما حولها ومن هذه الطرق :-

طريق يبدأ من الرقة إلى عين الرومية ويبلغ ستة فراسخ [٧] (أي حوالي ستة وثلاثين كيلومترا) ثم إلى تل عبدا سبعة فراسخ (اثنين وأربعين كيلومترا) ثم إلى سروج سبعة فراسخ (إثنان وأربعين كيلومترا) ، ثم سمسياط - مدينة على الفرات ، خصبة لها زروع سقي ومباخس[٨] - سبعة فراسخ (إثنين وأربعين كيلومترا) ثم إلى حصن منصور ستة فراسخ (ستة وثلاثون كيلومتر) ثم إلى ملطيه -

---

(١) الاصطخري ، المسالك ص ٤٦ .

(٢) يا قوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ٥ .

(٣) ابن حوقل ، صوره ٦٢ ، الاصطخري ، المسالك ، ص ٤٨ .

(٤) الاصطخري ، المسالك ص ٤٥ .

(٥) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٣٥٧ .

(٦) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ٩٧-٩٨ ، قدامة ، الخراج ، ص ١٢٩ .

(٧) ابن حوقل ، صوره ص ١٦٦ ، الاصطخري ، المسالك ص ٤٦ ، البخس ، من الزرع ما لم يسقى بماء رعد وهو الذي يستبه ماء السماء .

(٨) ابن حوقل ، صوره ص ١٦٦ ، الاصطخري ، المسالك ، ص ٤٦ .

مدينة كبيرة من أعظم الثغور وأشهرها تحيط بها جبال كثيرة الأشجار كالجوز واللوز والرمان والكروم وسائر الثمار الشتوية والصيفية [١] - عشرة فراسخ (ستين كيلومترا) ثم إلى زبطرة - وهي حصن من أقرب الثغور إلى بلد الروم ، وقد خربه الروم [٢] - خمسة فراسخ (ثلاثين كيلومترا) ثم إلى الحدث - مدينة صغيرة عامرة تحيط بها الزروع وأشجار الفواكه [٣] - اربعة فراسخ (اربعة وعشرين كيلومترا) ثم إلى مرعش - مدينة صغيرة فيها مياه وزروع وأشجار كثيرة [٤] خمسة فراسخ [٥] (ثلاثين كيلومترا) .

وهنالك طريق آخر يربط حلب بالثغور الشامية ، وهو طريق البريد ، ويبدأ من حلب إلى قنسرين إلى انطاكية إلى الاسكندرونة - حصن على ساحل البحر الأبيض ذا نخيل وزروع كثيرة وغلة وفيرة [٦] إلى المصيصة ثم إلى اذنة ثم إلى طرسوس [٧] - وهي من اهم الثغور الشامية وتشرف على المدخل الجنوبي للدرب المشهور عبر طرسوس ، والمعروف بأبواب قليقية[٨] .

٣- الطريق من الشام إلى بلاد الروم :

هناك عدة طرق تؤدي إلى بلاد الروم :

الطريق الذي يبدأ من طرسوس إلى العليق إثنا عشر ميلا ثم إلى الرهوه ، ثم إلى الجوازات اثنا عشر ميلا ، ثم إلى الجرد قوب ستة أميال ، ثم إلى البذنذون التي مات فيها المأمون ستة أميال ، ثم إلى لؤلؤة والصفاف عشرة أميال ، ثم إلى نهر هرقله إثنا عشر ميلا ثم إلى مدينة اللبن ثمانية أميال ثم إلى رأس الغابة خمسة عشر ميلا ، ثم إلى عين برغوث إثنا عشر ميلا ، ثم إلى نهر الإحساء ثمانية عشر ميلا ، ثم إلى ربض قونيه ثمانية عشر ميلا ثم إلى العلمين خمسة عشر ميلا ، ثم إلى حسمانه

---

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٦٦ ، الاصطخري ، المسالك ، ص ٤٦ .

(٢) الاصطخري ، المسالك ، ص ٤٦ .

(٣) ابن حوقل صورة ص ١٦٦ ، الاصطخري ، المسالك ص ٤٧ .

(٤) ابن حوقل ، صورة ص ١٦٦ ، الاصخري ، المسالك ، ص ٤٧ .

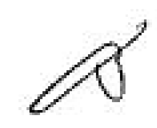
(٥) ابن خرداذبة ، المسالك ص ٩٧ ، قدامه ، الخراج ، ص ١١٥ .

(٦) ابن حوقل ، صوره ص ١٦٧ .

(٧) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ٩٩-١٠٠ .

(٨) لسترنج ، بلدان ، ص ١٦٢ .

الفرسخ ، يتألف من ثلاثة اميال كل ميل (١٠٠٠) باع كل باع ٤ اذرع ، اي ان طول الفرسخ حوالي ٦ كيلومترات ، فالترهنتس ، المكاييل والأوزان ، ص ٤٩-٥٩ .



عشرون ميلا ثم إلى وادي الجوز إثنا عشر ميلا ثم إلى عمورية إثنا عشر ميلا(١) . وقد أطلق على هذا الطريق درب السلامة (٢) . وأما الطريق الثاني فقد عرف بدرب أبواب القليقية (٣) الضاربة شمالا من طرسوس ومنها يستمر الطريق إلى القسطنطينية (٤) . وكان يسلكه سعاة البريد وتمر منه وفود قيصر والخليفة (٥) . كما استخدم هذا الطريق لإرسال الذهب والفسيفساء للوليد بن عبدالملك (٦) عام (٨٨هـ/٦٠٧ م) ، إضافة إلى ما ذكره صاحب كتاب العيون والحدائق « وحملنا ما فيه من رخام ونحاس على دوابنا من أرض الروم» (٧) وذلك زمن الخليفة عمر بن عبدالعزيز .

٤- الطريق إلى مصر وافريقيا :

وهو طريق بري عبر قاري من الشام إلى الفرما التي تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط ويبدأ الطريق الرئيسي إلى مصر وافريقيا من طبرية إلى اللجون عشرون ميلا ثم إلى قلنسوة عشرون ميلا ثم إلى الرملة مدينة بفلسطين أربعة وعشرون ميلاً ثم إلى أزدود (أسدود) إثنا عشر ميلا ثم إلى غزه عشرون ميلا ثم إلى رفح ستة عشر ميلا ثم إلى العريش أربعة وعشرون ميلا ثم إلى قرية الورادة ثمانية عشر ميلا ثم إلى النعامة ثمانية عشر ميلا ثم إلى العذيب عشرون ميلا ثم إلى الفرما أربعة وعشرون ميلا ثم إلى قرية جرجير ثلاثون ميلا ثم إلى الغاضره أربعة وعشرون ميلاً ثم إلى مسجد قضاعه ثمانية عشر ميلاً إلى بلبيس احد وعشرون ميلا ثم إلى الفسطاط مدينه في مصر أربعة وعشرون ميلا ويبلغ مجموع طول هذا الطريق ٣٣٣ ميلا (٨) وبلغت المسافة من بغداد إلى مصر خمس

---

(١) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١٠٠-١٠١ .

(٢) ابن خرداذبة ، المسالك ص ١٠٢-١٠٣ .

(٣) لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٦٤-١٦٥ .

(٤) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١٠٠-١١٠ .

(٥) لسترنج ، بلدان ، ص ١٦٦ .

(٦) الطبري ، ج ٦ ، ص ٤٣٦ .

(٧) مؤلف مجهول ، الحدائق ، ج ٣ ، ص ٥-٦ .

(٨) ابن خرداذبة ، المسالك ص ٧٨-٨٠ . اليعقوبي ، البلدان ، (ملحق) ص ٣٣٠ .

مائة وسبعون فرسخا أي (ثلاثة آلاف وأربعمائة وعشرون كيلومترا) [١] . أما الطريق من الفسطاط إلى الاسكندرية فيبدأ من ذات الساحل أربعة وعشرون ميلا ثم إلى ترنوط ثلاثون ميلا ، ثم إلى كوم شريك إثنان وعشرون ميلا ثم إلى الرافقة أربعة وعشرون ميلا ثم إلى قرطا ثلاثون ميلا ثم إلى كريون أربعة وعشرون ميلا ثم إلى الاسكندرية أربعة وعشرون ميلا [٢] . ويوجد من الفسطاط إلى الاسكندرية ثلاثة عشر سكة بريد [٣] . ثم يتابع الطريق مسيره حتى برقه [٤] ويبلغ طول هذا الطريق خمسمائة وسبعة وخمسون ميلا [٥] . ويتخلل هذا الطريق ثلاثون سكة بريد [٦] . ومنها إلى طرابلس [٧] . تلك المدينة العامره بالحركة التجارية المستمرة [٨] ومنها إلى القيروان إحدى المراكز التجارية [٩] ومنها إلى سوسة ويستمر الطريق حتى يصل طنجة ، ومنها عبر جبل طارق إلى الأندلس [١٠] . وأما الطريق إلى الأندلس فيبدأ من القيروان إلى تونس وبين تونس والأندلس أرض البحر ثم إلى قرطبة مدينة الأندلس [١١] .

كما كان هناك طريق يسلكه التجار القادمين من الأندلس أو فرنجة ، حيث يسلكون الطريق البري إلى السوس الأقصى ، فيسير إلى طنجة ، ثم إلى إفريقيا ، ثم إلى مصر ، ثم إلى الرملة ، ثم إلى دمشق ، ثم إلى الكوفة ، ثم إلى بغداد ، ثم إلى البصرة ، ثم إلى الأهواز ، ثم إلى فارس ، ثم إلى كرمان ، ثم إلى السند ، ثم إلى الهند ، ثم إلى الصين [١٢] .

---

(١) ابن خرداذبة ، المسالك ص ٨٣ .
(٢) ابن خرداذبة ، المسالك ص ٨٤ .
(٣) ابن خرداذبة ، المسالك ص ١١٧ .
(٤) اليعقوبي ، البلدان ص ٣٤٣ ، برقة ، وهي كوره عامرة بالتجار والصادر والوارد إليها كثير من المشرق والمغرب، ابن حوقل ص ٢٣٤ .
(٥) ابن خرداذبة ، المسالك ٨٤-٨٥ .
(٦) ابن خرادذبة ، ص ٨٦ ، ص ١١٧ . قدامة ، ص ١٢٥ .
(٧) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٤٦-٣٤٧ .
(٨) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٧١-٧٢ .
(٩) اليعقوبي ، ص ٣٤٧-٣٥٠ .
(١٠) ابن خرداذبة ، ص ١٥٤-١٥٥ ، اليعقوبي ، البلدان ص ٣٤٦-٣٤٧ .
(١١) ابن خرادذبة ، ص ٨٧ .
(١٢) ابن خراذبة ، ص ١٥٤-١٥٥ .

وقد أولت الدولة العباسية الطرق جانبا كبيرا من إهتمامها ، فقد أنيطت تنظيم طريق شمال افريقيا إلى بني الأغلب ، حكام تونس من قبل العباسيين .

وظهر ذلك واضحا في عهد إبراهيم بن الأغلب سنة (٢٦١ هـ/٧٧٧م) ، فقد إهتم بشؤون المواصلات وبنى المحارس والحصون على السواحل ، وكان التجار والقوافل يسيرون في الطرق آمنين، وكانت الأخبار تصل سريعا من اقصى الغرب إلى الاسكندرية ، فكان يوقد النار من سبتة فيصل الخبر إلى الاسكندرية في الليلة الواحدة [١] .

وبانتقال عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد أنشيء نظام محكم لطرق المواصلات وهذا النظام يربط عاصمة الدولة بغداد بسائر الأمصار والأقاليم ، فكانت الطرق الآتية من اقاصي الشرق تعبر دجلة ميمة شطر الحجاز ، وتسلك من قبل عمال وموظفي البريد ومن أراد أن يؤدي الحج [٢] .

ترتبط بغداد عاصمة الخلافة بشبكة واسعة من الطرق البرية ، كما ترتبط بعدد من أقاليم الدولة المختلفة ، مما كان له أثر كبير في تقوية الصلات التجارية مع تلك الأقطار والأقاليم ، وكانت المواصلات بطريق البر سهلة ، نظراً لاستواء سطح البلاد [٣] . وكانت بغداد مركزا تلتقي فيه طرق رئيسة تؤدي إلى مختلف أنحاء البلاد .

- **الطرق الداخلية في العراق :-**

١- الطريق الجنوبي : ويبدأ من بغداد إلى البصرة – وهي مدينة في مستواه من الأرض لا جبال فيها ومن أشهر أنهارها نهر الأبلة و على جانبي هذا النهر ، قصور وبساتين متصلة [٤] – ماراً بدير

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٥٦ .

(٢) لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٢ . وقد اشار كريستنس إلى شبكة الطرق في العهد الساساني حيث كانت التجارة البرية تتبع طرق القوافل القديمة ، فمن المدائن العاطمة على شاطيء دجلة ، وكان الطريق الكبير يؤدي إلى همذان عن طريق حلوان ، وكنجاور ، وقد تفرعت منه طرق عديدة ، طريق ناحية الجنوب يخترق خوزستان وفارس وينتهي عند الخليج الفارسي (الخليج العربي) ، وطريق يذهب إلى الري قرب طهران الحالية يبلغ به السائر بحر قزوين ، مخترقاً منحدرات جبال جيلان وسلسلة البرز ، أو يسير منه إلى خراسان ليستمر في رحلته حتى الهند عن طريق وادي كابل أو حتى الصين عن طريق تركستان وحوض طارم . كريستنس ، ايران في العهد الساساني ، ص ١١٥ .

(٣) عبدالعزيز الدوري ،تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، ص ١٤٣ .

(٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٢٢ ، المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٥٧ .

العاقول – وهي مدينة كبيرة عامرة بالسكان تتميز بأسواقها المتشعبة [١] – ثم إلى واسط – مدينة خصبة كثيرة الشجر والنخل والزرع ، ولها أراضي واسعة ، وعمارة متصلة [٢] – ثم إلى البطائح [٣] .

وهناك طريق من سر من رأى إلى واسط على البريد ويبدأ في سر من رأى إلى عكبرة تسع سكك ، ومنها إلى بغداد ست سكك ، ومنها إلى المدائن ثلاث سكك ، ثم إلى دير العاقول أربع سكك ، ثم إلى جرجرايا ، ثماني سكك ، ثم إلى جُبّل خمس سكك ، ثم إلى واسط ثماني سكك ، ومن بغداد إلى واسط خمس وعشرون سكة [٤] .

٢- الطريق الشمالي : ويبدأ من بغداد إلى الموصل – وهي مدينة غربي دجلة صحيحة التربة والهواء ، كثيرة الخصب ، حسنة الأسواق والفنادق والحمامات [٥] فثغور الجزيرة العراقية مارا بعكبرا – وهي مدينة عامرة كثيرة الفواكه ، جيدة الأعناب [٦] ، فمدينة سر من رأى ، ثم مدينة حديثة الموصل ويبلغ طول هذا الطريق إثنان وسبعون فرسخا (أي أربعمائة واثنان وثلاثون كيلومتر) ثم يتابع الطريق مسير إلى نصيبين – وهي أنزه وأرحب من مدينة الموصل ، كثيرة الفواكه ، ولها حمامات حسنة وقصور جميلة ، ويحيط بها البساتين والأشجار المتصلة [٧] – ثم إلى آمد (ديار بكر اليوم) – وهي ثغر للمسلمين وحصن منيع ، وبها عيون غربي دجلة [٨] ثم إلى الرقة [٩] ، ومنها إلى ثغور الجزيرة [١٠] ويبلغ طول الطريق من الموصل إلى ثغور الجزيرة مائتان وخمسة وخمسون فرسخا (أي ألف وخمسمائة وثلاثون كيلومترا) .

٣- الطريق الجنوبي الغربي : ويبدأ هذا الطريق من بغداد إلى الكوفة ، حيث يبلغ طوله واحد

---

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢١٩ ، المقدسي ، احسن ، ص ١٢٤ .
(٢) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ٢١٤ .
(٣) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ٥٩ .
(٤) ابن خرداذبة ، المصدر السابق ، ص ٥٩، قدامة ، ص ١٢٥ .
(٥) ابن حوقل ، صورة ، ص ١٩٥ . المقدسي، احسن التقاسيم ،ص ١٣٨ .
(٦) المقدسي، المصدر السابق، ص ١٢٢ .
(٧) الاصطخري، ص ٥٨ .
(٨) المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص ١٤٠ .
(٩) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٤٠ .
(١٠) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ،ص ٩٦ .

وثلاثون [١] فرسخا (اي حوالي مائة وستة وثمانين كيلومترا) ومن الكوفة يسير باتجاه الجنوب ليصل إلى الجزيرة العربية ، ثم إلى الحجاز .

أما طرق العراق الخارجية البرية فمنها :-

١- طريق بغداد إلى مكة والمدينة : هنالك طريقان للحج من العراق ، أحدهما عن طريق الكوفة ، والآخر عن طريق البصرة ، وكلا الطريقين يخترقان صحارى الجزيرة العربية ووديانها ، ويمران بالواحات والأماكن التي تتوفر فيها المياه [٢] . ويبدأ الطريق من بغداد إلى الكوفة بعد عبور الفرات إلى القادسية والعذيب ، ثم إلى الثعلبية وهي ثلث الطريق ، ثم إلى الأجفر ومنها إلى فيد – وهي نصف الطريق – وبها أسواق للتجار وعيون ماء [٣] ويستمر الطريق من فيد إلى معدن النقرة [٤] وبها آبار وعيون ثم يواصل الطريق مسيره حتى المدينة المنوره [٥] ومنها إلى مكة [٦] حيث يبلغ طول هذا الطريق ٣٤٤ ميلا [٧] وقد رصف الخليفة المهدي الطريق من زبالة إلى القادسية [٨] وهناك طريق اخر يبدأ من معدن النقرة إلى مغيثة الماوان وفيها برك وابار مياه ثم إلى الربذه [٩] ثم إلى معدن بني سليم [١٠] ثم إلي العمق ثم إلى الغمره [١١] ثم إلى ذات

---

(١) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١٢٥ ، ٧٨ ، قدامه ، الخراج ، ص ٧٨ .

(٢) ابن خرداذبة ، المسالك ص ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤٦ ، ١٤٧ قدامة الخراج ص ٧٦-٨٦ ، ابن رستة ، الاعلاق ص ١٧٦-١٧٩ .

(٣) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١٢٧ . قدامة ، الخراج ، ص٨٠.

(٤) ابن خرداذبة ، ص ١٢٨ ، قدامة ، ص ٨٠ .

(٥) ابن خرادذبة ص ١٢٨ ، قدامة ص ٨٠ .

(٦) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١٢٨ ، قدامة ، الخراج ص ٨٠-٨١ .

(٧) قدامج ، الخراج ص ٨٠-٨١ .

(٨) الطبري ، تاريخ ، ج ٨ ص ١٣٦ ، ابن الاثير ، الكامل ج ٥ ، ص ٢٤ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧٣ ، ابن عماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ٢ ص ٢٧١ .

(٩) الربذه : منزل فيه اعراب ، والماء فيه من الآبار والبرك وفيه منزل ابي ذر الغفاري ، ابن رستة ، المصدر السابق ، ص ١٧٩ .

(١٠) معدن بني سليم ، منزل كثير الاهل ، وفيه اعراب بني سليم ، والماء من البرك وهي قرى قديمة ، ابن رستة ، المصدر السابق ، ص ١٧٩ .

(١١) الغمرة ، منزل خصب كثير الماء من منازل طريق مكه وهو يفصل ما بين تهامه ونجد ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٢١٢ .

عــرق (١) ثـم إلى بستان بني عامر ومنه إلى مكة ، ويعرف بطريق الجادة. (٢) ويبلغ طول الطريق من بغداد إلى مكة عن طريق الكوفة ٢٧٥ فرسخاً (أي حوالي ألف وستمائة وخمسون كيلومتر) (٣) أما طول الطريق من البصرة إلى مكة فيعادل تقريبا سبعمائة ميل (٤) والطريقان مقسمان إلى منازل تتوفر فيها المياه سواء من البرك المتجمعة من الأمطار والسيول أو من الآبار والعيون عذبة الماء(٥) .

والى جانب هذين الطريقين هنالك طرق أخرى يسلكها الحجاج إلى الديار المقدسة ، ومما لا شك فيه أن عمال البريد والتجار والرحالة ، يستخدمون هذه الطرق . ومن هذه الطرق :-

الطريق من مكة إلى اليمن ويبدأ من الغمره إلى الجدد إثنا عشر ميلا ، وهو موضع البريد ثم إلى الفتق ثم إلى تربة إلى صفر ، وهي منزل فيه داران لصاحب البريد في الصحراء ، ثم إلى كرا وهي منزل به نخل وعين عذبة ، وبه منزل صاحب بريد ومنزل القوافل ، ثم يتابع الطريق مسيره حتى يصل الثجه موضع البريد ، وفيه بئر ماء تنزله القوافل ، وهو في بلاد زبيد وحوله أعرابهم ، ثم يسير إلى عرفة (٦) ثم يمر بقرى عديدة حتى يصل إلى صنعاء قصبة اليمن ، وهذا هو الطريق الذي عليه الأميال وهو طريق القوافل والعمال (٧) .

كما أشار المقدسي (٨) إلى أن هنالك ثلاثة طرق رئيسية سلكها العرب إلى مكة ، وأول هذه الطرق طريق تبوك ويأخذ من عمان إلى معان منهلين ، ثم إلى تبوك مثلهما ، ثم إلى تيماء أربعة مناهل وهناك طريق آخر من وبير (٩) : تأخذ من عمان إلى وبير ثلاثة مناهل ثم إلى الأجولي أربعة مراحل ،

---

(١) ذات عرق ، ميقات أهل العراق ، وهو منزل كثير الأهل ، كثير الشجر والماء وفيه بئر كبير ، ابن رستة ص ١٧٩ .

(٢) ابن خرداذبة ، ص ١٣١ ، ١٣٢ ، قدامة ص ٨٠ .

(٣) ابن خرداذبة ص ١٣٢ .

(٤) المقدسي ص ١٠٩ .

(٥) ابن خرداذبة ص (١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤٦ ، ١٤٧) . اليعقوبي ، البلدان ص ٣١١-٣١٢ ، ابن رستة ، الاعلاق ص ١٧٦-١٧٩ ، قدامة ، ص ٧٨-٧٩ .

(٦) قدامه بن جعفر ، الخراج ، ص ٨١-٨٢ .

(٧) قدامه بن جعفر ، الخراج ، ص ٨٣ .

(٨) المقدسي ، أحسن التقاسيم ص ٢٤٩-٢٥٠ .

(٩) وبير ، منزل يبعد عن عمان ثلاث مراحل ، وبينه وبين ثجر ستة مراحل ، المقدسي ص ٢٥٠ .

ثم إلى ثجر [١] منهلين ثم إلى المحدثة نصف نهار ، ثم إلى النبك مثله ، ثم إلى ماء نهاراً ثم إلى الحربي نهارا ثم إلى عرفجا [٢] نهارا ونصفاً ، ثم إلى مُخْري ثلاثاً ، ثم إلى تيماء اربعا ، وعلق المقدسي على هذه الطرق بأن «بريد بني أمية كان فيها ، وإياها سلكت جيوش العمُرين وقت فتح الشام ، وهن قريبات أمنات ، أصاحبها بنو كلب ، ويصحبهم كثير من اهل الشام يجتمعون في عمّان » [٣] . كما علق الباحث آدم متز [٤] على الطرق المتجهة صوب مكة بقوله «وعلى الرغم من بعد مكة الشاسع، فقد كان الناس يفدون اليها في موسم الحج من جميع انحاء الدولة الاسلامية ، ولم تكن فريضة الحج وحدها هي التي تجذب الجماعات ، بل كان يغريها أمان الطريق ايضا وما فيها من حماية لقوافل الحج ، التي كانت تنهال من شتى النواحي »، فمن ذلك أن كثيراً من تجار بغداد هاجروا مع قافلة الحج سنة (١٣٣ هـ/٢٢٩ م) إلى الشام ومصر وذلك لاتصال الفتن ببغداد وتواتر المحن عليهم [٥] .

٢- الطريق الشمالي الغربي : يبدأ من بغداد على إمتداد الضفة الغربية للفرات مارا بالأنبار وهيت ودمشق [٦] ، وكانت حركة المرور في هذا الطريق عظيمة ، ففي عام ٣٠٦ هـ/٣١٨ م) كان خراج المرور عند هيت مرتفع جدا [٧] ويعتبر هذا الطريق أقصر طرق بين بغداد والشام ، وهو طريق البريد . وكان بعض المسافرين يجتازونه على ظهور الدواب ، وكان عامل هيت عند ذلك يبعث مع المسافرين خفارة من البدو [٨] وكان بعض المسافرين يأخذون طريقا آخر يتفرع من هذا الطريق عند نقطة أعلى على مجرى الفرات ، ثم يدورون حول الرصافة ، ويسيرون إلى دمشق وفي عام (٤٤٠ هـ /١٠٤٨ م) فعل ابن بطلان البغدادي هذا ليصل إلى حلب [٩] ، وكان يخشى فيه من نهابة البدو[١٠] ثم يواصل الطريق اتجاهه حتى يصل إلى قرقيسيا ثم الرقة فحلب ثم قنسرين فحماه وحمص ، فدمشق ، ومن

---

(١) ثجر ، منزل فيه ماء يقع بين وادي القرى وتيماء ، ياقوت ج ٢ ص ٧٤ .

(٢) عرفجا ، موضع ماء فيه نخل قريب من طريق تيماء ياقوت الحموي ج ٤ ص ١٠٥ .

(٣) المقدسي ، احسن التقاسيم ص ٢٥ .

(٤) آدم متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ص ٣٤٥ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ١٤ ، ص ٢٧ .

(٦) ابن خرداذبة ، المسالك ص ٧٢-٧٣

(٧) Ali, Mazaheri , Orta Cagda Musalmanlarin yasayislar p, 361 .

(٨) المسردي ، تجارة العراق في العصر العباسي ، ص ٢٢٠ .

(٩) القفطي ، اخبار الحكماء ، ص ١٩٢-١٩٣ .

(١٠) المسردي ، تجارة العراق ، ص ٢٢٠ .

دمشق يتجه نحو طبرية ثم إلى الرملة ثم الفسطاط ثم الإسكندرية ومنها إلى المغرب [١] .

٣- الطريق من بغداد إلى المشرق ونواحيه :

ونعني به الطريق الذي يربط حاضرة الخلافة بغداد بمدن الولايات الشرقية وما وراء النهر حتى تخوم الصين ، وهو يمتد من بغداد حتى نيسابور حاضرة خراسان ، ويمر بأمهات المدن ويبلغ طول الطريق من بغداد إلى نيسابور ثلاثمائة وخمسة فراسخ [٢] (اي الف وثمانمائة كيلو متراً) ويستمر الطريق بعد ذلك إلى سرخس ومرو حيث يبلغ طول الطريق من نيسابور إلى مرو سبعون فرسخا (اي سبعمائة وعشرون كيلومترا) [٣] وهو المعروف بطريق خراسان .

وعند مدينة مرو – وهي مدينة في مستواه من الأرض بعيدة عن الجبال ، وأراضيها سبخة ،كثيرة الرمال [٤] – يتفرع الطريق إلى شعبتين ، أحدهما إلى الشاش – وهي من أنزه بلاد ما وراء النهر ، أرضها سهلية لا جبال فيها ، وتعد أكبر ثغر في وجه العدو –[٥] وبلاد الترك والآخر إلى بلخ – مدينة في مستو من الأرض وبها أسواق وتحيط بها الكروم والبساتين والمباني [٦] – وطخارستان [٧] فأما طريق الشاش والترك فيبدأ من مرو إلى أمل – مدينة حسنة ، لها بساتين وعمارة وتحيط بها مفازة تتصل من حدود بلخ إلى خوارزم ، والغالب على هذه المفازة الرمال[٨] ثم إلى بخارى – مدينة كثيرة الأشجار والثمرات وهي مدينة في مستو من الأرض وبناؤها خشب مشبك ، ويحيط بهذا البناء القصور والبساتين والسكك المفترشة والقرى المتصلة [٩] ثم إلى سمرقند – مدينة على جنوبي وادي الصغد لها شوارع وجنان وقصور ، وفنادق وحمامات وخانات واسعة ، وهي كثيرة الخصب والنعم

---

(١) ابن خرداذبة ، المسالك ص ٣٢ .
(٢) ابن خرداذبه ، المسالك ص ١٨-٢٤ .
(٣) ابن خرداذبة ، المسالك ص ٢٤ ، قدامة بن جعفر ، الخراج ص ٩٧ .
(٤) الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ٤٧٦ .
(٥) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٤١٦ .
(٦) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٤٨٣ .
(٧) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٢٥ ، قدامه ، ص ٩٨ .
(٨) الادريسي ،نزهة المشتاق ، ص ٤٨١ .
(٩) الادريسي ، المصدر السابق ، ٤٩٢ .

والفواكه [١] - ومنها إلى زامين - مدينة عامرة القطر ، كثيرة البشر ، حصينة لها سور وخندق يحيط بها ، وهي في طريق فرغانة من سمرقند [٢] - وعند زامين يفترق الطريق إلى فرعين ، طريق إلى الشاش وطريق إلى فرغانة ، حيث يواصل طريق الشاش مسيره حتى يصل إلى نوشجان الأعلى ، وهو حد الصين [٣] ويبلغ طول هذا الطريق مائتان وواحد وأربعين فرسخا [٤] (اي الف واربعمائة وستة وأربعون كيلومترا) وأما طريق فرغانة فيبلغ طوله ستة وتسعون فرسخاً (خمسمائة وستة وسبعون كيلومتر)[٥] وأما الطريق إلى بلخ وطخارستان ، فيبدأ من مرو إلى فاز ، ثم إلى المهدي آباد ثم إلى يحيى آباد ، وفي هذا المنزل خانات وسكة [٦] . ثم إلى القريتين ، ثم إلى مرو الروز ، ثم إلى الطالقان - مدينة عامرة في مستوٍ من الأرض وبها كروم وعمارات وأسواق كثيرة [٧] ثم إلى السدرة حيث لا يوجد بها إلا سكة بريد [٨] وخانات ، ومنها إلى بلخ ويبلغ طول الطريق من مرو إلى بلخ مائة وستة وعشرون فرسخا[٩] (أي سبعمائة وخمسة وستون كيلومترا) ويبدو أن الطريق الذي سلكه ابن فضلان عام (٣٠٩ هـ/٩٢١ م) عندما أرسله الخليفة المقتدر إلى ملك الصقالبة ، هو نفس الطريق الخارج من بغداد بإتجاه الشرق إلى حلوان ثم همذان ثم إلى الري ، ومنها إلى نيسابور ثم إلى مرو ومنها إلى أمل ثم إلى بخارى ثم توغلوا شمالا في بلاد الترك ، ثم ساروا بعد ذلك إلى بلد البلغار [١٠] .

تستغرق الرحلة في الطريق من خراسان إلى الصين أربعة أشهر ، ولا تسير القوافل فيه إلا في خفارة الترك ، ويبدو أن قطاع الطرق كانوا ملازمين لهذا الطريق ، لينهبوا قوافل التجار ، وبالرغم من ذلك فقد كان بعض المسافرين يفضلونه ، ويسلكون الطريق المتجه إلى الصين من بعد أن يعبروا جبال النشادر إلى أرض التبت ، ومنها إلى الصين [١١] وهناك طريق بري آخر إلى الصين ، يمر بهضبة

---

(١) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٤٩٧-٤٩٨ .

(٢) الإدريسي ، المصدر السابق ، ص ٥٥٠ .

(٣) ابن خرداذبة المسالك ص ٢٥-٢٩ ، قدامة بن جعفر ، الخراج ص ٩٨-١٠٣ .

(٤) ابن خرداذبة ، ألمسالك ص ٢٦-٢٩ .

(٥) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ٢٩-٣٠ .

(٦) قدامة بن جعفر ، الخوارج ص ١٠٦ .

(٧) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص ٤٨٤ .

(٨) قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص ١٠٧ .

(٩) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٣٢

(١٠) ابن فضلان . رسالة بن فضلان ، ص ٧٣-٨٣ .

(١١) المسردي ، تجارة العراق في العصر العباسي ، ص٢٢٣.

التبت ، إلا أن يتميز بالوعوره ، لذلك لم يستعمله التجار بالرغم من قصر المسافة ، إذا أن الرحلة من خراسان إلى الصين تستغرق أربعين يوماً [١] ، وكانت القوافل تقطع الطريق من بغداد إلى الصين على عدة مراحل [٢] .

- الطريق من بغداد إلى بعض نواحي المشرق :

يبدأ هذا الطريق من بغداد ثم إلى المدائن ثم إلى جُبل ثم إلى فم الصلح ثم إلى واسط ثم إلى الرصافة ، ومنها إلى البصرة ، حيث يبلغ طول هذا الطريق (مائة فرسخ أي ستمائة كيلومتر) ثم يواصل الطريق مسيره إلى الأبلة – مدينة صغيرة خصبة عامرة [٣] ومنها إلى سوق الأهواز بمسافة ستة وثلاثون فرسخا [٤] (مائتان وستة عشر كيلومتر) فتصبح المسافة بين بغداد وسوق الأهواز ، تساوي مائة وستة وثلاثون فرسخاً أي (مائتان وستة عشر كيلو متر) ، ويواصل الطريق مسيرة نحو شيراز (عاصمة البويهيين) – مدينة في بسطة من الأرض تحف بها البساتين من جميع الجهات ، وتشقها خمسة أنهار ،وتتميز بشوارعها المتسعة ، وعمارتها المتقنة[٥] – بمسافة مائة وفرسخين [٦] أي (ستمائة واثنى عشر كيلومتر) ثم يكمل طريقه من شيراز حتى يصل أصبهان بمسافة سبعين فرسخاً [٧] اي (أربعمائة وعشرين كيلومتر) .

الطرق بين العراق والشام :

ترتبط بلاد الشام مع العراق بمجموعة من الطرق هي :-

– الطريق الذي يبدأ من الحيرة إلى عين التمر إلى بصرى [٨] ، ويبدأ من الحيرة إلى عين التمر إلى الأخدمية ، ثم إلى الخفية ، ثم إلى الخلط ثم إلى قراقر ثم إلى سوى [٩] ثم إلى الكوائل ، ثم إلى

---

(١) المسردي ، تجارة العراق في العصر العباسي ، ص ٢٢٣ -٢٢٥.

(٢) فليب حتي ، تاريخ العرب المطلوب ، ص ٤٣٠ .

(٣) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٥٧ .

(٤) قدامه بن جعفر ، الخراج ، ص ٨٨ .

(٥) الإدريسي ، نزهة المشتاق ص ٤٠٦ ، ابن بطوطة ، رحلة ج ١ ، ص ٢٣٢ .

(٦) قدامه بن جعفر ،الخراج ، ص ٨٩ .

(٧) قدامه بن جعفر ، المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(٨) ابن خرداذبة ، ص ٩٧ ، البلاذري ، فتوح ، ص ١٥٢ .

(٩) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ١٥٢.

قرقسيا ، ثم إلى أرك ، ثم إلى القريتين ثم إلى مرج راهط ومنها إلى بصرى [١] وهناك طريق آخر يبدأ من الكوفة إلى القلوفي ثم إلى الرواوي ثم الساعدة ، ثم إلى البقيعة ثم إلى الأعناك ومنها إلى أذرعات (درعا الحالية) ثم إلى دمشق [٢] .

أما الطريق الثالث فيبدأ من الرقة على ساحل الفرات إلى الرصافة ثم الزراعة ثم إلى القسطل إلى سلمية إلى حمص إلى شمسين إلى النبك إلى القطيفه إلى دمشق [٣] ، ويبلغ طول هذا الطريق مائتان وأربعة وثلاثون ميلا[٤] ومما لا شك فيه ، أن القوافل التجارية والحملات العسكرية كانت تستعين بعمال البريد وسعاته ، وذلك بحكم خبرتهم ومعرفتهم بالطرق ومسالكها . وبخاصة المسالك الصعبة والخطيرة ، كما هو الحال في بادية الشام وأواسط آسيا ، بالإضافة إلى استخدامهم هذه الطرق في بعض مهامهم ، وفي تحركاتهم بين بغداد والاقاليم الاسلامية الاخري .

ويرى بعض الباحثين « أن هذا النظام لطرق المواصلات التي تتفرع من عاصمة الخلافة بغداد إلى أنحاء العراق ومنها إلى العالم الخارجي ، يرجع إلى بعض ما ورثه العباسيون عن الامبراطورية الفارسية [٥] . واذا اخذنا بهذا الرأي نكون قد تجاهلنا فضل العرب ، وما قاموا به من تنظيم للطرق وانشاء طرق جديدة ، حيث أكدت المصادر الاولية على إهتمام الدولة الاسلامية بعمارة الطرق ، وإصلاحها وتنظيمها ، منذ العهد الراشدي والاموي حتى أواخر العصر العباسي ، علاوة على جهود الرومان والفرس ، وغيرهم في عمارة الطرق وتسهيلها في الأصل .

محطات البريـــد :

تقسم الطرق التي تستخدم للبريد إلى محطات تدعى السكك ، وتبلغ المسافة بين كل محطة وأخرى فرسخان ، وفي كل محطة يوجد عدد من الدواب والخيول ، [٦] كما يوجد فيها رجال لحمل الخرائط [٧] ، والتي يسترشد بها عمال البريد والمسافرون والتجار والرحالة في تنقلاتهم ، كما كان

(١) البلاذري، فتوح ، ص ١٥٣-١٥٤ .
(٢) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ٩٩ .
(٣) ابن خرداذبة ، المصدر السابق ، ص ٩٨ ، قدامه ، الخراج ، ص ١١٧ .
(٤) ابن خرداذبة ، المصدر السابق ، ص ٩٨ .
(٥) فيليب حتى ، تاريخ العرب المطول ص ٤٠٤ .
(٦) المقدسي ، أحسن التقاسيم ص ٦٦ ، الخوارزمي سفاتيح العلوم ص ٤٢ .
(٧) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ١٢٤.

لكل محطة رئيس لملاحظة سير السعاة والخيالة وحالة المحطات ، وكان على جميع هؤلاء الرؤساء أن يقدموا تقاريرهم عن كل ما يحدث في الخطوط إلى عموم الإدارة في بغداد . وهي بدورها تقوم بعرض هذه التقارير على الخليفة نفسه ، الذي كان يهتم بالبحث عن أحوال البريد (١) وكانت هذه السكك تزود بالمياه والمؤونة ، إذ أنها كانت تقدم بعض الخدمات للمسافرين والتجار والرحالة عند مرورهم بها (٢) كما كان يوجد في هذه المحطات غرف لإقامة رجال البريد وأماكن لدوابهم واصطبلات لتبادل الخيول والعناية بها وعلاجها (٣) .

وكان حامل البريد عندما يغادر ولايته ، يجد في كل محطة حصاناً مجهزاً يبدله بحصانه المتعب كما يجد عاملا يحل محله اذا ما شعر بعجزه عن الاستمرار في نقل البريد ، وذلك إلتماسا للسرعة . وفي بعض الأحيان كان راكب البريد يركب الطريق كله ويدل على ذلك ما حكاه الصولي عن رجل يعرف بالخلنجي، كان يحمل الخريطة من مكة إلى بغداد ويسبق بأخبار الحج (٤) أي أنه كان يقطع المسافة كلها . وهذه المحطات كان يستفاد منها لسفر الخليفة وكبار موظفيه (٥) .

وقد بلغت محطات البريد في عهد الدولة العباسية نحو «تسعمائة وثلاثون سكة»(٦) ولم تكن أطوال هذه السكك متساوية ، بل كانت تختلف أطوالها من منطقة إلى أخرى (٧) حيث ذكر المقدسي أن طول كل سكة من سكك البريد في العراق إثنا عشر ميلا «أربعة فراسخ» وفي الشام ستة فراسخ ، وفي خراسان فرسخان (٨) .

وقد حرص الخلفاء العباسيون على العناية والاهتمام بسكك ومحطات البريد ، خوفاً من حدوث إضطرابات تعرقل حركة سير أعمال البريد ، ولا سيما توصيل الأخبار العسكرية والإدارية والتي تفيد

---

(١) عبدالحي الكتاني ، التراتيب الادارية ، ج١ ص ١٩٣ .
(٢) مؤلف مجهول ، اخبار الدولة العباسية ، ص ٢٥٥ .
(٣) عطية القوصي ، الحضارة الاسلامية ، ص ٣٨ .
(٤) الصولي ، اخبار الراضي بالله والمتقي لله ، ص ٩٨ .
(٥) ديمو مبين موريس ، النظم الإسلامية ، ص ١٥٦.
(٦) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٥٣ .
(٧) المقدسي، احسن التقاسيم ، ص ٦٦ ، القلقشندي ، ج ١٤ ، ص ٣٦٧ .
(٨) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .

عملية الضبط السياسي والاداري للدولة .

ومن مظاهر إهتمام الخلفاء العباسيين بسكك البريد ، ما قام به الخليفة المأمون من إرسال أحد عماله ، ويدعى ثمامه بن أشرس ليتعرف له على أحوال سكك البريد ، وما تحتاج إليه من خدمات ومؤونة ، ومن ثم توفير ذلك بالسرعة الممكنة (١) .

وفي ختام هذا الموضوع يحسن بنا التذكر بأن طرق البريد ومحطاته ، كان لها أثر ملموس على النواحي السياسية والعسكرية والادارية والاقتصادية والتجارية ، والاشارات التاريخية لذلك كثيرة . فمنذ انتقال الخلافة من بني أمية إلى بني العباس ، كان لهذه الطرق ومحطاتها أثر واضح في نشر الدعوه العباسية ، إذ استغل الدعاة مرور قوافل المسافرين والتجار والحجاج في هده المراكز لتنفيذ أخبارهم . ومما روي بهذا الصدد «أن أحد دعاة العباسيين ، كان قد وجه محمد بن علي بريدا بكتبه ورسائله إلى النقباء في الولايات ، وأنه مر في بعض مسيره وهو على حمار فنزل في بعض سكك البريد فسألهم العلف ، فأبوه عليه ، ونالوا منه فمر به معاذ بن مسلم وكان يلي السكك ، فأنكر ما كان من القوم وخلصه منهم ، فقال له أبو مسلم ، قد أحسنت وأنا أحب ان أشكرك ودعاه إلى دولة بني العباس فأجاب (٢) .

كما أن إختيار البيت العباسي ، لموقع الحميمة جنوبي الأردن مركزاً لدعوتهم لتولي الخلافه كان له أثر كبير في نشر الدعوة العباسية ، فهي تقع على طريق الحج ما بين الحجاز والشام (٣) .

ونظراً لتوفر طرق البريد الآمنة والمنتشرة في معظم أنحاء الدولة ، وتعدد محطاته وعماله ، فقد تيسر الانتقال بيسر وسهولة وأمان ، وبخاصة في مجال الحج والزيارة لكل مسلم قادر . كما أن

---

(١) الجاحظ ، القول في البغال ، ص ٩٦-٩٧ .

(٢) مؤلف مجهول، أخبار دولة بني العباس ، ص ٢٤٢، ولمزيد من التفصيل، انظر، ص ١٣٥-١٣٦، ص ٢٠٥-٢٠٧.

(٣) البلاذري، أنساب، ص ٧.

تيسير الحج لم يكن للمسلمين فقط وإنما كان ميسراً أيضاً للمسيحيين الذين كانوا يقصدون بين المقدس والناصرة للحج . ومما يؤكد ذلك أنه في سنة ٧٢٣ م سارت قوافل الحجاج المسيحيين إلى بيت المقدس والناصرة ، وكانوا يتجولون آمنين في الشام وفلسطين دون أن يعترضهم أحد (١) .

وفيما يتعلق بأثر البريد من الناحية العسكرية : فقد عملت طرق البريد على الاتصال بين المركز والمتمثل بالخليفة أو القائد ، وبين ساحات وميادين القتال ، والإشارات التاريخية التي تدل على ذلك كثيرة (٢) ، كما أنها استخدمت لنقل المؤن والذخائر إلى مواقع القتال (٣) إضافة إلى أن الجنود استفادوا من قوافل البريد وسعاته كأدلاء نظرا لخبرتهم الجيدة بالطرق (٤) أما بالنسبة للناحية الادارية فقد عملت على الضبط الاداري للدولة ، وخاصة بعد إتساع رقعتها ، حيث عملت على ربط بغداد حاضرة الخلافة بأقاليم الدولة المختلفة .

ومن الناحيتين الاقتصادية والتجارية ، عملت هذه الطرق على تنشيط التجارة بين الممالك الاسلامية فقد وجد التجار في طرق البريد ومحطاته ما يؤمنهم على حياتهم وأموالهم ، فامتلأت الأسواق التجارية بالمنتجات المتنوعة فأصبح يرى في أسواق مصر منتجات الهند والسند ، وفي أسواق سمرقند منتجات الشام ومصر ، كما وجد العرب في هذه الطرق فائدة كبيرة ، إذ فتحت لهم بابا للرزق ، فمنهم من كان يسكن المدن الواقعة على الطرق ويتاجر لنفسه ، ومنهم من كان يعمل في التجارة ، كأن يكون حارسا أو دليلاً (٥) .

كما وجدت الدولة في النشاط التجاري وسيلة لملأ خزائنها بالأموال التي تجنيها من التجار نظير حمايتها للطرق ، وتسهيل الانتقال من مصر إلى آخر (٦) كما أنها كانت نواة للرحلات الجغرافية والبحوث العلمية (٧) .

---

(١) شكيب ارسلان: تاريخ الغزوات ص ١٥١.

(٢) الطبري : تاريخ ، ج ٩ ، ص ١٢ ، ٥٢ ، مسكويه : تجارب ، ج ٦ ، ص ٤٧١ ، ابن الجوزي : المنتظم : ج١ ، ص ٤٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٧٦.

(٣) الطبري : تاريخ ج٩،ص ٥٨٥،٥٨٦.

(٤) قدامة بن جعفر: الخراج ص ٧٧.

(٥) السعداوي: نظام البريد ص ١٦٦.

(٦) حسن المسردي : تجارة العراق في العصر العباسي ص ٣٨.

(٧) انور الرفاعي: الإنسان العربي والحضارة ص ٢٣٨.

سكك [١] البريد في بلاد الشام:

هناك طريق للبريد بين دمشق وبعلبك تتخلله إحدى وثمانون سكة ويشمل على السكك التالية ابتداءاً من :-

الطريـــق	عدد السكك
من حمص إلى جوسيّه	اربع سكك
إلى بعلبـــك	ست سكك
إلى دمشـــق	تسع سكك
إلى دير أيوب	سبع سكك
إلى طبرية (قصبة الأردن)	ست سكك
إلى اللجون	اربع سكك
إلى الرملة (قصبة فلسطين)	تسع سكك
إلى الجفار	سبع عشرة سكة
إلى البادورية في مصر	تسع عشرة سكة[٢]
أمّا سكك الطريق بين حلب والثغور الشامية فتبدأ:	
من حلب إلى قنسرين	سبع سكك
إلى انطاكية	اربع سكك
إلى الاسكندرونة	اربع سكك
إلى المصيصة	سبع سكك
إلى اذنة	ثلاث سكك
إلى طرسـوس	خمس سكك
اما الطريق العادلة من طبرية إلى صور	سبع سكك[٣]
اما الطريق إلى مصر وشمال إفريقيا	
من الفسطاط إلى الاسكندريـة	ثلاث عشرة سكة
إلى جب الرمل مما يلي برقـة[٤]	ثلاثون سكة

(١) السكة : وجمعها سكك هي الطريق المسكوكة التي تمر فيها القوافل من بلد إلى آخر، فإذا قيل من بلد كذا إلى كذا، كذا سكة، فإنما يعنون الطريق، مثال ذلك، أن يقال في بغداد إلى الموصل خمس سكك يعنون ان القاصد في بغداد إلى الموصل يمكنه أن يأتيها في خمس طرق. انظر : - معجم البلدان ، ج١ ص٢٨ ومعناها الذي نريده هنا هو منازل البريد، فقد ذكر الخوارزمي بأن السكة هي الموضع الذي يسكنه المرتبون من رباط او قبه أو نحو ذلك ، ويذكر بأن المسافة التي تفصل بين سكة والتي تليها تقرب بفرسخين الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ٤٢.

(٢) ابن خرداذبة: المسالك والممالك ص ١٧ ، قدامة ص ٢٨.

(٣) ابن خرداذبة: المصدر السابق ص ١٧ ، قدامة ، ص ٢٩.

(٤) ابن خرداذبة: المسالك ، ص ١٧ ، قدامة ،الخراج ، ص ٢٩.

سكك البريد في العـراق :-

١. سكك طريق المشرق :-

الطريـــق	عدد السكك
من بغداد إلى الدسكرة	عشر سكك
إلى جلولاء	اربع سكك
إلى حلون	عشر سكك
ثم إلى همدان	ثمان وعشرون سكة
إلى الري	ثلاث وثلاثون سكة
إلى نيسابور	اثنان واربعون سكة[١]
فيبلغ مجموع السكك من بغداد وحتى نيسابور	مائة وست وعشرون سكة

وقد ربطت هذه السكك مدينة بغداد بالمدن الواقعة على الحدود عند سيحون وتخوم الصين، ومن المدن الخطيرة الواقعة على هذه السكة تفرعت الطرق الثانوية شمالاً وجنوباً .

فالطريق إلى أذربيجان وارمينا يبدأ من : -

الطريـــق	عدد السكك
سر سمير إلى الدتيور	سكتين
إلى زنجان	تسع وعشرون سكة
من عمل أذربيجان	خمسوثلاثون
إلى البرذعة[٢]	ثماني سكك
إلى المنصورة	اربع سكك
ومن برذعة إلى تفليس	عشر سكك
إلى دبيل[٣]	سبع سكك

ولا تزال خطوط البـريد في إيران التي تلتقي في طهـران إلى اليـوم هي الخطوط السـابقـة نفسها[٤] وهنالك سكة أخرى اتجهت من بغداد مسايرة دجلة قاطعة واسط والبصرة حتى الأهواز في خورزستان، ومنها إلى شيراز في فارس، وقد تفرع منها طرق إلى الشرق والغرب ربطت بما عليها من مدن بمراكز الحضارة الأخرى ، ووصلتها بسكة خراسان، ويبدأ هذا الطريق .

(١) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص٤١.

(٢) برذعة : بلد في أقصى حدود أذربيجان تقع على نهر الكر. ياقوت ، معجم البلدان، ج١، ص ٣٧٩-٣٨١.

(٣) قدامة بن جعفر، ص ٢٦.

(٤) فليب حتي: تاريخ العرب المطوّل، ج١، ص٤٠٠.

الطريـــق	عدد السكك
من بغداد إلى المدائن	ثلاث سكك
إلى جَبل	ثلاث عشرة سكة
إلى واسط	ثماني سكك
ومن سكة المرومة (وهي اول كورة دجلة مما يلي واسط) إلى باذبين[1]	ثلاث سكك
ومما يلي عمل الأهواز	ثلاث عشرة سكة
ومن بادس إلى نهر تيرين	اربع سكك
إلى سوق الأهواز	ثلاث سكك
إلى البرجان (أخر عمل الأهواز)	اربع عشرة سكة
إلى أرجان	سكة واحدة
إلى النوبند جان	سبع عشر ة سكة
إلى شيراز	اثنتا عشرة سكة
إلى اصطخر	خمس سكك
وأما سكك الطريق العادلة من باذبين إلى البصرة ففيها فيوج مرتبون	
ومن باذبين إلى عبدس	خمس سكك
إلى سكة المزار	ثماني سكك
إلى البصرة (وكانت فيها دواب البريد)	ثلاث سكك[2]
سكك الطريق الشمالي الغربي :-	
يبدأ من بغداد إلى البردان	سكتان
إلى عكبرا	اربع سكك
إلى سرمن راى	سبع سكك
إلى جبلتا	سبع سكك
إلى السن	عشر سكك
إلى المدنية	تسع سكك
إلى الموصل	سبع سكك
إلى اول عمل بلد	سكة
ومن أخر عمل الموصل إلى بلد	ثلاث سكك
إلى اذرمة	تسع سكك
إلى نصيبين	ست سكك
إلى كفرتوثا [3]	ثلاث سكك
إلى رأس عين	عشر سكك
إلى الرقة	خمس عشرة سكة
إلى النقيرة (أخر عمل ديار مُضر)	عشر سكك
إلى منبج	خمس سكك
إلى حلب	تسع سكك
إلى قنسرين	ثلاث سكك

---

(١) باذبين : تقع على مسافة خمس فراسخ (ثلاثين كيلو) من واسط وهي قرية كبيرة كبلدة تحت واسط على ضفة دجلة فيها جماعة من التجار. ابن رستة ، ص ١٨٧، ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ص ٣١٨.

(٢) قدامة بن جعفر الخراج، ص ١٢٥.

(٣) كفر توثا: قرية كبيرة ذات نهر وشجر تقع على نهر الخابور وكانت تعد من اعمال الجزيرة ، ياقوت ج ٤ ، ص٤٦٨-٤٦٩.

الطريـــق	عدد السكك
إلى حمص	سكة واحدة
ومن سكة المرج إلى حوران(١)	سبع سكك
ثم إلى حماة	سكتان
إالى حمص	اربع سكك
إلى المحمدية	اربع سكك
إلى بعلبك	خمس سكك
إلى دمشق	تسع سكك
إلى دير أيوب	سبع سكك
إلى طبرية	ست سكك
إلى اللجون	اربع سكك
ومن اللجون إلى الرملة	تسع سكك
إلى سكة المعنية	تسع سكك
إلى سكة الدارورة	
(في آخر طريق الجفار) (٢)	سبع عشرة سكة
ومن الفسطاط إلى الاسكندرية	ثلاث عشرة سكة
إلى جب الرمل ممّا يلي برقة (٣)	ثلاثون سكة
أمّا سكك الطريق العادلة من نصيبين إلى أرزن وخلاط :	.
من نصيبين إلى أرزن	إحدى عشرة سكة
ومن بدليس إلي اخلاط (٤)	اربع سكك
الطريق العادلة في كفر توثا إالى شمشاط(٥):-	
من كفر توثا إلى آمد	سبع سكك
إلى تل جوفر	سكتان
إلى شمشاط	ست سكك
إلى قاليقلا	سكتان(٦)
أما الطريق العادلة من الحصن إلى الثغور الجزرية :-	
فمن الحصن إلى حرّان	ثلاث سكك
إلى الرّها	سكتان
إلى سميساط	٣ سكك
إلى حصن منصور	سكتان (٧)

(١) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١١٦، قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ١٢٧ .

(٢) ابن خرداذبة : المصدر السابق ،ص ١١٦، قدامة : المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

(٣) ابن خرداذبة: المصدر السابق ، ص ١١٧ قدامة: المصدر ، ص ١٢٩ .

(٤) قدامة : المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

(٥) شمشاط : كانت تعد ثغر الجزيرة ، تقع غربي دجلة وشرقي الفرات، الاصطخري، ص ٥٢ .

(٦) قدامة : الخراج، ص ١٢٨ .

(٧) قدامة الخراج، ص ١٢٩ .

الخاتمـــة

موضوع هذه الدراسة هو نظام البريد في بلاد الشام والعراق في العصر العباسي حتى عام ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م حيث أصبح البريد أداة فعالة من أدوات الحكم ، أصبح له ديوانا مستقلاً في بغداد يشرف على كافة فروع البريد في أقاليم الدولة المختلفة ، من خلال شبكة الطرق التي تتشعب من مركز الخلافة إلى كافة أقاليم وأنحاء الدولة المختلفة ، والتي يتخللها عدد كبير من محطات البريد المزودة بدواب البريد ، لكي يتمكن عامل البريد من استعمالها في حالة إجهاد فرسه.

وخلال فترة الدراسة طرأ تطور ملموس على مهام ديوان البريد ، حتى أصبح من أخطر مؤسسات الدولة ، إذ لم تعد هذه المؤسسة الإدارية تكتفِ بنقل الرسائل والأوامر ومراسلات الدولة، بل تعدته للقيام بالاستخبار عن كل مرافق الدولة بما فيها عمالها سواء كانوا قضاة أو ولاة أو وزراء أو قادة عسكريين ، وحتى أبناء الخلفاء أنفسهم كانوا تحت رقابة عمال البريد. يضاف إلى ذلك تتبع الحركات المناوئة والمعارضة للحكم القائم آنذاك ومراقبتهم مراقبة دقيقة. حيث أصبح صاحب البريد أو صاحب الخبر أشبه برئيس الشرطة السرية ، أو رقيب الأعمال ، إذ هو عبارة عن جاسوس الخليفة أو الأمير أو عينه الباصرة ، وأذنه السامعه ، ينقل إليه أخبار عماله ومساعي أعدائه.

فالبريد في هذا القبيل أشبه بوظيفة المخابرات في وقتنا الحاضر. ولما كان ديوان البريد بهذه الأهمية فإن صاحبه يعد من أكثر رجال الدولة أهمية ، لأنه هو الذي يتولى الإشراف على إيصال أوامر الخليفة إلى العمال والولاة ، وتلقي ما يرد منهم من تقارير كما أن منصبه يعد من أكثر المناصب حساسية ، لذلك كان الخلفاء العباسيون لا يختارون لهذه الوظيفة إلا من كان تتوافر فيه صفات معنية كالكفاءة والأمانة والنزاهة إلى جانب الولاء .

وقد برزت أهمية البريد بشكل جلي وواضح في أوقات الأزمات والحروب ، من خلال سرعة إيصال الأخبار وتبادلها بين الخليفة والقادة العسكريين في ساحات المعارك ، باستخدام وسائل البريد المختلفة كالخيول والحمام الزاجل.

فقد ساهم البريد العسكري الذي بلغ درجة عالية من السرعة والدقة والتنظيم من تحقيق الانتصارات على جيوش الأعداء و القضاء على الحركات المناوئة للدولة.

وخلاصة القول ، أن دراسة موضوع كهذا ، يكشف لنا عن جانب مهم من جوانب الحضارة العربية الإسلامية ، لأن رقي الدول واستقرارها يقترن لدرجة كبيرة ، بضبط أجهزتها الإدارية والأمنية.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر

أ - المخطوطات:.

- سبط بن الجوزي ، أبو المظفر يوسف (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) ، مرآة الزمان ، الجامعة الأردنية ، شريط رقم ٥٤٣ ، مصور عن مكتبة بودليان رقم ٢٧٠.

ب. المصادر المطبوعة:.

- القرآن الكريم .
- الإبشيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت٨٥٠ هـ / ١٤٤٦م) ، المستطرف من كل فن مستطرف ، جزءان، تحقيق : عبدالله أنيس الطباع ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨١ .
- ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م) ، الكامل في التاريخ، ٢١ جزء، تحقيق: محمد يوسف الدقاق ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م .
- ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ٥ أجزاء، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطنامي ، دار إحياء الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٣ - ١٩٦٥.
- الأدريسي ، أبو عبدالله محمد الشريف (ت٥٦٠هـ / ١١٦٤م) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،١٩٩٠.
- الأربلي ، عبد الرحمن سنبط (ت ٧١٧هـ /١٣٨٧م) ، خلاصة الذهب المسبوك ، مختصر سير الملوك ، وقف على طبعة وتصحيحه مكي السيد جاسم ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ب.ت .
- الأزدي ، أبو إسماعيل محمد بن عبدالله (ت٢٣١هـ /٨٤٥م) ، تاريخ فتوح الشام ، تحقيق : عبد المنعم عبدالله عامر ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ١٩٧٠ .

- الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد ، (ت٣٧٠هـ / ٨٩٠م) ، تهذيب اللغة ، ١٥جزء ، الجزء الرابع عشر، تحقيق: يعقوب عبد النبي، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف ، مطابع سجل العرب ، ب.ت .

- الأصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ، (ت في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)، المسالك والممالك ، تحقيق: الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني ، مراجعة شفيق غربال ، دار القلم ، القاهرة ،١٦٩١.

- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) ، الاغاني ، ٢٥ جزء ، تحقيق عبد الستار فراج ، دار الثقافة ، بيروت (١٩٧٥-١٩٦١).

- الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، تحقيق: كاظم المظفر ، الطبعة الثانية ، المطبعة الحيدرية بالنجف الأشرف، ١٩٦٥م.

- الأصفهاني ، حمزة بن الحسن ، (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م) ، التنبيه على حدوث التصفيح ، تحقيق: محمد حسن آل ياسين ، الطبعة الأولى ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٧.

- الأصفهاني ، محمد بن محمد بن حامد (العماد الكاتب) ت (٥٩٤ هـ / ١١٦١م) ، تاريخ دولة آل سلجوق ، اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري، مطبعة الموسوعات، القاهـرة، ١٩٠٠.

- ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم (٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق: نزار رضا ، مكتبة دار الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥.

- ابن اعثم الكوفي ، أبو محمد أحمد (ت٣١٤ هـ /١٢٩٦م) ، الفتوح ، ٨أجزاء، تحقيق سهيل زكار، الطبعةالأولى، دار الفكرللطباعةوالنشر، بيروت ،١٩٩٢ .

- الأنطاكي: يحيى بن سعيد (ت ٤٥٨هـ - ١٠٦٥) ، الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٩م.

- الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد ، (ت٣٧٠هـ / ٨٩٠م) ، تهذيب اللغة ، ١٥جزء ، الجزء الرابع عشر، تحقيق: يعقوب عبد النبي، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف ، مطابع سجل العرب ، ب.ت .

- الأصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ، (ت في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)، المسالك والممالك ، تحقيق: الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني ، مراجعة شفيق غربال ، دار القلم ، القاهرة ،١٦٩١.

- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) ، الأغاني ، ٢٥ جزء ، تحقيق عبد الستار فراج ، دار الثقافة ، بيروت (١٩٧٥-١٩٦١).

- الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، تحقيق: كاظم المظفر ، الطبعة الثانية ، المطبعة الحيدرية بالنجف الأشرف، ١٩٦٥م.

- الأصفهاني ، حمزة بن الحسن ، (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م) ، التنبيه على حدوث التصفيح ، تحقيق: محمد حسن آل ياسين ، الطبعة الأولى ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٧.

- الأصفهاني ، محمد بن محمد بن حامد (العماد الكاتب) ت (٥٩٤ هـ / ١١٦١م) ، تاريخ دولة آل سلجوق ، اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري، مطبعة الموسوعات، القاهـرة، ١٩٠٠.

- ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم (٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق: نزار رضا ، مكتبة دار الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥.

- ابن اعثم الكوفي ، أبو محمد أحمد (ت٣١٤ هـ /١٢٩٦م) ، الفتوح ، ٨اجزاء، تحقيق سهيل زكار، الطبعةالأولى، دار الفكرللطباعةوالنشر، بيروت ،١٩٩٢ .

- الأنطاكي: يحيى بن سعيد (ت ٤٥٨هـ - ١٠٦٥) ، الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٩م.

- ابن اياس ، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠ هـ /١٥٢٣م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، جزءان ، تحقيق: محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٨٢.

- البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ / ٨٧٠م) ، الجامع الصحيح ، ٤ أجزاء ، اعتنى بتصحيحه وطبعه لودلف كرهل ليدن ، ١٩٠٨م.

- ابن بطوطة ، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي (ت٧٧٩هـ /١٣٩٦م) ، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق: الدكتور علي المنتصر الكتاني ، الطبعة الرابعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥م.

- البغدادي ، عبد القادر بن طاهر (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م) ، الفرق بين الفرَق وبيان الفرقة الناجية منهم، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥.

- البكري: أبو عبدالله بن عبدالله بن عبد العزيز (٤٨٧هـ /١٠٩٤م) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ٤ أجزاء ، تحقيق:مصطفى السقا ، الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة (١٩٤٥-١٩٥١).

- البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ /٢٩٨م) ، أنساب الأشراف ، ج١ ، تحقيق: محمد حميد الله ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف القاهرة ، ١٩٥٩ ، حس، تحقيق: محمد باقر المحمودي ، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٧٧م. ق٣ ، تحقيق: عبد العزيز الدوري ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٧٨. ق٤ ، تحقيق: إحسان عباس ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٨ . ج٤ ، ق١ ، نشرماكس شلوزنجر ، القدس ، ١٩٧١. ج٤ ، ق٢ ، نشرماكس شلوزنجر ، القدس ، ١٩٣٨ . ج٥ ، نشرغوتين ، القدس ، ١٩٣٦.

- البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع دار النشر للجامعيين ، ١٩٥٧م.

- البلوي ، عبدالله بن محمد المديني (من القرن الرابع الهجري) ، سيرة أحمد بن طولون ، تحقيق: محمد كردعلي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٠م.

- البيهقي ، إبراهيم بن محمد (٣٢٠ هـ /٩٣٢ م) ، المحاسن والمساوئ ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٠ م.

- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف الأتابكي (٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩ م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصرة والقاهرة ، جزء ١٢ ، قدم له وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين، الطبعه الأولى ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م .

- التنوخي ، أبو علي الحسن بن علي التنوخي (ت٤٨٣هـ / ٩٩٤م) ، الفرج بعد الشدة ، ٥أجزاء ، تحقيق: عبود الشالجي ، دار صادر بيروت ١٩٧٨ .

- التنوخي ، المستجاد من فعلات الأجواد ، تحقيق: محمد كردعلي ، دمشق ، ١٩٧٠ م.

- التنوخي ، نشوار المحاضرة في أخبار الذاكرة ، تحقيق : عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت ١٩٧١

- الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٩٢٤هـ / ١٠٢٨م) ، تحفة الوزراء (المنسوب) ، تحقيق: حبيب على الراوي وابتسام مرهون الصفار ، مطبعة العاني، بغداد ، ١٩٧٧م.

- الثعالبي ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٦٥ .

- الثعالبي ، لطائف المعارف ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، وحسن كامل الصيرفي ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٠م.

- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) ، التاج في أخلاق الملوك(المنسوب)، تحقيق:أحمد زكي باشا، المطبعةالأميرية ،القاهرة ، ١٩١٤م.

- الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق: عبد السلام هارون ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٦٩م.

- الجاحظ ، القول في البغال ، تحقيق: شارل بلاّ ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٥.

- الجاحظ ، المحاسن والأضداد ، مراجعة: عاصم عيناني ، الطبعة الأولى ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٨٦.

- الجزيزي ، عبد القادر محمد بن عبد القادر (ت ٩٧٧ هـ / ١٩٧٠م) ، درر الفرائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، المطبعة السلفيّة القاهرة .

- الجهشياري ، أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ/٩٤٢م) ، الوزراء والكتّاب ، تحقيق: مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي ، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ١٩٨٠١م.

- الجواليقي ، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد (ت٥٤٠ هـ /١١٤٥م) ، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٦٦.

- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت٧٩٥هـ / ١٢٠٠م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، ومصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢.

- الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٨هـ / ١٠٠٦م) ، الصحاح ، ٦ أجزاء ، الجزء الثاني ، تحقيق: أحمد عبد الغفور ، القاهرة دار العلم للملايين ،١٩٨٤.

- الحسن بن عبدالله (كتبه ٧٠٨هـ/١٣٠٨م) ، آثار الأول في ترتيب الدول ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٩٥هـ

- الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ / ١٤٨٤م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق: إحسان عباس، دار القلم للطباعة ، بيروت ، ١٩٧٥

- ابن حوقل ، محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) ، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ب.ت

- ابن خرداذبة ، عبدالله بن عبدالله (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) ، المسالك والممالك ، ويليه نبذه من كتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٩٠.

- الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن محمد بن علي (ت ٣٦٤ هـ / ١٠٧٠م) ، تاريخ بغداد ، ٨ أجزاء ، دار الكتب العربية ، بيروت ، د.ت

- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م) ، المقدمة ، دار القلم ، بيروت ، ب.ت.

- ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٦١ - ١٩٦٨.

- ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١ هـ / ١٢٨٣م) ، وفيات الأعيان ، وأنباء الزمان ،٨ أجزاء، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر بيروت ، ١٩٧٨ .

- خليفة بن خياط (ت٢٤٠ هـ /٨٥٤م) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، الطبعة الأولى ، مطبعة الآداب في النجف الأشرف ، ١٩٦٧م.

- الخوارزمي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ /٧٩٩م) ، مفاتيح العلوم ، الطبعة الثانية ، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٨١م.

- الداوداري: أبو بكر بن عبدالله بن أيبك (ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م) ، كنز الدرر وجامع الغرر ، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة ، ١٩٦١م.

- ابن دريد ، أبو بكر محمد (ت٣٢١هـ / ٩٣٣م) ، جمهرة اللغة ، ٤ أجزاء ، مكتبة الثقافة الدينية ، ب.ت .

- الدميري ، أبو البقاء كمال الدين (ت٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) ، حياة الحيوان الكبري ، جزءان دار الفكر، بيروت ، ب.ت ،

- الدنيوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود (٢٨٢هـ / ٨٩٥م) ، الأخبار الطوال ، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، ١٩٦٠.

- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) ، دول الإسلام ، الطبعة الأولى ، دار المعارف النظامية العثمانية ، حيدر أباد ، ١٣٣٧هـ.

- الراغب الأصفهاني ، حسين بن محمد (ت٥٠٢هـ / ١١٠٨م) ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغا ء ،٤ أجزاء ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦١.

- ابن رستة ، أبو علي أحمد بن عمر (ت٢٩٠ هـ كان حيا / ٩٠٢ م) ، الاعلاق النفسية ، تحقيق: دي خوية ، بريل ، ليدن ، ١٩٨١م

- الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني (ت ٥٠٢١ / ١٩٧١م) ، تاج العروس ، ٩ أجزاء ، الجزء السابع ، تحقيق: عبد السلام هارون ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ١٩٧٠.

- الزبيدي ، تاج العروس ، الجزء العاشر ، تحقيق: إبراهيم الترزي ، مطبعة حكومة الكويت الكويت ١٩٧٢.

= السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب (٧٧١هـ /١٣٧٠م) ، معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق: محمد علي النجار ، وأبو زيد شلبي ومحمد أبو العيون ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٤٨م.

= ابن سعد ، أبو عبدالله محمد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ /٨٤٤م) ، الطبقات الكبرى ٨ ، أجزاء، دار صادر بيروت ، ١٩٧٥.

= ابن سعيد الأندلسي ، علي (٦٨٥ هـ /١٢٨٦م) ، المغرب في حلي المغرب ، قسم مصر ، تحقيق: الدكتور شوقي حنيف مع غيره ، مطبعة فؤاد الأول، ١٩٥٣م.

= السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور (٥٦٢ هـ /١١٦٦م) ، الأنساب ، ١٣ جزء، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، حيدر أباد ، الدكن ، الهند ، ١٩٦٦.

- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٦٤م.

- السيطوي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، جزءان ،مطبعة الموسوعات ، القاهرة ، ١٣٢١ هـ .

- الشابشتي ، علي بن محمد (ت٣٨٨ هـ /٩٩٨م) ، الديارات ، تحقيق: كوركيس عواد ، الطبعة الثانية ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٦م.

- أبو شجاع ، محمد بن الحسين ظهير الدين الروزذراوري (ت٤٨٨هـ /١٠٩٥م) ، ذيل تجارب الأمم، اعتنى بتصحيحه: هـ.ف. امدروز ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، القاهرة ، ١٩١٦م.

- شمس الدين بن طولون ، محمد بن علي (ت٩٥٢هـ /١٥٤٥م) ، قضاة دمشق (الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام ، تحقيق: د.صلاح الدين المنجد ، دمشق ، ١٩٥٦م.

- شيخ الربوة ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت٧٢٧ هـ / ١٣٢٦) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق:أ.ف، مهرن ، ليبرج ١٩٢٨م .

- الصابي ، أبو إسحاق إبراهيم بن جلال بن زهرون ، ن ٣٨٤هـ/٩٩٤م) ، المختار من رسائل الصابي ، تحقيق شبيب رسلان ، بيروت ، دار النهضة ، ب.ت .

- الصابي : الهلال بن المحسن ، ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م ، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٨.

- الصابي ، رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٤م .

- الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م) ، اخبار الراضي بالله والمتقي لله ، نشره: هيورث ، الطبعة الثانية ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٧٩م.

- الصولي ، أدب الكتاب ، عني بتصحيحه: محمد بهجت الأثري ، القاهرة ١٤٣١هـ.

- الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣٠١هـ / ٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، ١١ جزء ، تحقيق: محمد أبو الفضل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ب.ت.

- الطرطوشي ، محمد بن الوليد الفهري (٥٢٠ هـ/١١٢٦م) ، سراج الملوك ، تحقيق: جعفر البياني ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ .

- ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر بيروت ، ١٩٦٦م.

- ابن طيفور ، أحمد بن طاهر الكاتب (ت٢٨٠هـ / ٨٩٣م) ، بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٤٩م.

- الظاهري ، غرس الدين خليل بن شاهين (ت٨٧٢ هـ/١٤٦٧م) ، كشف الممالك وبيان الطرق والسالك ، اعتنى بتصحيحه: بولس راديس ، باريس ، ١٩٨٤م.

- ابن عبد البر ، أبو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر القرطبي (٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ، بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ، تحقيق: محمد مرسي الخولي ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢م.

- عبد الحميد الكاتب (ت١٣٢هـ / ٧٥٠م) ، رسائل البلغاء ، اختيار وتصنيف: محمد كردعلي ، القاهرة ، ١٩٤٦.

- ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) ، العقد الفريد ، تحقيق ٧ أجزاء، أحمد أمين وإبراهيم الإيباري وعبد السلام هارون ، دار الكتاب، بيروت ، ب.ت .

- الصابي ، رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٤م .

- الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م) ، اخبار الراضي بالله والمتقي لله ، نشره: هيورث ، الطبعة الثانية ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٧٩م.

- الصولي ، أدب الكتاب ، عني بتصحيحه: محمد بهجت الأثري ، القاهرة ١٤٣١هـ.

- الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣٠١هـ / ٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، ١١ جزء ، تحقيق: محمد أبو الفضل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ب.ت.

- الطرطوشي ، محمد بن الوليد الفهري (٥٢٠ هـ/١١٢٦م) ، سراج الملوك ، تحقيق: جعفر ، البياني ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠.

- ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر بيروت ، ١٩٦٦م.

- ابن طيفور ، أحمد بن طاهر الكاتب (ت٢٨٠هـ / ٨٩٣م) ، بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٤٩م.

- الظاهري ، غرس الدين خليل بن شاهين (ت٨٧٢ هـ/١٤٦٧م) ، كشف الممالك وبيان الطرق والسالك ، اعتنى بتصحيحه: بولس راديس ، باريس ، ١٩٨٤م.

- ابن عبد البر ، أبو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر القرطبي (٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ، بهجة المجالس وانس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ، تحقيق: محمد مرسي الخولي ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢م.

- عبد الحميد الكاتب (ت١٣٢هـ / ٧٥٠م) ، رسائل البلغاء ، اختيار وتصنيف: محمد كردعلي ، القاهرة ، ١٩٤٦.

- ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) ، العقد الفريد ، تحقيق ٧ أجزاء، أحمد أمين وإبراهيم الإيباري وعبد السلام هارون ، دار الكتاب، بيروت ، ب.ت .

- ابن عساكر ، علي بن الحسن (ت٥٧١ هـ/ ١١٧٥م) ، تاريخ مدينة دمشق ، الجزء الأول ، الجزء الثاني والجزء الخامس ، تحقيق: صلاح الدين المنجد ، دمشق ،١٩٥١-١٩٥٩م.

- ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، الجزء العاشر ، تحقيق: محمد أحمد دهان ،مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق ، ب.ت.

- ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ٧ أجزاء ، تهذيب عبد القادر بدران ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٧٩.

- العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن السهل ، ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م) ، الأوائل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧م.

- ابن العماد الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ/١٦٨٧م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق:عبد القادر الأرناؤوط ، ومحمود الأرناؤوط ، الطبعة الأولى ، دار ابن كثير ، بيروت، ١٩٨٩م

- ابن العمراني ، محمد بن علي في حدود (ت ٥٨٠ هـ / ١١٨٤م) ، الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق: قاسم السامرائي ، ليدن ، ١٩٧٣ م.

- العمري ، شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) ، التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق: سمير الدروبي ، الطبعة الأولى منشورات جامعة مؤتة ، ١٩٩٢م.

- العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، جزءان ، تحقيق: أيمن فؤاد سيد المعهد العلمي الفرنيس للآثار الشرقية ،بالقاهرة ، ب.ت .

- الغزولي ، علاء الدين علي بن عبدالله (ت ٨١٥ هـ/١٤١٢م) ، مطالع البدور في منازل السرور ، جزءان ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٠ هـ.

- أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت٧٧٣هـ/١٣٣٢م) ، تقويم البلدان ، تصحيح رينود وماك كوكين ديلان ، نشر دار الطباعةالسلطانية باريس ، ١٨٤٠م.

- أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ٤ أجزاء ، المطبعة الحسينية المصرية ، ب.ت .

- ابن الفراء الحسين بن محمد (ت٣٩٠هـ/٩٩٩م) ، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة ، تحقيق: صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ،١٩٤٧م.

- ابن فضلان ، أحمد (من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) ، رسالة ابن فضلان ، تحقيق: سامي الدهان ، المجمع العلمي دمشق ، ١٩٩٥م.

- الفيروز أبادي ، محمد بن يعقوب (٨١٧هـ/١٤١٤م) ، القاموس المحيط ،٤ أجزاء ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٣ .

- ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ / ٨٨٩م) ، الإمامة والسياسة ، المعروف بتاريخ الخلفاء ، (منسوب) ،الطبعة الثانية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٧م.

- ابن قتيبة ، المعارف ، تحقيق: ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٠م.

- قدامة بن جعفر أبو الفرج الكاتب البغدادي ، (ت ٣٢٩هـ/٩٤٠م) ، الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق: محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١م.

- القرطبي ، عريب بن سعد ، ت٣٦٩ هـ/ ٩٧٩م ، صلة تاريخ الطبري ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، د.ت.

- القفطي ، جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مطبعة السعادة ، دار الكتب الخديوية ، مصر ، د.ت.

- القلقشندي ، أحمد بن علي (ت٨١٢هـ/١٤١٨م) ، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، ١٤ جزء ، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧.

- القلقشندي ، مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج ، وزارة الارشاد والأبناء ، الكويت، ١٩٦٤م.
- ابن القلانسي ، أبو يعلي حمزة بن أسد (ت ٥٥٥ هـ/١١٦٠م) ، تاريخ دمشق ، تحقيق: سهيل زكار دار حسان ، دمشق ، ١٩٨٣م.
- الكتبي ، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) ، فوات الوفيات والذيل عليهما ، ٥ أجزاء ، تحقيق:إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤م.
- ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤ هـ / ١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، تحقيق: أحمد عبد الوهاب ، القاهرة ، ١٩٩٢م.
- الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠ هـ/٦٩١م) ، الولاة وكتاب القضاة ، تهذيب وتصحيح: رفن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م.
- الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت:٤٥٠ هـ/ ١٠٥٧م) ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٠.
- المبرد ، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨م) ، الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، والسيد شحاته، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٦م.
- مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، أخبار الدولة العباسية ، وفيه أخبار العباس وولده ، تحقيق: عبد العزيز الدوري ، وعبد الجبار المطلبي ، دار صادر ، بيروت ١٩٧١م.
- مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري) ، العيون والحدائق ، الجزء الثالث ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ب.ت. الجزء الرابع ، عني بنشره وتحقيقه: عمر السعيدي ، دمشق ، ١٩٧٣م.
- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ /٩٥٧م) ، التنبيه والإشراف ، عني بتصحيحه ومراجعته: عبدالله إسماعيل الصادق ، المكتبة التاريخية، ١٩٣٨م.

- المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ أجزاء ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٥.

- المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ،٤ أجزاء، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٣.

- مسكوية ، أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠م) ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، ح١،ح٢، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، القاهرة ، ١٩١٤م - ١٩١٥م)

- مسلم ، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ/٨٧٤م) ، صحيح مسلم ،٥ أجزاء، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٥.

- ابو المغيث الحسن بن منصور البيضاوي (ت٣٠٩هـ - ٩٢١م) ، ديوان الحلاج ، تحقيق د. كامل مصطفى الشيبي ، مكتبة النهضة ، بيروت ، ١٩٧٣ .

- المقدسي ، أبو عبدالله محمد بن المعروف بالبشاري (٣٧٥هـ/٩٨٥م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٦٧.

- المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (٨٤٥ هـ / ١٤٤١م) ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفـاء ، الجزء الأول ، تحقيق: جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة، ١٩٧٣. ح٢ ، ح٣ ، تحقيق: محمد ملحي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة، ١٩٧١

- المقريزي ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، جزءان ، دار صادر بيروت، ب.ت.

- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م) ، لسان العرب ، علق عليه ووضع فهارسه مكتبة تحقيق التراث ، دار إحياء التراث العربي ، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٣م.

- ابن ميسر ، تاج الدين محمد بن علي (٦٧٧هـ/١٢٧٨م) ، المنتقاه في أخبار مصر ، تحقيق: أيمن فؤاد سيد ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ب.ت.

- ابن النديم ، محمدبن إسحاق (ت ٣٧٨هـ / ٩٨٦م) ، الفهرست ، تحقيق: رضا تجدد ، مطبعةدانكشاه ، طهران ب.ت.

- نظام الملك : قوام الدين أبو علي الحسن الطوسي (ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) ، سياسات نامه سير الملوك ، ترجمة يوسف حسين بكار ، دار القدس ، بيروت ، ب.ت.

- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب القرشي (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م) ، نهاية الارب في فنون الأدب ، ج٢٤ ،ج٢٥ ، تحقيق: محمد جابر عبد العال ، ومراجعة ، إبراهيم مصطفى ، المكتبة العربية ، القاهرة ، ٤٨٩١ . ج٢٦ ، تحقيق: فوزي العتيلي ، مراجعة: الدكتور طه الحاجري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٥م.

- الهرثمي ، أبو سعيد الشعراني (ت ٢٣٤هـ /٨٤٨م) ، مختصر سياسة الحروب ، تحقيق: عبد الرؤوف عون ، مراجعة: محمد مصطفى زيادة ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ، ب.ت.

- الهروي ، علي بن ابي بكر (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م) ، التذكرة الهروية في الحيل الحربية ، عني بتحقيقه: مطيع المرابط ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٢.

- الهمذاني ، محمد بن عبد الملك (ت٥٢١هـ/١١٢٧م) ، تكملة تاريخ الطبري ، تحقيق:محمد أبو الفضل ، إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، ب.ت.

- وكيع ، محمد بن خلف بن حيان ، (ت٣٠٦ هـ / ٩١٨م) ، أخبار القضاة ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٠م.

- ابن وهب ، أبو الحسين إسحق بن إبراهيم بن سليمان (ت٣٣٧هـ/٩٤٨) ، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: أحمد مطلوب ، وخديجة الحديثي ، الطبعة الأولى ، بغداد ، ١٩٦٧م.

- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبدالله (٦٢٦هـ ١٢٢٨م) ، معجم الأدباء ٢٠٠ جزء ، دار المأمون ، القاهرة ، ب.ت.

- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،٥ أجزاء ،دار صادر، بيروت ، ١٩٨٦.

- اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) ، البلدان ، تحقيق: دي خوية ، مطبوع مع كتاب الأعلاق النفسية لابن رستة، ليدن ، ١٨٩١م.
- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٠
- أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م) ، الخراج ، تحقيق: إحسان عباس ، الطبعة الأولى ، دار الشروق بيروت ، ١٩٨٥م.

قائمـــة المراجـــع

١ - المراجع العربية :

- احسان صدقي العمد ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، بيروت ،دار الثقافة ،١٩٧٣م.
- احمد عبد الباقي ، معالم الحضارة الإسلامية في القرن الثالث عشر، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٩١م.
- احمد فريد الرفاعي ، عصر المأمون ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٧ م .
- أنور الرفاعي ، الإنسان العربي والحضارة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٠ م .
- بسام العسلي ، فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٤م .
- جاسم محمد خلف ، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٦٥م.
- جرجي ، زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، الطبعة الرابعة ، مطبعة دار الهلال ، ١٩٥٧م .
- جمال جودة ، العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، عمان، ١٩٧٧م.
- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٠ - ١٩٧٦م .
- جورج أ فندي ينى ، تاريخ سوريا ، طبع بالمطبعة الأردنية ،بيروت ، ١٨٨١ م .
- حسام قوام الدين السامرائي ، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية في خلال الفترة (٢٤٧-٣٠٠هـ/٨٦١-٩٤٥م) ، مكتبة دار الفتح ، دمشق ١٩٧١.
- حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، دار الأندلس بيروت. ١٩٦٥.

- حسن الباشا ، دراسات في الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية ودار الاتحاد العربي ، القاهرة ، ١٩٦٥.
- حسن الباشا ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ٣ أجزاء ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥
- حسن فاضل العاني، سياسة المنصور ابي جعفر الداخلية والخارجية ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية ، دار الرشيد ، بغداد ١٩٨١.
- حسين المسردي، تجارة العراق في العصر العباسي ، القاهرة ، ١٩٨٢.
- خالد جاسم الجنابي ، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي ، دار الحرية للطباعة، بغداد ، ١٩٨٤.
- خالد الزبيدي (زنين) ، التجارة في بلاد الشام في العصر العباسي الأول ، (رسالة ماجستير غير منشورة) الجامعة الأردنية عمان ، ١٩٩٢.
- خولة عيسى ، نشأة البريد وتطوره في الدولة العربية الأسلامية ، رسالة ماجستير (غير منشورة)، بغداد ، ١٩٨٥.
- خير الدين الزركلي، قاموس التراجم والأعلام ، ٨ أجزاء ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٠.
- سيدة إسماعيل كاشف، الوليد بن عبد الملك ، المؤسسة المصرية ، القاهرة، ١٩٦٢م.
- شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، ١٩٦٦.
- صبحي الصالح ، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٨٩م.
- صلاح الدين المنجد، بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي ، دار الحياة، بيروت ١٩٥٧م.
- طه الهاشمي، جغرافية العراق ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٣٣.
- عبد الجبار جومرد ، هارون الرشيد ، جزءان ، المكتبة العمومية ، بيروت ، ١٩٥٤.

- عبد الحي الكتاني ، نظام الحكومة النبوية ، جزءان ، المسمى التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية ،التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة ، بيروت. ب.ت.
- عبد الرؤوف عون ، الفن الحربي في صدر الإسلام ، مكتبة الدراسات التاريخية دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦١م.
- عبد السلام عادل ، جغرافية سورية "الطبيعية وبشرية واقتصادية" ، دمشق ، ١٩٧٣.
- عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الأقتصادي في القرن الرابع الهجري ، دار المشرق، بيروت ، ١٩٧٤.
- عبدالعزيز الدوري ، النظم الأسلامية ، بيت الحكمة ، بغداد ، ١٩٨٨.، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، مطبعة السريان، ١٩٥٤.
- عبد الكريم حتاملة، المعتمد في خلافة المعتضد بالله العباسي (٢٧٩-٢٨٩هـ / ٨٩٢-٩٠٢م) ، جمعية المطابع القانونية ،١٩٨٤م.
- عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٣٥م.
- عطية القوصي، الحضارة الإسلامية ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٥.
- فاروق عمر ، النظم الإسلامية ، دار الخليج ، العين ، ١٩٨٣.
- فالح حسين، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي ، مطابع دار الشعب ١٩٧٨م.
- محمد ابراهيم الأصيبعي، الشرطة في النظم الإسلامية ، منشورات دار اقرأ للطباعة والنشر ، ١٩٩٠.
- محمد توفيق الخفاجي، تطور النظم الإدارية والمالية في بلاد العراق وفارس من مستهل العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ، ١٩٦١.

- محمد جمال محفوظ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتب ، ١٩٧٦.

- محمد حسين الزبيدي ، العراق في العصر البويهي (٣٣٤-٤٤٨هـ) ، دار النهضة العربية القاهرة، ١٩٦٩.

- محمد شريف الرحموني ، نظام الشرطة في الإسلام إلى أواخر القرن الرابع الهجري ، الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م.

- محمد ضيف الله البطانية ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار الفرقان ، عمان ، ١٩٨٤م.

- محمد طبلية، نظام الإدارة في الإسلام ، القاهرة ، دار الفكر العربية ، ١٩٨٥م.

- محمد كردعلي، خطط الشام ، ٤ اجزاء ، مكتبة النوري ، دمشق ، ١٩٨٣م .

- محمد المعراوي ، شريعة الحرب في الإسلام ، رسالة علمية في الحقوق الدولية عند العرب ، دمشق ، ١٩٥٨.

- محمود العابدي، آثارنا في الأردن وفلسطين ، عمان ، ١٩٧٣.

- مصطفى الحياري، الدواوين في كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، مقدمة قدامة بن جعفر الكاتب دراسة وتحقيق، عمان ،١٩٨٦

- نجدت خماش ، الإدارة في العهد الأموي ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٠.

- نجدت خماش ، الشام في صدر الإسلام ، دمشق ، ١٩٨٧.

- نعمان ثابت ، الجندية في الدولة العباسية ، راجعة وقدم عليه: حامد أحمد الورد المطابع العسكرية ، بغداد ، ١٩٨٧.

- نظير حسان السعداوي، نظام البريد في الدولة الإسلامية ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٥٣.

- نقولا زيادة ، عربيات حضارة ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ،١٩٩٤.

- الهيثم الأيوبي، الموسوعة العسكرية ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية ، ١٩٧٧

- يحيى عبد الرؤوف ، معجم البلدان الأردنية والفلسطينية حتى نهاية القرن السابع الهجري ، دار اللسوس للنشر والتوزيع ، ب.ت.

- يوسف العش ، تاريخ عصر الخلافة العباسية ، راجعه ونقحه الدكتور محمد أبو الفرج العش دار الفكر ، ١٩٢٨.

٢ - **المراجع الأجنبية المترجمة :.**

- أدي شير ، السيد، الألفاظ الفارسية المعرّبة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٠٨.

- بارتولد ، ف، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٤٢.

- بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية د.نبيه أمين فارس ومنيز البعلبكي ط٣ ، دار العلم للملايين ، ١٩٦١م.

- جروهمان ، أدولف، أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية ، ترجمة: حسن إبراهيم حسن ، مراجعة عبد الحميد حسن ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥.

- فيليب حتى، تاريخ العرب المطول ، ترجمة جبرائيل جبور ، ط٤ ، دار الكشاف للنشر ، ١٩٦٥.

- فيليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج١ ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق ،أشرف على مراجعته الدكتور جبرائيل جبور ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٥٨ . ج٢ ، ترجمة : كمال اليازجي ، أشرف على مراجعته جبرائيل جبور ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٩

- حسيني ، مولوي، الإدارة العربية ، ترجمة إبراهيم العدوي ، ومراجعه عبد العزيز عبد الحق ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، ١٩٥٨.

- دوسو ، رينيه، العرب في سوريا قبل الإسلام ، ترجمة عبد الحميد الدراملي وآخرون، لجنة التاليف والنشر ، ١٩٥٩.

- ديمومبين ، موريس ، النظم الإسلامية ، ترجمة صالح الشماع وفيصل السامر ، مطبعة الزهراء، بغداد ١٩٥٢

- ريسلر ، جاك ، س. ، الحضارة العربية ، ترجمة: غنيم عبدون والدكتور أحمد فؤاد ، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

- زامباور ، معجم الاسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، اخرجه زكي حسن بك وحسن أحمد محمود ، واشترك في ترجمة بعض فصوله سيدة إسماعيل كاشف ، وحافظ حمدي وأحمد حمدي ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، ١٩٥١م.

- علي سيد أمير ، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي ، ترجمة رياض رافت ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة،١٩٣٨.

- فالتر ، هنتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الالمانية الدكتور كامل العسلي ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٨٢.

- فلها وزن ، يوليوس ، الدولة العربية وسقوطها ، نقله عن الألمانية وعلق عليه محمد عبد الهادي أبو ريدة ، وراجع الترجمه حسين مؤنس، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٥٨.

- كراتشكوفسكي "اغناطيوس ليانوفتش" ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين هاشم ، موسكو ١٩٥٧م.

- كريستنس ، أرثر ، ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب مراجعة عبد الوهاب عزام، دار النهضة العربية، بيروت ، ب.ت.

- لوبون ، غوستاف، حضارة العرب ، نقله إلى العربية عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، ١٩٥٦م.

- لومبار، موريس، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٩م.

- لومبار ، موريس ، الإسلام في عظمته الأولى ، ترجمة ياسن الحافظ ، دار الطليعة بيروت ١٩٧٧م.

- لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، نقله إلى العربية : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥ .

- لسترنج ، فلسطين في العهد الإسلامي ، ترجمة محمود عمايرة ، منشورات وزارة الثقافة الإعلام ، دائرة الثقافة والفنون ، عمان ١٩٧٠

- متز آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، تعريب عبد الهادي أبوريدة،دار الكتاب، بيروت ، ١٩٥٧.

الدوريات والمقالات :.

- إبراهيم العدوي، «الحمام الزاجل في العصور الوسطى» ، مجلة المقتطف، سنة ١٩٨٤م.

- إحسان صدقي العمد، «وسائل الانذار المبكر عند المسلمين» ، مجلة العربي ، عدد ٣٠٢سنة ١٩٨٤م.

- جليلة ناجي الهاشمي، «البريديون» ، مجلة المورد ، عدد١ ، سنة ١٩٧٣.

- خالد جاسم الجنابي «،البريد العسكري في العصر العباسي» ، مجلة المؤرخ العربي ، مجلد ١٤، عدد ٣٥ ، سنة ١٩٨٨م.

- سترك ، «البطيحة» ، دائرة المعارف الأسلامية ، المجلد الثالث ، طهران ، انتشارات جهان ، ب.ت.

- سترك ، «البريدي» ، دائرةالمعارف الإسلامية ، المجلد الثالث ، طهران ،انتشارات جهان،ب.ت.

- سعد الراشد ، «منطقة الحجاز وشمال غرب الجزيرة العربية وصلتها ببلاد الشام في صدر الاسلام والخلافة الأموية اعتماداً على الإكتشافات الحديثة» ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، المجلد الثاني عمان: ١٩٨٧.

- صالح دراركة، «البريد وطرق المواصلات في بلاد الشام في العصر العباسي» ، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام ، عمان ١٩٩٢.

- صالح درادكة ، «طرق الحج الشامي قراءة في المصادر» ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، المجلد الأول ، ١٩٨٩.

- صالح العلي، «طرق المواصلات القديمة في بلاد العرب» ، مجلة العرب ، المجلد الثاني ، السنة الثانية. ١٩٦٨م.

- صباغ ، ميخائيل بن نقولا ، «مسابقة البرق والغمام في سعاة الحمام» ، تحقيق حكمت توماشي، مجلة المورد ، عدد ٢ ، سنة ١٩٧٣م.

- ضيف الله بن يحيى الزهراني، «دور البريد في الحياة الاقتصادية في العصر العباسي» ، المجلة العربية ، عدد ٥ ، سنة ١٩٨٢

- عبد العزيز الدوري، «العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام» ، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام ، ١٩٧٤

- نقولا ، زيادة ، «التطور الإداري لبلاد الشام بين بيزنطة والعرب في العهد البيزنطي» ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٦م.

- هارثمان، «البريد» ، دائرة المعارف الإسلامية ، طهران ، انتشارات جهان ب.ت.

- ضيف الله بن يحيى الزهراني، «دور البريد في الحياة الاقتصادية في العصر العباسي» ، المجلة العربية ، عدد ٥ ، سنة ١٩٨٢

- عبد العزيز الدوري، «العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام» ، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام ، ١٩٧٤

- نقولا ، زيادة ، «التطور الإداري لبلاد الشام بين بيزنطة والعرب في العهد البيزنطي» ، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام ، عمان ، ١٩٨٦م.

- هارثمان، «البريد» ، دائرة المعارف الإسلامية ، طهران ، انتشارات جهان ب.ت.

المراجع الأجنبية :

- Grant, Christinaphelps, The Syrian Desert, Caravans, Travel and Exploration, London, 1937.

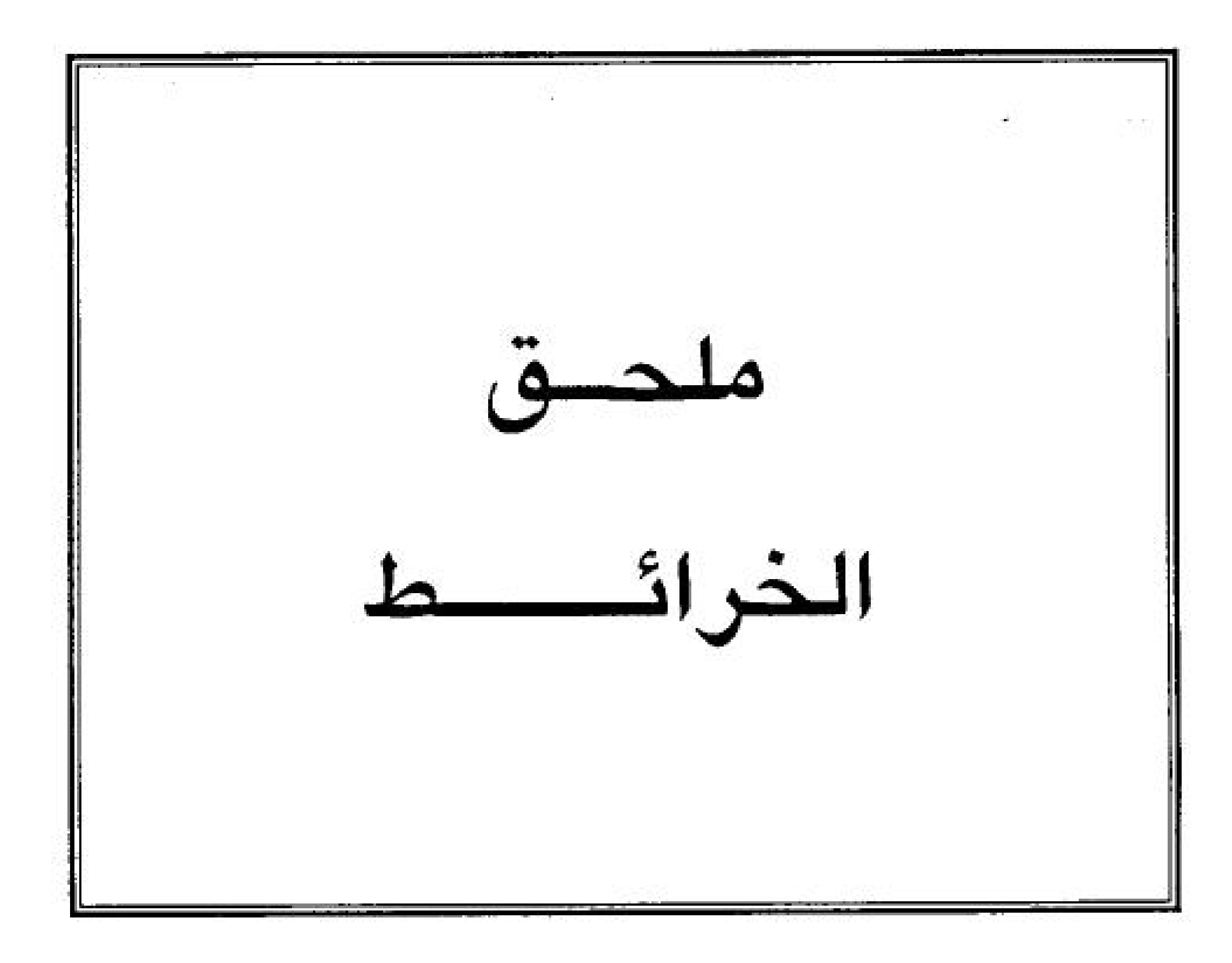
- Kabir, Mafizullah, The Buwayhid Dynasty of Baghdad (334/946/447/1055), Iran Society, 1964.

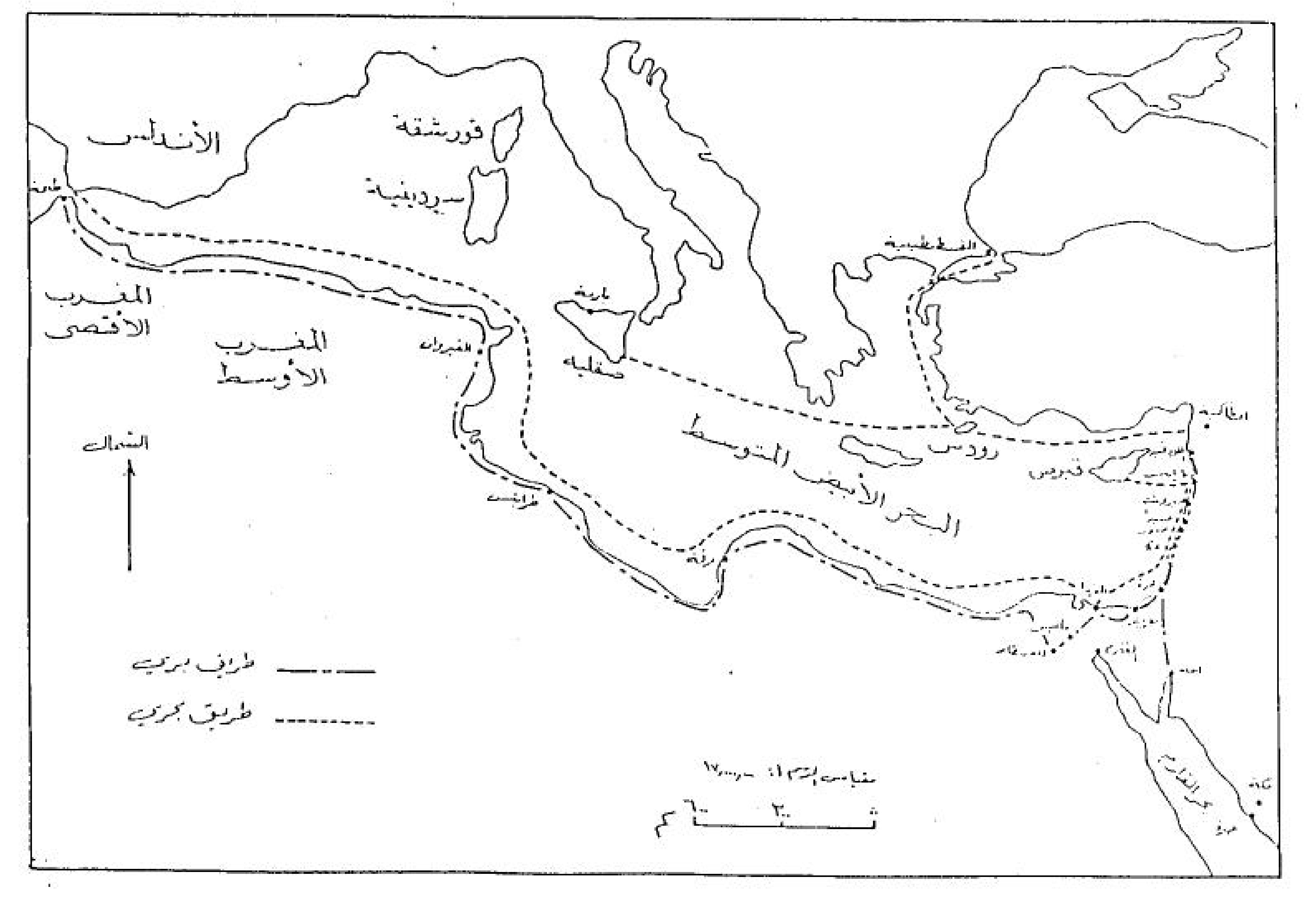
- Levy, Reuben, The Social Structure of Islam, Cambridge University Press, 1962.

- Mazaheri, Ali, Ortacagda Musulmanlarin Yasayislar, Trc Dr. Bahriye Ucok, Istanbul, 1972.

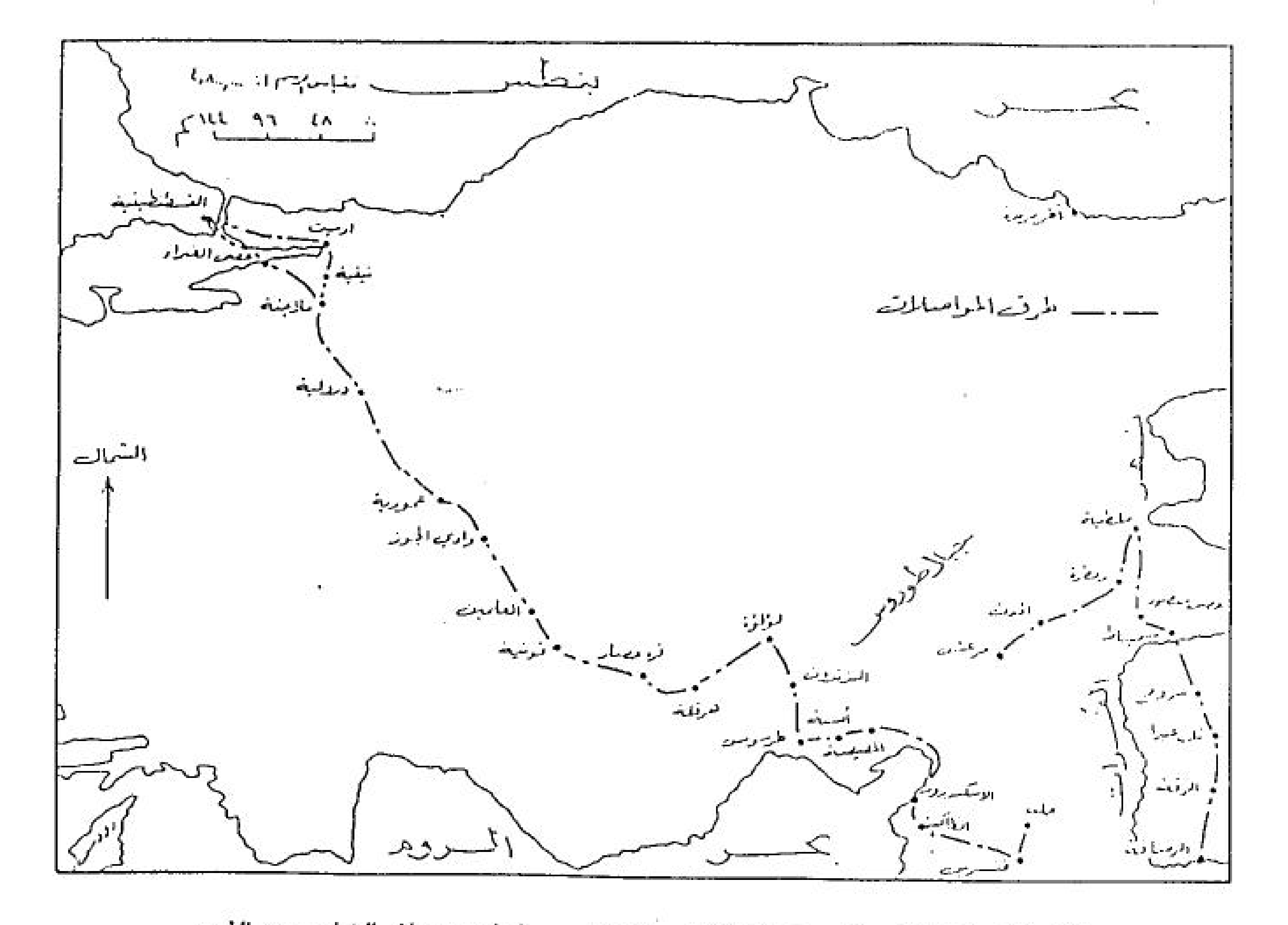
- Al-Rashid, Saad, Darb Zabaydah, The Pilgrim Road from Kufa to Mecca, University, Libraries, Riyad, 1980.

- Wright, Thomas, Early Travels in Palestine Press, New York, United States of America, 1969.


ملحـــق
الخرائـــــط

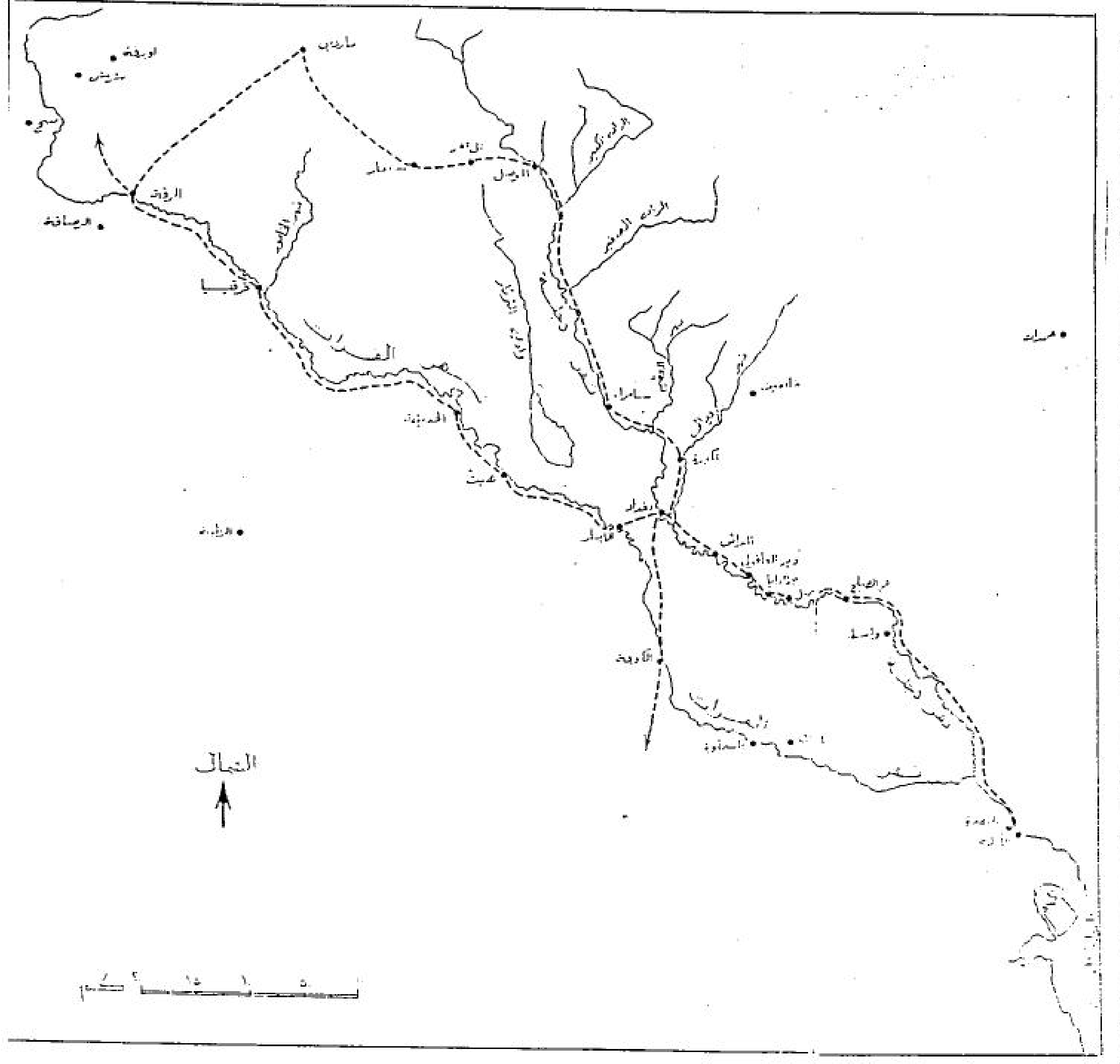


شكل (٦) الطريق بين بلاد الشام وشمال افريقيّة وكذلك الطرق البحرية بين الشام والعالم المجاور

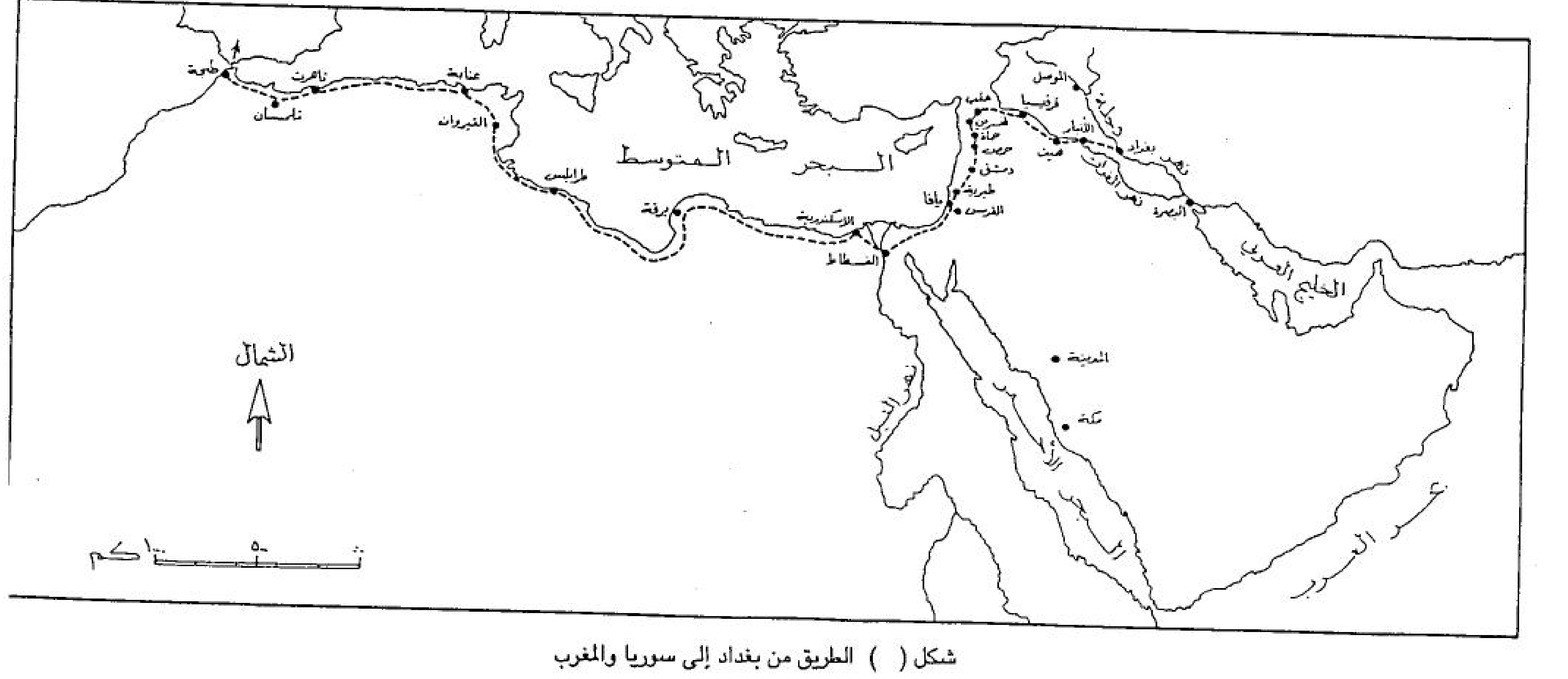


شكل (٥) طرق المواصلات بين بلاد الشام وبلاد الروم ، وكذلك بين بلاد الشام ومدن الثغور

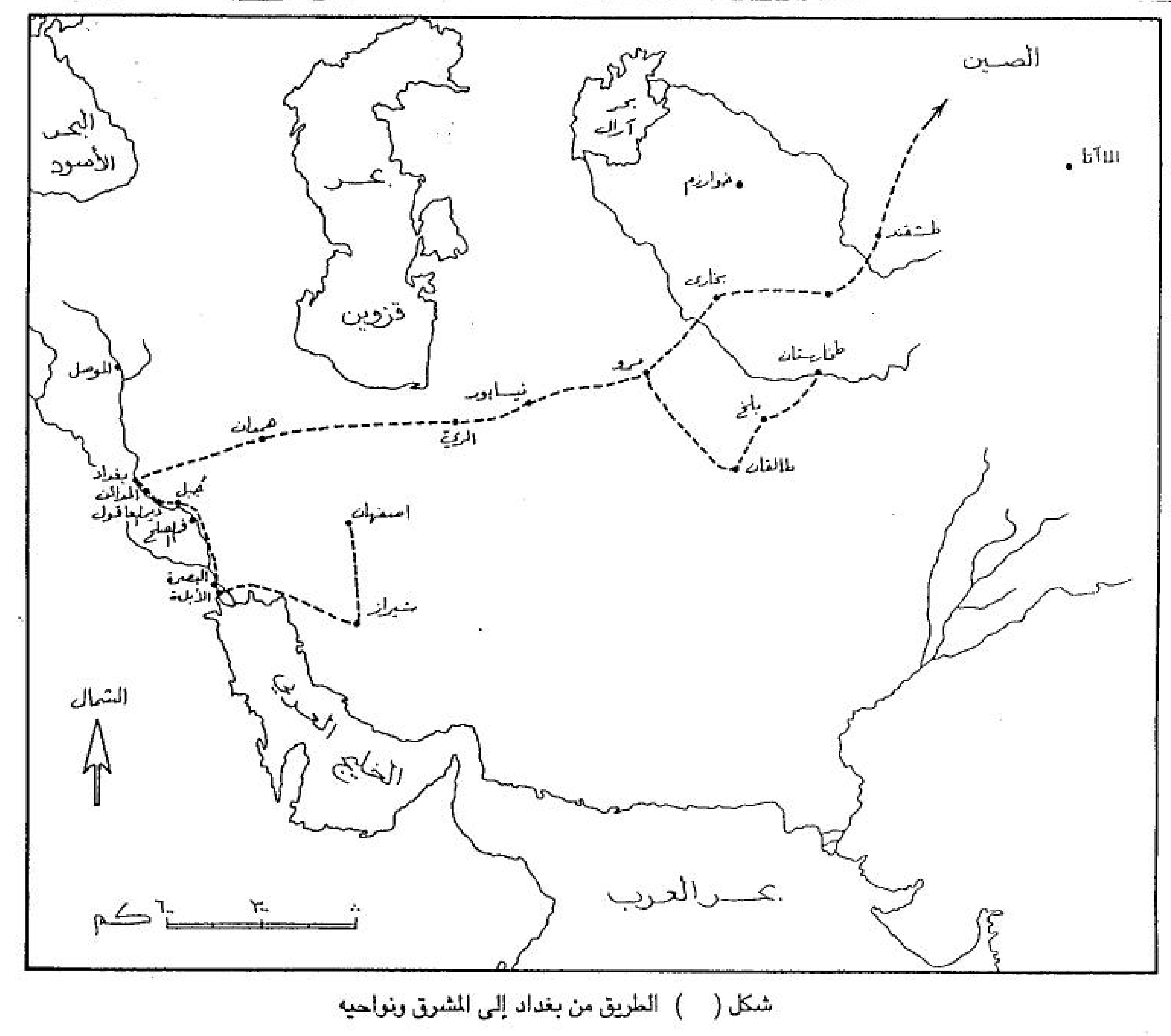
نقلاً عن كي لسترنج «بلدان الخلافة الشرقية» ، خريطة رقم «٤» ، مقابل ص ١٦٠



شكل (   ) الطرق الداخلية في العراق



شكل ( ) الطريق من بغداد إلى سوريا والمغرب



شكل ( ) الطريق من بغداد إلى المشرق ونواحيه

Abstract

The Post (Barid) and Its Routes in Syria and Iraq Under the Abbasids (132-450AH / 750-1058 AD)

Nadia Ahmad Ali Al-Hathal

Supervisor

Prof. Saleh Mosa Daradkeh

The subject matter of this study is the mail system in Natural Syria and Iraq under the Abbasi Rule up to 450AH/1058AD. The significance of this study comes from the subject matter itself as the serious studies that dealt with it during that period were very little. Researchers had rarely focused their attention on the mail system as an administrative organization of great importance during that period. Even if some of them did, it would be only hints that would not satisfy the reader. They didn't deal with the mail system during the period between 334-447AH, instead they were satisfied in discussing the mail system during the first Abbaside Era, taking into account that the Buwaihi Era represented a prosperous and developed era in the mail system as the system reached a high standard of punctuality and regularity especially during the rule of the Buwaihi prince "Adad Addawlah".

This study contains a listing and analysis of references, five chapters and a conclusion. The chapters deal with the following essential aspects: the administrative divisions in Natural Syria and Iraq; the mail system in the Abbaside Era up to the year 450AH/1058AD, when the "Saljuks" governed the Central Administration in Baghdad, and when the mail system "Divan" was established; the mail types, methods, various mail utilizations, and roads and stations used by mail.

The first chapter discusses "The administrative divisions in Natural Syria and Iraq". The researcher talks about the boundaries of Natural Syria and Iraq and their geography. She points out the administrative divisions in Natural Syria, Iraq and the Arabian Peninsula and the influence of such divisions on the mail system and routes.

The second chapter discusses "The mail system in the Abbaside Era up to 450 Hijri". The mail became an active tool of ruling since the first Abbaside Era, as it had its separate department "divan" in Baghdad that used to control all mail branches in the various provinces of the state through the roads net work emanating from the Caliphate centre in Baghdad to reach every province in the state.

The researcher then discusses the mail system during the period between 233-334AH., when the Ottoman Turks were the rulers and their power increased. Nevertheless, the mail system continued to be a prominent tool for collecting information about the anti-state movements. She also discusses the mail system during the Buwaihi and Saljuks Era between 334-450AH/945-1058AD, where the mail in the Buwaihi Era reached the highest degree of punctuality and regularity, that the first fruit produce would reach the Sultans' palaces in good and fresh condition.

The third chapter discusses the mail department "divan" itself, and its relationship with the administrative, economic and military systems.

Opinions over the emerging of this "mail divan" were inconsistent. Some researchers attributed the emerging of the "mail divan" to the Umayyad Caliph "Mou'awich Ibn Abi Sofian", others attributed it to the Caliph "Abdul-Malik Ibn Marwan". However the origins of such emergence go back to prophet Mohammad (peace be upon Him) and the Orthodox Caliphs Era. Then the seeds grew up and developed during the

Ummayyad Era at the hands of the Umayyad Caliphs "Mou'awieh Ibn Abi Sofian" and "Abdul-Malik Ibn Marwan" who firmly regulated this system. Then, the seeds flourished clearly during the Abbaside Era. The mail had its special department "divan" centered in Baghdad.

In chapter three, the study illustrates the administrative structure of the mail. The "mail divan" used to carry out its functions through a number of labourers, with each one having his specialized duty to perform.

The mail divan was headed by a mail-master who used to be its manager. The master used to be appointed by the caliph who used to pay a special attention in selecting a suitable person for such an office. Certain qualifications should be available in the character of the master, on top of which came the good morals and truthfulness. The relationship between the caliph and the mail-master was direct. The mail divan in Baghdad was supervising a vast net work of mail employees and labourers. They represented a connection link between the caliph and his workmen.

The researcher points out the expenses and wages of mail labourers. They were often very big amounts due to the great expansion of the mail rail-ways and the large numbers of mail workers of all levels.

In addition, the researcher refers to the relationship between the mail and the administrative, political, economic, and military systems. The mail had an important role to play in these aspects especially in military. The military mail which reached a high level of speed, punctuality and regularity, contributed in achieving victories over enemy armies and in exterminating anti-state movements.

In chapter four, the study of the types of mail and its means indicates the variation and numerousness of the mail means, including land means represented by donkeys, mules, horses and camels; and air

means represented by carrier pigeons which had an important and big role in military mail. Also, in chapter four, the study reveals the numerous utilization of mail, and the various services performed through the mail. A large number of the Abbaside caliphs used the mail horses for their service and interests. Thus, the mail used to perform more than one task at the time of the Abbaside state. Besides carrying the news from the Caliphate Headquarters to the wide different regions of the state, which is similar to an intelligence office nowadays, the mail could do many things simultaneously within the specialty of one divan. The mail was used in the field of entertainment and amusements as well as in literary, scientific and medical fields.

"Mail Roads and Stations" are discussed in chapter five. The researcher points out the conditions and factors of roads establishing. This chapter indicates the important role played by the Islamic State in paving and marking these roads and in securing them against plundering attacks and road rubbers.

The study also indicates the impact of mail and stations on the political, military, economic and commercial aspects. Such roads had a major and active role in all aspects especially the political and military ones.